

دروسٌ جليّة

في عقائدِ الإمامية

تأليف الأستاذ

أحمد صعب

الشكر والإهداء

أشكرُ الله تعالى على ما وقَّفتني إليه، فهو أولى بالشكر ممّن عداه.

وأهدي هذا العمل المتواضع إلى كلّ باحثٍ عن الحقيقة، وإلى كلّ سائرٍ في

طريق العلم الديني، آملاً أن يستفيد منه ولو بقول.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الواحد الأحد على ما أنعم، والشكر له على ما أهدى

والصلاة والسلام على سيد رسله، وحببيه من خلقه، أبي الزهراء محمد بن عبد الله، وعلى آله المنتجبين من رب العالمين، سادة الخلق المعصومين، وأئمة الهدى الميامين، ورحمة الله وبركاته.

ويعد...

وقفني الله تعالى لأن أنشئ درساً أسبوعياً في منزلي لبعض إخواني وأصحابي في مادة العقيدة وتفسير القرآن والسيرة، ولهذا الغاية كان عليّ أن أجتهد في القراءة والتلخيص والاقتطاف من كتب أعلامنا العظام وعلمائنا الكبار حتى أُعدّ الدرس.

ولما كنت أطبع درس العقيدة على أوراق تُوزع على الإخوان، وقعت بعض هذه الأوراق في يد أحد العلماء، فنصحتني بأن أجمع هذه الدروس في كتاب، يكون بمثابة صدقة جارية لي بعد موتي.

استحسنست الفكرة، ولم أتردد في القبول، فعدت إلى الدروس، وعملت فيها تنقيحاً وتنظيماً وإسناداً، لم آل في ذلك جهداً حتى أنهيتها وأخرجتها كتاباً.

ولأنني أعمل في المجال الأكاديمي، وأتحلى بذهنية علمية، صرفت وقتاً كبيراً في ردّ كل كلمة إلى قائلها، ورأيي إلى صاحبه، حتى نافى مصادر هذا الكتاب الصغير حجماً على المتين والأربعين مصدراً، وهوامشه على الألف ومئة هامش! معتمداً في كل ذلك على مكتبة أهل البيت (ع) الإلكترونية التي سهّلت لي عملي، وكان من شبه المستحيل إنجازه لولاها. فأسأل الله تعالى المثوبة والتوفيق لمن بذل مجهوداً في صناعتها، وللجمهورية الإسلامية التي رعتها، وأدعو كل سائر في هذا الخط إلى اقتنائها، والاستفادة منها.

وقد قسّمتُ الكتاب إلى خمسة فصول، أعالج في كل فصل أصلاً من أصول مذهبنا الخمسة، ثم قسّمتُ الفصل الواحد إلى دروسٍ، يستقل كل درسٍ بمطلبٍ من مطالب العقيدة.

أرجو من الله أن يكون هذا العمل المتواضع ذخيرةً لي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأن يكون موضعَ فائدةٍ لمن يرغب في الاستفادة منه، ومصدر علمٍ لمن يرغب في الاطلاع على العقيدة الشيعية.

والحمد لله رب العالمين

أحمد صعب

في غرة شهر ذي القعدة من عام ١٤٣٣ الموافق لـ ١٧/٩/٢٠١٢

الفصل الأول:

التوحيد

الدرس الأول: (علم العقيدة)

هذا درسٌ عامٌّ لا بدّ منه قبل الخوض في مباحث العقيدة، نتعرّف من خلاله بإيجازٍ إلى علم العقيدة، واختلافه عن علم الفقه، والغاية من دراسته...

ما هي العقيدة؟ العقيدة لغةً كلمةٌ مشتقةٌ من "العُدَّ" أي الربط بإحكام والشدّ بقوة، والإثبات والتوثيق^١، فيقال: اعتقدت كذا، يعني: جزمت به في قلبي بلا شك. فالعقيدة إذن هي كلُّ ما انعقد في القلب وصعب استئصاله منه، أو هي كلُّ ما اعتقدنا به اعتقاداً يقينياً لا يقبل الشك، كعقيدتنا في وجود الله تعالى، أو في أن الإمام علي (عليه السلام) هو خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو في البعث بعد الموت...

بين العقيدة والعمل: ويقابل العقيدة في الدين العمل، فإذا كانت العقيدة هي الإيمان القلبي، فالعمل هو العبادات المفروضة على المؤمن من صلاةٍ وصومٍ وحجٍّ وزكاةٍ... والعقيدة والعمل متلازمان؛ فلا تصحُّ عقيدةٌ بلا عملٍ، كما لا يصحُّ عملٌ بلا عقيدة، لذلك كثيراً ما نرى القرآن الكريم يربط بينهما كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^٢.

^١- انظر: ابن منظور، لسان العرب، فعل: عقد.

^٢- سورة البقرة، آية ٨٢

بين العقيدة والفقہ: العقيدة علمٌ يتناول أصولَ الدين، بينما يتناولُ الفقهُ فروعَهُ. ويُطلق على علم العقيدة أيضاً مصطلحَ الفقهِ الأكبر تمييزاً عن الفقهِ الأصغر الذي يبحث في العبادات والمعاملات الشرعية.

ما هي أصول الدين؟ وما هي فروعهُ؟ أصول الدين ثلاثة وهي: التوحيد والنبوة والمعاد. أما فروع الدين فهي عشرة: الصلاة والصيام والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولي والتبري.

أيهما دراستهُ أوجب؟ من البديهي أن دراسة العقيدة أوجب من دراسة الفقهِ ومتقدمةٌ عليها لتقدّم الأصل على الفرع، ذلك أن البناء القائم على غير أصولٍ ساقطٌ لا محال، ولا قيمة للفرع إذا لم يستند على أصلٍ متين، كما أنه لا قيمةٌ لصلاةٍ وصيامٍ من لا يؤمن بالله تعالى، أو يجعل له شريكاً.

ما الفرق بين أصول الدين وأصول المذهب؟ أصول الدين الثلاثة (التوحيد والنبوة والمعاد) مشتركةٌ بين كل الأديان التوحيدية، كالمسيحية واليهودية والإسلام. أما أصول المذهب الشيعي فهي أصول الدين الثلاثة مُضافاً إليها (العدل والإمامة) فتصبح خمسة، وعدم الإيمان بهذين الأصلين لا يُخرج عن الدين الإسلامي إنما يُخرج عن المذهب الشيعي.

الخلاف بين الأديان التوحيدية: قد يسأل سائلٌ: إذا كانت أصول الدين مشتركةً بين كل الأديان التوحيدية فكيف يختلفون في عقائدهم؟

الجواب: صحيحٌ أنهم يتفقون على أصول الدين الثلاثة، لكنّ اختلافهم يعود إلى تفاصيل هذه الأصول، فالمسلمون مثلاً يعتقدون بإله واحدٍ (ليس له ثانٍ) أحدٍ (غير مركب من أجزاء أو صفات)، بينما يعتقد المسيحيون بإله واحدٍ ذي ثلاثة أقانيم أو صفات (الأب والابن وروح القدس).

ويختلف المسلمون أنفسهم بين شيعةٍ وسنةٍ في اختلاف نظرتهم إلى بعض مباحث العدل الإلهي والخلافة وغيرها...

ما الغاية من دراسة العقيدة؟ لدراسة العقيدة غاياتٌ عديدةٌ، منها:

١- فهم الدين وعبادة الله عن معرفة: لا شك أن المؤمن الذي درس عقائد دينه يعبدُ الله بطريقةٍ مختلفةٍ عمّن هو خالي الذهن منها. فعلى سبيل المثال، مَنْ يدرسُ مبحثَ التوحيد مثلاً يلتفتُ إلى كثيرٍ من مواضع الشرك الخفي التي تقع فيها عامةُ الناس دون علم.

ثم إن عبادة الله عن معرفة تفوق بأجرها عبادته عن غير معرفة بأضعافٍ مضاعفة، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: "يا علي، ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصلّيها العابد".^٣ وعنه أيضاً: "ساعةٌ من عالم يتكى على فراشه ينظرُ في عمله، خيرٌ من عبادة العابد سبعين عاماً".^٤

^٣- العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٥٧

^٤- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤

٢- رُدُّ الشبهاتِ والبِدَعِ: وهي كثيرةٌ جداً في هذا العصر، عصر التكنولوجيا والاتصالات. في كلِّ يوم تُطالَعُ وجوهٌ جديدةٌ على الفضائيات وفي المواقع الإلكترونية لا همَّ لها سوى ضربِ عقائدنا الحقَّة بسلاح الافتراء والمغالطات. ومن شأن هذه السموم أن تؤثرَ في جسمِ مذهبنا الحقِّ لولا تصدِّي علمائنا الأبرار للردِّ على هؤلاء بالحجة الدامغة والدليل القاطع.

٣- الحثُّ على العمل: العقيدةُ هي المحركُ الأول للعمل، فاعتقادك بأمرٍ ما هو الذي يدفعُك إلى فعله حتى لو تجشَّمت الصعاب في سبيله. على سبيل التوضيح: من يعتقد بوجود كنز مدفونٍ يندفع لحفر الأمتار في باطن الأرض للوصول إليه، وكلِّما خفَّ اعتقاده خفَّت عزيمته على العمل. من هنا نرى أناساً يُزهِقون أرواحهم الغالية بتفجير أنفسهم اعتقاداً منهم بنيل الجنة! وواضحٌ هنا أن العقيدة هي التي دفعت إلى العمل.

هل يجوز التقليد في العقائد؟ أجمع العلماء على أنه لا يجوز التقليد في العقائد، خلافاً للفقهاء الذي يجب التقليد فيه للعوام. والتقليدُ في العقيدة هو أن يقول المرء مثلاً: أبي يعتقدُ بأنَّ الله واحدٌ، وأنا أفلده في ذلك! دون أن يكون هذا المعتقد راسخاً في قلبه. وتقليدنا في العقائد يجعلنا كالذين ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^٥.

٥- سورة المائدة، آية ١٠٤

الدرس الثاني: (معرفة الله)

أول ما ينبغي للإنسان أن يبحث فيه في المسائل العقائدية هو إثبات وجود خالق للكون، إذ لا بد قبل إثبات وحدانية الله من إثبات وجوده تعالى. ولكن بأيّ نوع من المعرفة نعرف الله؟

الجواب عن هذا السؤال يقودنا إلى الكلام عن أنواع المعرفة:

أنواع المعرفة: للمعرفة أربعة أنواع^٦، هي:

أولاً: المعرفة الحسية: وهي معرفةٌ تجريبية، تحصل بواسطة الحواس التي تُدخِل المعلومات إلى العقل، ثم يعمل العقل على ربطها ببعض (والعقل في اللغة بمعنى الربط).

موضوع هذه المعرفة هو المادّيات، وميدانها المختبرات، وأداتها الحواس الخمسة.

وتتجلى هذه المعرفة في علم الفيزياء والكيمياء والأحياء.

وتجدر الإشارة إلى أن المعرفة الحسية عرضة للخطأ، فقد يختلف اثنان على حجم شيء أو وزنه أو على صوت ما.

ثانياً: المعرفة العقلية: وهي معرفة نظرية، تحصل بالاستدلالات العقلية.

موضوعها المعقولات، وأداتها العقل.

^٦- أنظر: عبد الجواد الإبراهيمي، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، ص ٢٧

ومياديين هذه المعرفة هي المنطق والفلسفة والرياضيات.

والمعرفة العقلية أشرف من المعرفة الحسية لأنها لا يعترها الخطأ.

ثالثاً: المعرفة التعبدية: وتُحصل عن طريق خبر المحبر الصادق، كالأحاديث الدينية والمعارف الإسلامية. وهي معرفة مستندة على معرفة سابقة عليها، بمعنى أنه لا بدّ من الإيمان بالله والقرآن والرسول قبل أن نعتد على هذه المعرفة، ونأخذ منها.

رابعاً: المعرفة الحضورية أو الإشرافية: وهي معرفة يقينية، تُحصل عن طريق الكشف. وهي خاصة بالأنبياء والأولياء والأتقياء. فالله يُعلّم الإنسان المتقي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^٧. فالإنسان الذي يسعى إلى تطهير قلبه من أدران المعاصي يصبح أهلاً لأن تنعكس فيه الحقائق الربانية والمعارف الإلهية، حاله حال المرأة المجلوة التي تستطيع أن تعكس الصور على حقيقتها، خلافاً للمرأة المتسخة بالأدران، فلا تستطيع أن تعكس شيئاً.

ويؤيد هذا النوع من المعرفة الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: "ليس العلمُ بكثرة التعلّم، إنما هو نورٌ يقعُ في قلبٍ من يشاء أن يهديه، فإذا أردت العلمَ، فاطلب أولاً في نفسك حقيقةً العبودية، واطلب العلمَ باستعماله، واستفهم الله يفهمك"^٨.

^٧- سورة البقرة، آية ٢٨٢

^٨- الشهيد الثاني، منية المرید، ص ١٤٩

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: بأي نوع من هذه الأنواع الأربعة نعرف الله؟
فلنتفحص مقدرة كل نوع منها على معرفة الله:

- **المعرفة الحسية:** غير قادرة على ذلك لأن موضوعها الماديات، وميادئها
المختبرات، وليس الله تعالى مادةً حتى نعرفه بها.

- **المعرفة التعبديّة:** لا يمكن أن نستدلّ بها على وجود الله، ذلك لأن مصدرها
القرآنٌ وأحاديثُ النبي (صلى الله عليه وآله)، فكيف يمكن أن نعتزف بالنبي أو
بالقرآن إذا لم يثبت لدينا وجودُ الله؟ فهل يمكننا أن نُقنع المنكرَ لوجود الله بآيات
القرآن التي تنص على وجوده تعالى؟ إنما تفيدنا هذه المعرفة بعد أن تُثبت وجود الله
بأن تقوّي إيماننا به.

- **المعرفة الإشراقية:** وهي تُثبت وجودَ الله تعالى، لكنها لا تتسنى إلا لفئةٍ قليلةٍ من
الناس، كالأنبياء والأولياء والمتقين.

- **المعرفة العقلية:** وهي الوسيلة الوحيدة التي يثبت فيها لدينا وجودُ الله تعالى.
ولكن هذا لا يعني أنها لا تستفيد من بقية الأنواع لإثبات وجوده تعالى. فمثلاً:

تستفيد من المعرفة الحسية بضرب المثل: "لكل مصنع صانع"، أو برؤية نظام الكون.
وتستفيد من المعرفة الإشراقية بأن تلمع في القلب أحياناً بعضُ الحقائق التي تدلّ على
وجود الله.

أما المعرفة التعبديّة فدورها متأخر، فهي تدعم المعرفة العقلية بعد أن تُثبت هذه
الأخيرة وجودَ الله، تدعمها بالأحاديث والآيات.

فضل معرفة الله: معرفة الله تعالى هي غاية الغايات، ومنتهى كمال الإنسان، ولها فضل عظيم ولذة لا توصف، صوّرها الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: "لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل، ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة هذه الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت ذنبيهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله عز وجل، وتلدّذوا به تلذذ من لم يزل في روضات الجنّات مع أولياء الله. إن معرفة الله عز وجل أنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم"^٩.

^٩- الشيخ الكليني، الكافي، جزء ٨، ص ٢٤٧

الدرس الثالث: (طرق إثبات وجود الله)

الله لا يحتاج إلى دليل: إن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى دليل يُبَيَّن وجوده، فهو موجودٌ، يراه المؤمنُ بقلبه، ولا يعمى عنه سوى أعمى البصيرة، وحالُ المفتشِ عنه أشبهُ بحالِ حاملِ الفانوس الذي يُفتش به عن نور الشمس، وهذا ما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة: "كيف يُستدلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك؟ أيكونُ لغيرك من الظهورِ ما ليس لك حتى يكونَ هو المظهرَ لك؟ متى غبتَ حتى تحتاجَ إلى دليلٍ يدلُّ عليك؟ ومتى بُعدتَ حتى تكونَ الآثارُ هي التي توصلُ إليك؟! عميتَ عينٌ لا تراك عليها رقيباً".^{١٠}

طرق إثبات وجود الله: هناك عدة طرق لإثبات وجود الله. وهذه الطرق متفاوتة في صعوبة إدراكها؛ فبعضها سهلٌ واضحٌ وبعضها صعبٌ معقدٌ، وذلك لأن الناس متفاوتو العقول، فقد يُشكلُ أحدهم على الطريقِ السهلِ، فيُحتجُّ عليه بما هو أبلغ منه، وهكذا...

ونحن في صدد إثباتنا لوجود الله تعالى سنعمد ثلاثة أدلة، مرتبةً من الأسهل إلى الأصعب، هي: الدليل الفطري، الدليل التأملي، الدليل العقلي.

أولاً: الدليل الفطري: وهو دليلٌ داخلي يلمسه الإنسان في نفسه؛ ففي كل إنسان ميلٌ فطريٌّ مركزٌ في النفس للاعتقاد بوجود قوةٍ غيبيةٍ مطلقةٍ لا حدودَ لها هي الله، إلا إن الحجبَ الظلمانية هي التي تمنع من توقُّد هذه الشعلة الإيمانية.

١٠- بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٢٢٥

وتختلف قوة هذه الشعلة بحسب قرب صاحبها من ربه، إلى أن تصل إلى درجة يقول فيها المعصوم (عليه السلام): "إن لنا مع الله حالاتٍ لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل"^{١١}.

ويؤكد القرآن الكريم هذا الميل الفطري للإنسان نحو الله تعالى بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^{١٢} وبآية الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^{١٣}.

وفي الكافي عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "سألته عن قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ألسنتُ بربكم؟ وفيهم المؤمن والكافر"^{١٤}.

وفي الحديث: "كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"^{١٥}.

١١- الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، ط ٣، لام، لان، لات، ص ٥٢

١٢- سورة الروم، آية ٣٠

١٣- سورة الأعراف، آية ١٧٢

١٤- الكافي جزء ٢، ص ١٢

١٥- الكافي، جزء ٦، هامش ص ١٣

متى يبرز هذا الميل الفطري؟ أكثر ما يبرز هذا الميل في المصائب، حتى قيل: لا

يوجد ملحدٌ في العالم! أي إن الملحد الذي لا يعترف بوجود الله تعالى إذا تعرّض إلى مكروهٍ ما تجده يتوجه بالدعاء إلى قوةٍ ما تخلصه مما هو فيه، وهذه القوة لا شكّ أنّها الله القادرُ على كل شيء. وفي نفس هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^{١٦}.

وفي الرواية أن رجلاً قال للإمام الصادق (ع): يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني. فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينةً قط؟ قال: نعم قال: فهل كُسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟ فقال نعم، قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادرُ على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.^{١٧}

وتفاوتت قوة هذا الميل الفطري بتفاوت البشر، فيكون عند بعض الناس قوياً، وعند آخرين خفيفاً، وعند فئة ثالثة ميتاً. والسبب في ذلك أن الستار المادي يحجب هذا الميل الفطري. أما الذي ينميه فهو العلم والعمل.

^{١٦}- سورة يونس، آية ٢٢

^{١٧}- بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٣٢

الدرس الرابع: (الدليل التأملي والدليل العقلي)

ثانياً: الدليل التأملي: وهو دليلٌ حسيٌّ عقليٌّ قائمٌ على التأمل، وهو على قسمين:

أ- دليل الأثر: وملخصه أن الأثر يدل على وجود المؤثر، والمصنوع يدل على وجود الصانع. فنحن عندما نرى مصنوعاتٍ نوّكد وجودَ صانعٍ لها، إذ يستحيل وجودُ مصنوعٍ لا صانعٍ له.

وهذا الدليل استدل به البدوي الموحد عندما سئل عن دليله على وجود الله فقال: "البعرة تدلُّ على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فجاج، لا تدلانِ على اللطيفِ الخبيرِ؟!".^{١٨}

بهذا الدليل نستدلُّ على وجود الخالق القادر.

ب- دليل النظم: وملخصه أن الذي يتأمل في آيات الله، ويتفكر في مخلوقاته، يلاحظ النظامَ الدقيق الذي يحكمها، وبما أن لكل نظامٍ منظماً، فهذا يدل على أن هناك قوةً أكبرَ من هذه المخلوقات هي التي وضعت فيها هذا النظام، وهذه القوة هي الله تعالى.

الإمام الصادق (عليه السلام) والدليل التأملي: حاجج الإمام الصادق (عليه السلام) رجلاً زنديقاً يُدعى أبا شاکر الديصاني بالدليل التأملي. ففي الرواية أن أبا

^{١٨}- الشهيد الثاني، حقائق الإيمان، ص ٦١

شاعر الديصاني استأذن على الإمام الصادق (عليه السلام)، فأذن له، فلما قعد قال له: "يا جعفر بن محمد، دلّني على معبودي."

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): اجلس، فإذا غلامٌ صغيرٌ في كفه بيضةٌ يلعبُ بها، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ناولني يا غلامُ البيضةَ، فناوله إياها، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا ديصاني، هذا حصنٌ مكنونٌ، له جلدٌ غليظٌ، وتحت الجلدِ الغليظِ جلدٌ رقيقٌ، وتحت الجلدِ الرقيقِ ذهبٌ مائةٌ وفضةٌ ذائبةٌ، فلا الذهبُ المائعةُ تختلطُ بالفضةِ الذائبةِ، ولا الفضةُ الذائبةُ تختلطُ بالذهبِ المائعةِ، فهي على حالها، لم يخرج منها خارجٌ مصلحٌ يُخبرُ عن صلاحها، ولا دخل فيها مفسدٌ فيُخبرُ عن فسادها، لا يُدرى للذكرِ خُلقت أم للأنثى، تنفلقُ عن مثل ألوانِ الطواويسِ، أترى لها مدبراً؟!

قال: فأطرق ملياً، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنت إمامٌ وحقّةٌ من الله على خلقه، وأنا تائبٌ مما كنتُ فيه".^{١٩}

القرآن الكريم يحثُّ على التأمل: حثَّ القرآنُ الكريمُ الناسَ على التأملِ كطريقِ

لِلوَصُولِ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾^{٢٠}

١٩- الكافي، جزء ١، ص ٨٠

٢٠- سورة الطارق، آية ٥

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^{٢١}

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

الْأَبْصَارِ﴾^{٢٢}

هل يمكن أن يكون العالم وليد الصدفة؟ إن المتأمل في الكتاب الذي بين يديه لا يحتمل أبداً أن تكون الصدفة هي التي جمعت بين القلم والورقة، وجعلت القلم يخط حروفاً تؤلف كلمات ذات معنى.

ومن يتأمل في بيت متقن الصنع، لا يشك أبداً أن مهندساً بارعاً قام بهندسته، وعماراً ماهراً قام ببنائه، ولا يحتمل أبداً أن يكون من نتاج الصدفة.

كذلك من ينظر إلى حركة الكواكب، وإلى نظام الغابة، وإلى تصرفات الحيوانات كالنحل والنمل، وإلى الأشجار وطريقه نموها وتلقيحها، وإلى جسم الإنسان وغرائب تركيبه وعمل أعضائه، وإلى ارتباط كل شيء في الكون بكل شيء، كارتباط نمو النبات بالشمس، والشمس بالقمر، والقمر بالبحر... من يتأمل في كل ذلك لا يشك أن وراء هذا كله صانعاً حكيماً عالماً قادراً عظيماً.

أما أنه صانع حكيم، فلدقة النظام الذي يقوم عليه الكون. وأما أنه قادر، فلوجود مخلوقات عظيمة هائلة كالسما والكوكب. وأما أنه عظيم، فلوجود مخلوقات متناهية في الصغر، ولها حياة متكاملة، كالنمل والدر والخلايا...

٢١- سورة الغاشية، آية ١٧

٢٢- سورة آل عمران، آية ١٩٠

ثالثاً: الدليل العقلي: وهو دليل عقليّ صرف، لا دخل للحواس فيه، لذلك فهو

أشرف من الدليل السابق. وفي هذا الدليل نحاول أن نثبت وجود واجب الوجود. ولا بد قبل الكلام في هذا الدليل أن نعرّف كلاً من واجب الوجود وممكن الوجود.

واجب الوجود: هو الموجود بذاته ولا يحتاج إلى علة لتوجدّه، وهو الله.

ممکن الوجود: ما لا يوجد بذاته، بل يحتاج إلى علة ليوجد، كالبيت مثلاً.

والموجودات حسب الافتراض العقلي إما أن تكون:

- كلها واجبة

- كلها ممكنة

- بعضها واجب وبعضها ممكن.

فإن قلنا: كلّها واجبة، أو بعضها واجب وبعضها ممكن، فقد أثبتنا وجود واجب الوجود (وإن لم نثبت وحدانيته).

وإن قلنا: كلّها ممكنة، فهذا مستحيل، لوجهين:

الوجه الأول: ممكّن الوجود يحتاج إلى علة ليوجد (أي إلى شيء يوجده)، وهذه العلة إما أن تكون ممكنة أو واجبة، فإذا كانت ممكنة احتاجت إلى علة، وهذا يؤدي إلى التسلسل، وتسلسل العلل إلى ما لا نهاية محال؛ فإذاً التسلسل باطل. أما إذا كانت واجبة فهو ما نريد إثباته.

الوجه الثاني: إذا كانت كلُّ الموجودات ممكنةً الوجود لَمَّا وُجِدَ منها شيءٌ، حالُّها حالُّ الفريق الذي يقف على خط البداية وكل واحد لا يريد أن ينطلق إلا إذا انطلق صاحبه فبهذه الحالة لا ينطلقون أبداً.

فبعد أن أبطلنا أنّ كلَّ الموجودات ممكنة، نكون قد أثبتنا وجودَ واجب الوجود، ولو لم نثبت وحدانيته في هذا البرهان، إذ إن براهينَ أخرى ستتكفل بإثبات وحدانيته.^{٢٣}

^{٢٣} - للاستزادة من الموضوع، اقرأ: محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، الدرس السابع، ص ٧٠

الدرس الخامس: (التوحيد)

التوحيد ركنٌ مشتركٌ بين جميع الأديان السماوية، إلا إنه تعرّض لتشويهات عبر العصور من أتباع كل دين من هذه الأديان، كالتثليث الذي قال به المسيحيون، أو التحسيم الذي قال به بعضُ الفرق الإسلامية.

عقيدة الشيعة في التوحيد: الشيعة الإمامية تؤمن أن الله واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، ليس كمثله شيءٌ، لا شريكٌ له ولا شبيهةٌ ولا نَدٌّ ولا كُفُوٌ، قادرٌ لا يعجزُ، وغنيٌّ لا يحتاجُ، وأنه المعبودُ الوحيدُ، والمدبّرُ الأمرِ، ومشرّعُ الشرائعِ، والمطاعُ بالذاتِ وحدهُ، وأنه الحاكمُ والشافعُ والغافرُ والرازقُ والمستعانُ.

مراتب التوحيد الحقيقي: للتوحيد الحقيقي اثنتا عشرة مرتبة^{٢٤}، سنفضّل الكلام بأربع منها، بعد أن نُحملها بما يلي:

١. التوحيد الذاتي: أي أنه واحدٌ لا نظيرَ له، بسيطٌ غير مركب.
٢. التوحيد الصفاتي: أي أن صفاته عينُ ذاته، لا شيءٌ آخر مضاف إليه.
٣. التوحيد الأفعالي: أي أنه لا يحتاج إلى غيره في شيء، وإنه لا خالق في الكون إلا هو ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^{٢٥}.

^{٢٤}- أنظر: تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي، الإلهيات، الباب الرابع.

^{٢٥}- سورة محمد، آية ٣٨

٤. التوحيد العبادي: أي أنه لا معبود سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^{٢٦}.

٥. التوحيد في الخالقية: أي أن لا خالق في الكون سواه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾^{٢٧}. أما ما نراه في القرآن من نسبة الخلق غيره فهي بإذن الله، لا بقدره مستقلة ﴿أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^{٢٨}.

٦. التوحيد في الربوبية: ويكون في مجالين؛ في التدبير والتشريع.

أ- في التدبير: إنه لا مدبر للكون إلا هو. قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^{٢٩}.

ب- في التقنين والتشريع: إنه لا مقنن ولا مشرع إلا هو، وليس لأحد حق التشريع غيره.

٧. التوحيد في الطاعة: أي أنه لا مطاع بالذات إلا هو، ولو وجبت إطاعة النبي والإمام فإنما هي بأمره سبحانه. ومعصية الله هي شرك في الطاعة. قال

٢٦- سورة الزخرف، آية ٦٤

٢٧- سورة الأنعام، آية ١٠٢

٢٨- سورة آل عمران، آية ٤٩

٢٩- سورة الأنبياء، آية ٢٢

الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^{٣٠} شرك طاعة وليس شرك عبادة^{٣١}.

٨. التوحيد في الحاكمية: أي أنه لا حاكم إلا هو، وأنه ليس لأحد أن يحكم إلا بإذنه سبحانه ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^{٣٢}، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^{٣٣}. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا تسموا أولادكم الحكم ولا أبا الحكم، فإن الله هو الحكم"^{٣٤}.

٩. التوحيد في الشفاعة: أي أنه لا شافع إلا هو، وأن الشفاعة حق له سبحانه، ولا يشفع أحدٌ لأحدٍ إلا بإذنه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^{٣٥}.

١٠. التوحيد في الاستعانة: أي أنه لا يستعان إلا به، ومن استعان بغيره بزعم أنه يقوم بالإعانة مستقلاً فهو مشرك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^{٣٦}.

^{٣٠}- سورة يوسف، آية ١٠٦

^{٣١}- الكافي جزء ٢، ص ٣٩٨

^{٣٢}- سورة يوسف، آية ٤٠

^{٣٣}- سورة المائدة، آية ٤٤

^{٣٤}- بحار الأنوار، جزء ١٠١، ص ١٢٩

^{٣٥}- سورة البقرة، آية ٢٥٥

^{٣٦}- سورة الفاتحة، آية ٥

١١. التوحيد في المغفرة: أي أنه لا يغفر الذنوب إلا هو ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^{٣٧}.

١٢. التوحيد في الرازقية: أي أنه لا رازق إلا هو ﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُنثَلَّ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{٣٨}.

هذه مراتب التوحيد الحقيقي مُجملة. فالعبد لا يكون موحدًا لله توحيداً حقيقياً
إلا إذا راعى هذه المراتب. وقد يشرك المؤمن يوماً في أفعاله وهو غير ملتفت، قال الله
تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^{٣٩}، ولعلَّ فرض الله للتشهد
تسع مراتٍ في الصلوات الخمس اليومية هو للتطهير من دنسِ هذا الشرك.

ولا يسعنا في هذا المقام الضيق أن نفصل الكلام فيها كاملةً، بل سنفصل
الكلام في الدروس الثلاثة القادمة في المراتب الأربع التالية:

- ١- التوحيد الذاتي (نفي الشريك لله، ونفي التركيب في ذاته).
- ٢- التوحيد الصفاتي (الإيمان باتحاد الصفات مع الذات وعدم مغايرتها لها).
- ٣- التوحيد العبادي (عبادته وحده دون إشراك غيره معه).
- ٤- التوحيد الأفعالي (الإيمان بعدم حاجة الله إلى أحد أو إلى شيء في أفعاله).

٣٧- سورة الزمر، آية ٥٣

٣٨- سورة النمل، آية ٦٤

٣٩- سورة يوسف، آية ١٠٦

الدرس السادس (التوحيد الذاتي)

أولاً: التوحيد الذاتي: وهو أول مراتب التوحيد، وهو الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى واحدٌ أحد. فواحد بمعنى أنه لا ثاني له ولا شريك ولا شبيه، وأحدٌ بمعنى أنه بسيط غير مركب من أجزاء (يد، رأس، أنف...). أو صفات (علم، قدرة، إرادة...). بل هو صرْفُ الوحدة والبساطة، لأن المركب من أجزاء يحتاج إلى أجزاء ويفتقر إليها، والله لا يحتاج ولا يفتقر إلى شيء.

وهذا ما نجد في سورة الإخلاص، فالآية الأولى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تدلُّ على معنى البساطة وعدم التركيب في الذات الإلهية، والآية الرابعة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ تدلُّ على نفي الشريك والشبيه عنه سبحانه وتعالى. فهذه السورة على قصرها دلَّت على أحديَّة الله ووحدانيتته، لذلك سُميت بسورة التوحيد، وقراءتها تعدلُّ قراءة ثلث القرآن كما في الرواية. وروي في الحديث: "لكل شيء نسبة، ونسبة الرب سورة الإخلاص".^{٤٠}

عقيدة التثليث عند المسيحيين والردُّ عليها: وتقابل هذه العقيدة عند المسلمين عقيدة التثليث عند المسيحيين؛ بمعنى كون الإله ثلاثاً. ويُرد عليهم بالإشكال البسيط التالي:

^{٤٠}- الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٩

- إذا كنتم تعتقدون أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثة له وجود مستقل عن الآخر، وفيه صفات الألوهية كاملة، فهذا باطل لأنه يوجب تعدد الآلهة، وينافي الاعتقاد بأنه واحد لا شريك له.

- وإن كنتم تعتقدون بأن هؤلاء الثلاثة ذات شخصية واحدة، بحيث يشكّل كلُّ واحد منهم جزءاً من هذه الشخصية، فهذا باطل لأنه يستوجب التركيب، بحيث يصبح الإله مركباً من أجزاء، وكل مركّب محتاج إلى أجزائه، وهذا ينافي الاعتقاد بأنه أحد.

أدلة التوحيد الذاتي: هناك عدة أدلة على وحدانية الله ذاتاً، نقدم منها ما يلي:

الدليل الأول: وهو أنه لو تصورنا وجودَ إلهٍ آخر مع الله، فهذا يفرض أن يكون لكل واحد منهما صفاتُه المغايرة لصفات الثاني، لأنه لو كان لكل منهما نفس الصفات لأصبحا إلهاً واحداً. وإذا كان لكل واحدٍ منهما صفاته المختلفة من علم وقدره وإرادة، فعندها سيختلفان ويتنازعان، وتكون النتيجة الحاصلة:

- إما أن يغلب واحدٌ الآخر، فيكون في هذه الحالة الغالب إلهاً والمغلوب غير إله، لأن الله قدرته مطلقة لا تُغلب.

- وإما أن لا تغلب إرادته واحدٌ إرادة الآخر، وعندها لن تجرّي إرادته أحدٍ منهما، وبالتالي لن يوجد أيُّ مخلوقٍ في الوجود، وهذا يُبطله وجودُ الموجودات.

من هنا قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^{٤١}. وقال: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^{٤٢}.

الدليل الثاني: لو كان ثمة إله آخر لأتتنا رسله، وبما أنه لم تأتينا رسل غير الإله الواحد، فهذا يؤكد وحدانية الله تعالى. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): "واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه..."^{٤٣}.

الدليل الثالث: لو كان هناك إله آخر لكان لكل واحد صفاته المغايرة، لأن اتفاهما بجميع الصفات يجعلهما واحداً. ووجود صفة زائدة عند واحدٍ منهما تُثبت نقصاً في هذه الصفة عند الآخر، وهذا لا يجوز على الله. فعلى سبيل المثال إذا كان الأول أعلم من الثاني فهذا يُثبت أن في علم الثاني نقصاً، وهذا باطل على الإله.

الدليل الرابع: إذا سلمنا أن الله ذات لا متناهية (غير محدودة)، فإن ذلك ينفي تصور ذات أخرى لا متناهية معها، وإلا صارتا محدودتين.

٤١- سورة الأنبياء، آية ٢٢

٤٢- سورة المؤمنون، آية ٩١

٤٣- نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٤، قسم الرسائل، الرسالة ٣١ (وصيته لابنه الحسن (ع))

الدليل الخامس: لو كانا اثنين، لم يخل الأمر من أن يكون كل واحدٍ منهما قادراً على منع صاحبه مما يريد، أو غير قادر؛ فإن قلنا أنه قادر، فالثاني غيرُ إليه لأنه ممنوعٌ عما يريد، وإن قلنا غير قادر فهو غيرُ إليه لأن الإله قدرته مطلقه.

الدليل السادس: إن المتأمل في الكون وما فيه من مخلوقات، يجده محكوماً بنظام واحدٍ لا غير، فكل نفسٍ أو سكونٍ أو حركةٍ في الكون خاضعٌ لهذا النظام، لذلك لا تقع عينك على خللٍ واحدٍ فيه، وهذا يدلُّ على أن النظام صادر عن خالقٍ واحد، إذ لو كان ثمة خالق آخر مع الله، لصدَرَ عنه نظاماً خاصاً به يتعارض مع نظام الله، وهذا ما لا نراه في الطبيعة. قال الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^{٤٤}.

الدليل السابع: وهو بعض ما ردَّ به الإمام الصادق (عليه السلام) على أحد الزنادقة: "... ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين حتى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة"^{٤٥}.

^{٤٤}- سورة الملك، آية ٣

^{٤٥}- الكافي، ج ١، ص ٨١

الدرس السابع: التوحيد الصفاتي والتوحيد العبادي

ثانياً: التوحيد الصفاتي: الكلام في صفاتِ الله أغرقتِ الكثيرين في بحر الشرك، لأنهم نطقوا بما لا يعرفون، مما استحسنته عقولهم القاصرة؛ فنرى المسيحيين مثلاً وقعوا في الشرك المبين عندما قالوا بأن للذاتِ الإلهية أقانيمَ ثلاثة، أي صفات، وهي صفة العلم والوجود والحياة، وهذه الأقانيم مستقلة عن الذات قد تجسدت في أشخاص، وهو ما يعبرون عنه بالأب والابن وروح القدس.

وكذلك الأمر عند الفرق الإسلامية التي لم تشرب من نبع الحقيقة، ولم تدخل من الباب الى المدينة، بل تسوّرت الجدران فسقطت.

وسنعرضُ رأي كلٍّ من الأشاعرة والمعتزلة والشيعة في صفات الله تعالى:

رأي الأشاعرة: قالت الأشاعرةُ بزيادة الصفات على الذات، أي أن ذات الله تعالى تحوي عدة صفات مختلفة، كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وهذه الصفات غير الذات، فهي حقيقة مضافة إليها وزائدة عليها.

وبما أن الله كان متصفاً بصفاته منذ كان، فصفاته قديمةٌ مثله، ولا يمكن أن تكون حادثة. من هنا قالوا بالقدماء الثمانية!

رأي المعتزلة: أما المعتزلة فقالوا بنبابة الصفات عن الذات حتى يهربوا من الحفرة التي وقع فيها الأشاعرة، فوقعوا بأعظم منها، ذلك أنهم رفضوا أن تكون الصفات غير الذات فيتعدد القدماء، وتصبح الذات مركبة من صفات، والتركيب نقص لأنه يجعل

الكل محتاجاً إلى أجزائه، والله غني عن كل شيء. ولكي يهربوا من كل ذلك نفوا الصفات عن الله، فقال قائلهم^{٤٦}: "هو عالم، قادر، حي، ولا أثبت له علماً ولا قدرة ولا حياة، ولا أثبت سمعاً ولا أثبت بصرًا. وأقول: هو عالم لا يعلم، وقادر لا بقدرة وحي لا بحياة، وسميع لا بسمع، وكذلك سائر ما يُسمّى به من الأسماء التي يسمّى بها"^{٤٧}. وهذا يعارض قول الله عن نفسه بأنه سميع بصير عليم!

رأي الشيعة: أما الشيعة فعقيدتهم في ذلك مأخوذة من مشكاة الأنوار، خُزان علم الله تعالى، أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام). فصفات الله عندهم هي عينٌ ذاته، وغير خارجة عنها، وكلّ صفةٍ هي عين الصفة الأخرى. وهذا رأي وسطي بين الرأيين السابقين، فهم لم يثبتوا صفاتٍ خارجةً عن ذات الله كالأشاعرة، ولا نفوا عنه الصفات كالمعتزلة، إنما قالوا بأن صفاته عينٌ ذاته بمعنى أنها غير خارجة عنه، وبهذا ينفون عنه التعدد بينه وبين صفاته.

ثم إن هذه الصفات هي عين بعضها بمعنى أنه بنفس الصفة (التي هي ذاته) هو عالم وقادر ومريد وحي... لا أن شيئاً منه علم وشيئاً آخر منه قدرة وإلا لزم التركيب. ولا أن شيئاً فيه علم، وأن شيئاً آخر فيه قدرة وإلا لزم التعدد. فهو حي بنفس صفة القدرة، وقادر بنفس صفة العلم، لا قادر بصفة مستقلة عن صفة العلم.

٤٦- عباد بن سليمان المعتزلي

٤٧- الشيخ السبحاني، رسائل ومقالات، ص ٣٦٩، نقلاً عن: مقالات الإسلاميين للأشعري، ج ١، ص ٢٢٥

فالإِنسان مثلاً علمه وقدرته غير ذاته بدليل أنه لم يكن موصوفاً بهما يوماً ما
واتصف، ثم إن علمه غير قدرته؛ فعلمه من الروح، والقدرة من الجسم. وهذا كله لا
ينطبق على الله وإلا لزم فيه التركيب.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "وكمالُ الإِخلاص له نفي الصفاتِ عنه
لشهادة كلِّ صفةٍ أنها غيرُ الموصوف، وشهادة كلِّ موصوفٍ أنه غيرُ الصفة،
فمن وصفَ اللهَ سبحانه [بصفة زائدة عليه] فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن
ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله...^{٤٨}."

ثالثاً: التوحيد العبادي: وهو عبادة الله الواحد الأحد دون إشارك غيره معه
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^{٤٩}، وأن لا أحد يستحق أن يُتَّخَذَ معبوداً
مهما بلغ من الكمال والجلال. وينبغي الالتفات إلى أن عبادة الله لا تكون إلا كما
أمر بها الله، لا كما تستهويها أنفسنا، وإلا صارت عبادة إبليسية.

وكثير من الناس لم يوحّدوا ربهم في عبادته، فتراهم يعبدون البشر من أنبياء
(النبي عيسى (عليه السلام)) أو طواغيت (فرعون)، ويعبدون الحيوانات (البقر)،
والجمادات (الأصنام، الشمس، النار...) والملائكة (كونهم بنات الله)... ولعل
السبب في ذلك عائد إلى عدم رؤية الله، وعدم اقتناعهم بعبادة من لا يُرى.

^{٤٨}- نهج البلاغة، ج ١، ص ١٦، الخطبة الأولى

^{٤٩}- سورة النساء، آية ٣٦

مراتب العبادة: قال الإمام علي (عليه السلام): "إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار"^{٥٠}.

العبادة الحقّة: وهي أن نعبده لأنه أهلٌ للعبادة. وهذه العبادة لا يقدر عليها إلا عباد الله المخلصين. قال الإمام علي (عليه السلام): "إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهل للعبادة فعبدتك"^{٥١}.

^{٥٠}- نهج البلاغة، ج ٤، ص ٥٣، باب الحكم، الحكمة رقم ٢٣٧

^{٥١}- بحار الأنوار، جزء ٤١، ص ١٤

الدرس الثامن: التوحيد الأفعالي

رابعاً: التوحيد الأفعالي: وهو الاعتقاد أولاً بأن الله تعالى في أفعاله غير محتاج لأي أحد ولأي شيء، ولا يمكن لأي موجود أن يعينه وأن يقدم له المساعدة في فعله أو رأيه^{٥٢}. وكيف يحتاج الله إلى مخلوق فقير وهو الخالق الغني؟ ثم إن الله علته المخلوقات كلّها والعلة لا تحتاج إلى معلولها، إذ لا يوجد في المعلول ما لا يوجد في العلة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

والاعتقاد ثانياً بأن كلّ الأفعال التي تقوم بها المخلوقات لا تكون إلا به، فلا الشمس تجري بذاتها، ولا الشجر ينمو بذاته، ولا النار تحرق بذاتها، ولا السيف يقطع بذاته، بل كلّها تفعل ما تفعله بالله الذي أعطاهها هذه القدرة على الفعل. وأنّ رزقك من الله لا من عبديه، فالله قلب قلوبهم على إعطائك، وما هم غير واسطة في العطاء، وهو المعني بالشكر أولاً. وكذلك الحال في إنجائك من موت أو ما شابه.

فاعتقاد البعض مثلاً بأن العالم غير محتاج في بقائه إلى الله (فهو كالساعة تُوقّت ثم تعمل وحدها) اعتقاد باطل؛ إذ إنّ عالم الوجود مفتقر دائماً، وفي كل حالاته، إلى الله، والله هو الذي يُفيض عليه نعمة الوجود باستمرار، وإذا امتنع الله لحظة عن هذه الإفاضة، فلا يبقى وجود.

واعتقاد المفوّضة بأن العبد هو الذي يستقلُّ بفعله دون إرادة الله وقدرته، بل إن الله لا يقدر على منعه عنه، اعتقاد باطل أيضاً. فالله هو الذي أعطى القدرة

^{٥٢}- دروس في العقيدة الإسلامية، ص ١٣٩

للعبد، ولولاها لَمَا استطاع أن يقتلَ نملة، فإرادة العبد طويلة مع إرادة الله وليست عرضية.

مسائل مرتبطة بالتوحيد الأفعالي: ترتبط بالتوحيد الأفعالي مسائلٌ يجدر الإشارة إليها، منها:

أولاً: زيارة مرقد الأئمة (عليهم السلام): إنَّهم الشيعةُ بالشرك في الله، وبأنهم يعبدون أئمتهم (عليهم السلام) لِمَا يُرى من أحوالهم أثناء زيارة مرقدهم (عليهم السلام)، والتبرُّك بها. وهذا افتراء واضح على الشيعة، إذ إنهم يزورون مرقد أئمتهم (عليهم السلام) على سبيل التبرُّك والتوسُّل والاستشفاع لا غير.

ثم إنَّ زيارة مرقد الأئمة (عليهم السلام) عملٌ عبادي نصَّت على استحبابه الروايات الكثيرة، مثله كمثل عيادة المريض وتشيع الجنائز وغيرها، بل هو أفضلها. وتكون هذه الشعيرة شركاً فيما لو كان التوسُّل والاستشفاع بالأئمة (عليهم السلام) على ناحية استقلالهم عن الله، وهذا ما لا يدعيه أحد من الشيعة.

ثانياً: الشرك الخفي: وهو الالتفات إلى غير الله، وترك التوكُّل والاعتماد عليه سبحانه. والشرك الخفي مزلقٌ قد يقع فيه المؤمن الموحِّد عدة مرات في اليوم دون أن يلتفت إليه، وهذا مقصود الآية ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^{٥٣}.

بعض مواضع الشرك الخفي: للشرك الخفي مصاديقٌ كثيرة، منها:

^{٥٣}- سورة يوسف، آية ١٠٦

- الرياء: وهو أكبر مصاديق الشرك الخفي. قال النبي (صلى الله عليه وآله):
"من صلى يُرَائِي فقد أشرك، ومن صام يُرَائِي فقد أشرك، ومن تصدَّق
يُرَائِي فقد أشرك"^{٥٤}. وقال (صلى الله عليه وآله): "إن أخوف ما أخاف
عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال:
الرياء"^{٥٥}. وقال الإمام الصادق (عليه السلام): "كل رياء شرك، إنه من
عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله"^{٥٦}.

- قولك: "ما شاء الله وشئت" و"لولا الله وفلان": ففي الحديث عن النبي
(صلى الله عليه وآله): "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان قولوا ما شاء الله
ثم شاء فلان"^{٥٧}. وفي الرواية أن رجلاً قال للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
"ما شاء الله وشئت، قال: جعلتني لله نداً! ما شاء الله وحده"^{٥٨}.

- قولك: لولا فلان لهلكت، أو لضاع مالي: والصواب أن تقول: لولا أن منَّ
الله عليّ بفلان لهلكت. فعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^{٥٩}: "هو الرجل يقول: لولا

^{٥٤}- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص ٨١٣

^{٥٥}- الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٠١٩، نقلاً عن عدة الداعي.

^{٥٦}- الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤

^{٥٧}- الشوكاني، فتح القدير، ج ١ ص ٦٣

^{٥٨}- المصدر السابق، ج ١ ص ٦٣

^{٥٩}- سورة يوسف، آية ١٠٦

فلانٌ لهلكْتُ، ولولا فلانٌ لما أصبتُ كذا وكذا، ولولا فلانٌ لضاعَ عيالي،
ألا ترى أنه قد جعلَ اللهُ شريكاً في ملكه يرزُقه ويدفعُ عنه؟! قال
[الراوي]: قلت: فيقول: لولا أنَّ اللهُ منَّ عليَّ بفلانٍ لهلكْتُ؟ قال: نعم
لا بأس بهذا ونحوه"^{٦٠}.

- فعل ما يوجب الاعتذار: قال الرسول (صلى الله عليه وآله) لرجل يوصيه:
"إياك وما تَعْتذر منه فإن فيه الشرك الخفي"^{٦١}.

- إحداث شيء صغير في نفسك اتجاءَ اللهُ بعد كارثةٍ تُصاب بها: كأن تلوم
الله وتعتب عليه لعدم إنقاذ ابنك من السقوط في بئر.

- التوجه القلبي إلى غير الله: لا سيِّما إذا كان عدواً لله، كأن تحبَّ لاعِبَ كرةٍ
كافراً.

- تحويل الخاتم أثناء الدعاء: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إن
الشركَ أخفى من ديبِ النمل. وقال: منه تحويلُ الخاتمِ ليذكرَ الحاجةً،
وشبه هذا"^{٦٢}.

- الحلف بغير الله: قال النبي (صلى الله عليه وآله): "من حلف بغير الله فقد
كفر وأشرك"^{٦٣}. وعن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا

^{٦٠}- ابن فهد الحلبي، عدة الداعي، ٨٩

^{٦١}- مصباح الشريعة (المنسوب للإمام الصادق (ع))، ص ١٦٣

^{٦٢}- الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ٣٧٩

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾: "من ذلك قول الرجل: لا وحياتك" ^{٦٥}.

- نسبة الرزق إلى العبد، أو المطر إلى الفصل، أو ما شابه: عن زيد بن خالد الجهني قال: "صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قال: مُطِرنا بفضلِ اللهِ ورحمتهِ فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوءِ ^{٦٦} كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب" ^{٦٧}.

- الاعتماد وتعليق الأمل على غير الله: وذلك في أي أمرٍ من الأمور، والنظر إلى شخصٍ ما بأنه القادر على الإنجاء من مأزقٍ أو الحصول على مكسب. مثال على ذلك: المرأة العاقر التي تعلقُ الأملَ على طيبٍ ما يجعلها قابلةً للإنجاب.

^{٦٣}- السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٩، ص ٤٦

^{٦٤}- سورة يوسف، آية ١٠٦

^{٦٥}- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ٢٦٣

^{٦٦}- النَّوْءُ: النجم إذا مال للمغيب (لسان العرب، جذر نوأ).

^{٦٧}- البخاري، صحيح البخاري، لا ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م، ج ٢، ص

هذه بعض مواضع الشرك الخفي التي غالباً ما يقع فيها المؤمنون عن غفلةٍ، ولا ينحو منها إلا مَنْ يُرجع كلَّ أمرٍ إلى الإله المدبّر الذي ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^{٦٨} ﴿وَالِيهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ﴾^{٦٩}.

إِتِّقَاءُ الشَّرِكِ الْخَفِيِّ: تبين لنا مما سبق أن كثيراً من تصرفات الناس فيها شرك خفي لا يُلتفت إليه، فكيف يُمكن للمؤمن أن يتجنّب الانزلاق في هذه المزالق، لا سيما وأنه كما قال النبي (صلى الله عليه وآله): "دبيبُ الشركِ في أمتي أخفى من ديبِ النملةِ السوداء على الصخرةِ الصماء في الليلةِ الظلماء"^{٧٠}؟

الجواب: يُمكنه ذلك بطريقتين:

الأولى: بأن يتعلّم كيفية التوحيد الحقيقي في الأفعال، ثم يحاول أن يطبّق ذلك عملياً، بأن يراقب نفسه عند كلِّ فعلٍ قام به؛ أُرَجِّعُهُ إِلَى اللَّهِ أَمْ نَسَبَهُ إِلَى الْعَبْدِ؟

الثانية: بأن يتعوّد بالله من الشرك؛ ففي الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "يا أيها الناس اتقوا الشركَ، فإنه أخفى من ديبِ النملِ". فقال من شاء أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديبِ النملِ يا رسولَ الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه"^{٧١}.

^{٦٨}- سورة المؤمنون، آية ٨٨

^{٦٩}- سورة هود، آية ١٢٣

^{٧٠}- المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٨، ص ٤٩

^{٧١}- كنز العمال، ج ٣، ص ٨١٧

الدرس التاسع: (صفات الله تعالى)

صفات الله قسمان: صفات ثبوتية وصفات سلبية.

أولاً: الصفات الثبوتية أو صفات الكمال: وهي التي تثبت ما يليق بالذات الإلهية

كالعلم والقدرة والحياة، وتسمى أيضاً صفات الكمال. وهي على نوعين:

أ- **صفات الذات:** وهي صفاتٌ قديمةٌ موجودةٌ بوجود الله، فهي عين ذاته كما مر سابقاً. وأهم هذه الصفات هي: الحياة، القدرة، العلم، الإرادة، السمع والبصر، القَدَم....

ب- **صفات الأفعال:** وهي صفاتٌ حادثةٌ (ليست عين الذات) ولا يلزم من انتفائها النقص في ذات الله، وهذا ما يفرّقها عن صفات الذات التي لا يمكن أن يتصفَ اللهُ بصدّها، بينما صفات الأفعال يمكن أن يتصف بها وبأضداها، فيُقال: إن الله خلق كذا ولم يخلق كذا، رزق فلاناً ولم يرزق فلاناً، كلم فلاناً ولم يكلم فلاناً.

أما سبب كونها حادثة لأنها متعلقة بحادث، فالخلقُ متعلّقُ بالمخلوق والمخلوقُ حادثٌ، والرزقُ متعلّقُ بالمرزوق والمرزوق حادث.

ثانياً: الصفات السلبية أو صفات الجلال: وهي الصفات التي لا تليق بالكمال

الإلهي أن يتصفَ بها، وهي ممتنعةٌ عليه. وسميت بذلك لأنها تسلب (تنفي) عنه تعالى جميع النقايس وتنزهه عن كلّ عيب. وتسمى أيضاً صفات الجلال (لأن الله يجلُّ بها عن كل نقص). وهي كثيرة أهمها: أنه لا شريك له، وأنه ليس جسماً، ولا يحل في مكان، ولا يُرى، ولا يجهل، ولا يفتقر، ولا يزول، ولا يحتاج...

الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق: قد يتبادر إلى الذهن في هذا المقام

السؤال التالي: هل يوجد صفاتٌ مشتركةٌ بين الخالق والمخلوق؛ فنقول الله عالم والإنسان عالم؟

الجواب: نعم، ولكن هذه الصفة (صفة العلم مثلاً) التي يتصف بها الله تعالى تختلف عن الصفة التي تُطلق على الإنسان بأربعة أمور هي:

الذاتية: هي عين ذاته كما بينا في التوحيد الصفاقي، لكنها ليست عين ذات المخلوق؛ فالإنسان يولد جاهلاً ثم يعلم، وعاجزاً ثم يقدر...

الوجوب: لا يمكن للخالق إلا أن يتصف بصفاته بنفسه، بمعنى أنه لا يستمدها من غيره مطلقاً، ثم إن وجودها فيه واجبٌ، فلا يُمكن ألا أن يكونَ حياً قادراً عالماً... أما المخلوق فصفاته تأتيه من غيره لا من ذاته، كما أن وجودها فيه ليس واجباً، إذ لا مانع من أن يتصف بصفة كمالٍ ما أو ألا يتصف.

القدم: الصفة الإلهية غير حادثة، بمعنى أنها لم تكن مفقودةً ثم وُجدت، فهي قديمةٌ قدم الله. أما في المخلوق فهي حادثة، أي أنها لا تكون موجودةً فيه ثم توجد.

الإطلاق: الصفة الإلهية مطلقة غير محدودة، فلا يُتصوّر مثلاً أن يخفى عن علمه شيءٌ في هذا الكون ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾^{٧٢} ولا يُتصوّر أن يعجز عن شيء... أما

٧٢- سورة يونس، آية ٦١

الصفة في المخلوق فمحدودة؛ فهو يعلم بأمرٍ وتخفى عنه أمور، ويقدر على شيء ولا يقدر على أشياء.

بين التشبيه والتعطيل: افترق الإلهيون إلى ثلاث فرق في نظرهم إلى الله سبحانه وتعالى، وهم: المشبهة أو المجسمة، والمعطلة، والموحدون توحيداً حقيقياً، وهم الشيعة الإثنا عشرية. ونعرض باختصار رأي كل فريق:

المشبهة: أو المجسمة، وهم طائفة من المسلمين، شبّهوا ربّهم بالإنسان، وجعلوا له جسماً معروفاً التفاصيل، حتى قال قائلهم^{٧٣}: "إعفوني عن الفرج واللحية وأسألوني عما وراء ذلك!!" وقال إن معبوده جسمٌ ولحمٌ ودمٌ وله جوارحٌ وأعضاء من يدٍ ورجلٍ ورأسٍ ولسانٍ وعينين وأذنين، ومع ذلك جسم لا كالأجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبه شيء. وحكى عنه أنه قال هو أجوف من أعلاه إلى صدره، مُصمّت^{٧٤} ما سوى ذلك، وأن له وفرة^{٧٥} سوداءً وله شعر قَطَط^{٧٦}.^{٧٧}

^{٧٣}- حكى هذا القول عن داوود الجواربي.

^{٧٤}- مُصمّت: أي لا جوف له.

^{٧٥}- الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، وقيل: ما سال على الأذنين من الشعر. (لسان العرب).

^{٧٦}- قَطَط: كثير الجعودة.

^{٧٧}- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٥

و"قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأن العرش لتتط من تحته كأطيظ الرجل الحديد، وإنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع"^{٧٨}.

"وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه راكباً على حمار، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطح داره معلفاً يضع كل ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً لتجويز أن ينزل الله على حماره على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل ويشتغل الرب بالنداء، ويقول: هل من تائب هل من مستغفر يستغفر وأنا أتوب عليه وأغفر له"^{٧٩}.

"وقالوا: إنه يلبس قباء وجبة، ويركب على جمل"^{٨٠} و"يلبس نعلين من ذهب، ويقف في أرض خضراء"^{٨١}.

و"أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض"^{٨٢}.

^{٧٨}- المصدر السابق، ص ١٠٦

^{٧٩}- السيد علي الميلاني، شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج ١، ص ٨٨

^{٨٠}- العاملي، الانتصار، ج ٢، ص ٣٥٠، نقلاً عن: فتاوي الألباني، ص ٥٠٦

^{٨١}- الشيخ علي كوراني، ألف سؤال وإشكال، ج ١، ص ٣٣

^{٨٢}- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٠٥

وأنه "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزَّتكَ، ويُزوى بعضها إلى بعض"^{٨٣}.

وأنه "ليتجلَّى للناس عامة، ويتجلَّى لأبي بكر خاصة"^{٨٤}... تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً.

المُعطلة: وهم الذين اختاروا تعطيلَ العقولِ عن التفكيرِ في الله سبحانه وتعالى "بِحجة أن البشرَ أُعطيَ العقلَ لإقامة العبودية لا لإدراكِ الربوبية، فمن شغلَ ما أُعطيَ لإقامة العبودية بإدراكِ الربوبية، فاتته العبودية ولم يدركِ الربوبية"^{٨٥} وأنه ليس لأحد الحكم على الله بشيء من الأحكام.

الشيعة: أما الشيعة فتلتزم بالتوحيد الحقيقي الوسطي بين التشبيه والتعطيل؛ فلا تشبهُ الله سبحانه بشيءٍ كما فعلت المجسِّمة، ولا تُعطلَّ عقولُها عن الكلام في وصف الله بصفاته الكمالية والجلالية التي وصف بها نفسه كما فعلت المعطلة.

واستناد الشيعة في هذه الآراء إلى أئمتهم الأطهار الذين هم عبيدُ علم الله، وورثة علم رسوله. ومما زُوي عن الأئمة (عليهم السلام) في هذا الموضوع قولهم: "التوحيد نفْيُ الحدين، حدُّ التشبيه وحدُّ التعطيل"^{٨٦}.

^{٨٣}- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٢٤ - ٢٢٥

^{٨٤}- السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٩٢

^{٨٥}- الشيخ جعفر السبحاني، رسائل ومقالات، ص ٢٦٥

^{٨٦}- ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، ج ١، ص ٣٠٤

وقولهم: "الناسُ في التوحيد على ثلاثة أقسام: مثبتٌ، ونافيٌ، ومشبهٌ؛ فالمثبتُ مؤمنٌ، والنافي مبطلٌ، والمشبهُ مشركٌ"^{٨٧}.

وقولُ الإمام الصادق (عليه السلام): "لا بدُّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه أنكره ورفع ربوبيته وأبطله، ومن شبَّهه بغيره فقد أثبتَه بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لا بدُّ من إثبات ذاتٍ بلا كيفية لا يستحقُّها غيره، ولا يُشارك فيها، ولا يُحاط بها، ولا يعلمها غيره"^{٨٨}.

^{٨٧}- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٤

^{٨٨}- الكافي، ج ١، ص ٨٥

الدرس العاشر: (بعض حقائق التوحيد)

قيمة التوحيد: نعرض تحت هذا العنوان بعض الروايات التي تبين عظمة التوحيد:

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "التوحيد نصف الدين"^{٨٩}.
- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "إن "لا إله إلا الله" كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل، من قالها مخلصاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه، وكان مصيره إلى النار"^{٩٠}.
- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "حدثني جبرئيلُ سيدُ الملائكة، قال: قال اللهُ سيدُ السادات عز وجل: إني أنا اللهُ لا إله إلا أنا، من أقرَّ لي بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمنَ من عذابي"^{٩١}.
- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "إذا قال العبدُ: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، قال اللهُ تعالى: يا ملائكتي، علمَ عبدي أنه ليس له ربٌّ غيري، أُشهدكم أني غفرتُ له"^{٩٢}.
- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "يا أيها الناس، قولوا "لا إله إلا اللهُ" تفلحوا"^{٩٣}.

^{٨٩}- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٦٨

^{٩٠}- المصدر السابق، ص ٢٣

^{٩١}- الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج ٣، ص ٣٦٢

^{٩٢}- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٦٢

- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "إن قول "لا إله إلا الله" تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أدناها الهم"^{٩٤}.

- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "'لا إله إلا الله"، لا يسبقها عملٌ، ولا تتركُ ذنباً"^{٩٥}.

هل يبلغ أحدٌ كنه معرفته سبحانه وتعالى؟ الأحاديث التالية تبين استحالة ذلك:

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا من لا يعلم ما هو إلا هو"^{٩٦}.

- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "سبحانك ما عرفناك حق معرفتك"^{٩٧}.

- وروي عنه أيضاً (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "لا يبلغ أحدٌ كنه معرفته. فقيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، الله أعلى وأجلُّ أن يطلع أحدٌ على كنه معرفته"^{٩٨}.

- وعنه أيضاً (صلى الله عليه وآله): "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم"^{٩٩}.

^{٩٣}- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٥١

^{٩٤}- جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٥٠

^{٩٥}- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص ٤١٨

^{٩٦}- الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج ٣، ص ٣١٩

^{٩٧}- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٩

^{٩٨}- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣١٩

- قال الإمام الباقر (عليه السلام): "كلّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق، مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم، ولعلّ النمل الصغار تنوهم أن لله تعالى زبائتين فإن ذلك كمالها، وتنوهم أن عدمها نقصانٌ لمن لا يتصفُ بهما!"^{١٠٠}.

النهي عن التفكير في ذات الله: نهي عددٌ من الروايات الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) التفكير في ذات الله لما في ذلك من خوفٍ على المتفكّر من الإلحاد والزندقة. ولا يخفى أن النهي في هذه الروايات موجّهٌ إلى عامة الناس، لا إلى العلماء الذين لا خوفَ عليهم من الانزلاق في وادي الإلحاد. وهذه بعض الروايات:

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبِعِينَ﴾^{١٠١} فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا"^{١٠٢}.

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا"^{١٠٣}.

٩٩- الملا هادي السبزواري، شرح الأسماء الحسنی، ج ١، ص ٢١٠

١٠٠- بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٩٣

١٠١- سورة النجم، آية ٤٢

١٠٢- الكافي، ج ١، ص ٩٢

١٠٣- الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج ٣، ص ٣٢٦

- وقال أيضاً (صلى الله عليه وآله): "تفكروا في كلِّ شيء، ولا تفكّروا في الله تعالى" ١٠٤.

- قال الإمام علي (عليه السلام): "من تفكّر في ذاتِ الله أُلحد" ١٠٥.

- قال الإمام الباقر (عليه السلام): "إياكم والتفكّر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمتِه فانظروا إلى عظيم خلقه" ١٠٦.

- وقال أيضاً (عليه السلام): "تكلّموا في خلقِ الله ولا تتكلّموا في الله؛ فإن الكلامَ في الله لا يزدادُ صاحبُه إلا تحيراً" ١٠٧.

- وقال أيضاً (عليه السلام): "دعوا التفكّر في الله؛ فإن التفكّر في الله لا يزيد إلا تيهًا؛ لأن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصارُ ولا تبلغُه الأخبارُ" ١٠٨.

معنى الله أكبر: يفهم عامةُ الناس من كلمة: "الله أكبر" أنها مقارنةٌ بين الله ومخلوقاته، بمعنى أنه تعالى أكبر من كلِّ شيء، لكن هذا المعنى مرفوضٌ عند الخاصة استناداً إلى هذه الرواية: "قال رجل عنده [عند الإمام الصادق (عليه السلام)]: "الله أكبر". فقال: الله أكبرُ من أيِّ شيء؟ فقال: من كلِّ شيء. فقال أبو عبد

١٠٤- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٦

١٠٥- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٧

١٠٦- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٧

١٠٧- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٧

١٠٨- المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٢٨

الله (عليه السلام): حددته. فقال الرجل: كيف أقول؟ فقال: قل: الله أكبر من أن يوصف" ١٠٩.

هل الله محتجب عن خلقه؟

- "عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه دخل السوق، فإذا هو برجلٍ موليّه ظهره يقول: لا والذي احتجب بالسبع، فضرب عليّ عليه السلام ظهره، ثم قال: من الذي احتجب بالسبع؟ قال: الله يا أمير المؤمنين، قال: أخطأت ثكلتك أمك، إن الله عز وجل ليس بينه وبين خلقه حجابٌ لأنه معهم أينما كانوا. قال: ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين؟ قال: أن تعلم أن الله معك حيث كنت. قال: أطعم المساكين؟ قال: لا إنما حلفت بغير ربك" ١١٠.

- الإمام زين العابدين (عليه السلام) - في الدعاء -: "... وأن الراحل إليك قريب المسافة، وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك" ١١١.

بعض الأحاديث في التوحيد:

١٠٩- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٢١٠

١١٠- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١٨٤

١١١- من دعاء السحر للإمام زين العابدين (ع). راجع: مصباح الكفعمي، ص ٥٨٣

- جاء رجلٌ يهودي اسمه نعثل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وسأله عن بعض الحقائق الإلهية، منها: "يا محمد أخبرني عن قولك: إنه واحدٌ لا شبيه له، أليس الله واحدًا والإنسان واحدًا؟ فوجدانيته أشبهت وحدانية الإنسان. فقال عليه السلام: الله واحدٌ وأحدٌ المعنى، والإنسان واحدٌ ثنويُّ المعنى، جسمٌ وعرضٌ، وبدنٌ وروحٌ، فإنما التشبيه في المعاني لا غير" ^{١١٢}.
- قال رجل للإمام الصادق (عليه السلام): "إن أساس الدين التوحيد والعدل، وعلمه كثيرٌ، ولا بد لعاقلٍ منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهيأ حفظه. فقال: أما التوحيدُ فأن لا تجوزَ على ربك ما جاز عليك، وأما العدلُ فألا تنسبَ إلى خالقك ما لامك عليه" ^{١١٣}.
- قال الإمام علي (عليه السلام): "ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه" ^{١١٤}.
- سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن التوحيد والعدل فقال: "التوحيدُ ألا تتوهمه، والعدلُ ألا تتهمه" ^{١١٥}.

^{١١٢} - بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣٠٤

^{١١٣} - الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ١١

^{١١٤} - نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦

^{١١٥} - الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٣٩

- سأل رجلٌ أميرَ المؤمنين (عليه السلام) فقال: "أين كان ربُّك قبل أن يخلقَ السماء والأرض؟ فقال: "أين" سؤالٌ عن مكان، وكانَ اللهُ ولا مكان" ١١٦.
- وسأله حبرٌ من الأحرار فقال له: "يا أميرَ المؤمنين متى كان ربُّك؟ فقال له: ثكلتك أمُّك، ومتى لم يكن حتى يُقال: متى كان، كان ربي قبلَ القبلِ بلا قبل، ويكون بعدَ البعدِ بلا بعد، ولا غايةً ولا منتهى لغايته، انقطعتِ الغاياتُ عنه، فهو منتهى كلِّ غاية" ١١٧.

١١٦- السيد المرتضى، الأمالي، ج ١، ص ١٠٣

١١٧- التوحيد، ص ١٧٤

الفصل الثاني:

العدل

الدرس الحادي عشر: (العدل الإلهي)

العدل أصلٌ من أصول المذهب: العدل الإلهي هو الأصل الثاني من أصول المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري، وهو ليس أصلاً عند بقية المذاهب الإسلامية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لله تعالى صفاتٌ كثيرةٌ؛ فهو عالمٌ، حكيمٌ، قادرٌ، خالقٌ، عادلٌ... فلماذا اعتُبرت صفةُ العدل من بين سائر صفات الله تعالى أصلاً من أصول المذهب الشيعي؟

الجواب: السبب في ذلك يعود إلى:

١. **أهميتها:** إنَّ للعدل، من بين سائر صفات الله، أهميةً خاصة، بحيث أنَّ كثيراً من الصفات الأخرى مترتبة عليه ومتعلقة به، كالرازق والخالق والقادر... كما أن لبقية الأصول تعلقاً كبيراً به، كالنبوة والإمامة والمعاد.
٢. **الخلاف فيها:** ظهر في صدر الإسلام خلافٌ كبيرٌ بشأن مسألة "عدل الله" بين الأشاعرة من جهة، والشيعة والمعتزلة من جهة ثانية. ونتيجةً لذلك أُطلق على الشيعة والمعتزلة اسم "العدليّة" أو "العدليين" تمييزاً لهما عن فرقة الأشاعرة التي أنكرت العدل الإلهي!

معنى العدل: العدلُ هو "إعطاء كلِّ ذي حقِّ حَقَّهُ"، وعكسه الجور أو الظلم. والعادل هو الذي يضع الأمورَ في مواضعها، أي لا يجرمُ صاحبَ حقِّ حَقَّهُ، ولا يعطي حقّاً لغير صاحبه.

بين العدل والمساواة: تعريف العدل بمعنى التسوية بين شيئين هو تعريف خاطئ؛ إذ إنَّ العادل هو الذي يُعطي كلَّ ذي حقٍّ ما يستحقُّه، بينما تعني التسوية أن يُعطي كلُّ طرفٍ قدر ما يُعطي الطرف الآخر، وفي هذا ظلمٌ إذا كان طرفٌ يستحقُّ أكثر مما يستحقُّ الآخر؛ فالأستاذ الذي يُعطي المتعلِّمين درجاتٍ متساويةً رغم اختلاف جهودهم وطاقتهم هو أستاذٌ ظالم، أما الذي يُعطي كلَّ متعلِّمٍ الدرجة التي يستحقها فهو أستاذٌ عادل.

عقيدتنا في العدل الإلهي: نعتقد، نحن الشيعة الإمامية، أن الله سبحانه وتعالى:

- عادلٌ لا يظلم أحداً مثقال ذرَّة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^{١١٨}.
- متفضِّلٌ على المحسنين بزيادةٍ على ما يستحقون: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^{١١٩}، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^{١٢٠}.
- لا يعاقب أحداً قبل أن تصدر منه معصية، إنما عقابُه يكون على أساس نتيجة الاختبار: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^{١٢١}.

١١٨- سورة النساء، آية ٤٠

١١٩- سورة يونس، آية ٢٦

١٢٠- سورة الأنعام، آية ١٦٠

١٢١- سورة الملك، آية ٢

- لا يعاقبُ العاصين أكثر مما يستحقون: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^{١٢٢}.
- لا يفعلُ القُبْحَ، وكلُّ فعله حَسَنٌ، لأنه عالمٌ قادرٌ حكيمٌ: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^{١٢٣}.
- لا يصدرُ منه العبثُ واللهو: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ﴾^{١٢٤}.
- لا يُكَلِّفُ أحداً فوق طاقته: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{١٢٥}.
- لا يُضِلُّ أحداً من عباده، بل هداهم وهم أضلُّوا أنفسهم: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^{١٢٦}، أو أنهم أطاعوا كبراءهم ورؤساءهم فأضلُّوهم عن طريق الحق: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾^{١٢٧}.

^{١٢٢}- سورة الأنعام، آية ١٦٠

^{١٢٣}- سورة التحريم، آية ٢

^{١٢٤}- سورة الأنبياء، آية ١٦

^{١٢٥}- سورة البقرة، آية ٢٨٦

^{١٢٦}- سورة النحل، آية ١١٨

^{١٢٧}- سورة الأحزاب، آية ٦٧

أما قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^{١٢٨} وقوله: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾^{١٢٩} وما شابههما، فهو لا يفيد الجبرَ وإلا صار العقابُ ظلمًا، إنما يفيد الاختيار؛ بمعنى أن الظالمَ باختيارٍ حرَمَ نفسه من هداية الله تعالى ولم يتعرَّض لها، وذلك بسببِ كثرةِ ذنوبه التي أعمت قلبه، وهكذا يكونُ الله تعالى قد أضلَّهُ نتيجةَ أعماله، وهذا عينُ العدل.

- لا يعاقب الناس على فعله بل على أفعالهم؛ فلا يعاقبهم على الأمور التكوينية، كالسواد والبياض والطول والقصر وكل ما هو غير اختياري لهم، بل يعاقبهم على الأفعال التي كسبوها باختيارهم: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^{١٣٠}.

- كلُّ الناس سواسيةٌ عند الله بالأصل، وإنما يُفضِّلُ الله تعالى واحداً على آخر استناداً إلى تقواه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^{١٣١}.

^{١٢٨}- سورة إبراهيم، آية ٢٧

^{١٢٩}- سورة إبراهيم، آية ٤

^{١٢٠}- سورة البقرة، آية ٢٨١

^{١٣١}- سورة الحجرات، آية ١٣

الدرس الثاني عشر: (أقسام العدل الإلهي وأدلتها)

أقسام العدل الإلهي: الله سبحانه وتعالى عادلٌ عدلاً مطلقاً، لا يُمكن أن يظلم

أحداً مثقال ذرة. وعدلُ الله يكون في التكوين والتشريع والجزاء^{١٣٢}:

أولاً: العدل التكويني: وهو إعطاؤه كلَّ موجودٍ ما يستحقّه ويليقُ به من الوجود،

على حسب قابليّته واستعداده لهذا العطاء؛ فلا يحرمُ قابليّةً أو استعداداً من عطاءٍ

تحتمله وتتسع له ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^{١٣٣}.

والمأمل في الكون يجد أنّ كلَّ شيءٍ فيه قائمٌ على العدل في الخلق ﴿إِنَّا كُلَّ

شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^{١٣٤}؛ فالأرض، مثلاً، لولا جبالها لمادت بأهلها، فخلق الجبال

بأعدادها وأوزانها عدلٌ لأنها تثبتُ الأرض. وأخذُ الإنسانِ للأوكسجين في التنفس،

والنباتات لثاني أوكسيد الكربون عدلٌ، ولولا ذلك لاحتقن الناس. وخلقُ عددٍ محدّدٍ

من كلِّ فئةٍ من الحيوانات أو طائفةٍ من النباتات عدلٌ، ولو اختلّت هذه النسب

تخرّبُ السلسلة الغذائية، وتنقرض المخلوقات! والتناسب بين القوة الجاذبة والقوة

الدافعة في الفضاء عدلٌ، ولولا هذا التناسب لاصطدمت الكواكبُ في الفضاء. من

هنا نفهم قول النبي (صلى الله عليه وآله): "بالعدلِ قامتِ السّمواتُ والأرضُ"^{١٣٥}.

^{١٣٢}- أنظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، للشيخ جعفر السبحاني، الفصل الرابع: العدل الإلهي.

^{١٣٣}- سورة طه، آية ٥٠.

^{١٣٤}- سورة القمر، آية ٤٩.

^{١٣٥}- سيد محمد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ١٤، ص ١٣١.

ثانياً: العدل التشريعي: وهو أن الله تعالى أعطى الإنسان عقلاً، وأرسل هدايته الأنبياء ليُعلِّمُوهُ بالمنجيات والمهلكات، وسنَّ له الشرائع والقوانين الدينية حتى يصل إلى الكمال والسعادة. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^{١٣٦}.

ومن عدله التشريعي أنه تعالى لا يكلف نفساً فوق طاقتها، فنراه مثلاً يُسقط الجهادَ عن الأعمى والأعرج والمريض، ويسقط الصومَ عن المريض والكبير والمسافر... قال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{١٣٧}.

ثالثاً: العدل الجزائي: وهو أنه تعالى لا يساوي بين المصلح والمفسد، والمؤمن والمشرك في مقام الجزاء والعقوبة، بل يجزي كلَّ إنسانٍ بما كسب؛ فيجزى المحسن بالإحسان والثواب، والمسيءَ بالإساءة والعقاب. كما أنه تعالى لا يعاقب عبداً على مخالفة التكليف إلا بعد البيان والإبلاغ. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^{١٣٨}.

أدلة إثبات عدل الله: سنثبت عدل الله تعالى من طريقتين؛ طريق العقل وطريق

النقل:

أولاً: طريق العقل: يحكم العقل بعدل الله ضرورةً، وذلك لأن:

١٣٦- سورة الإسراء، آية ١٥

١٣٧- سورة الأنعام، آية ١٥٢

١٣٨- سورة الأنبياء، آية ٤٧

١. الظلم قبيحٌ بحكم العقل، وتعالى الله عن فعلِ القبيحِ علواً كبيراً.
٢. الله حكيمٌ، نهي عبده عن الظلم؛ والحكيم لا ينهاي غيره عن فعلٍ ثم يفعلهُ.
٣. الله هو المالكُ الحقُّ لكلِّ المخلوقات، وتصرف المالكِ بملكه لا يُعدُّ ظلماً.
٤. للظلم بواعثٌ عديدة، وكلّها لا تجوز على الله تعالى، من هذه البواعث:
 - أ- الجهل بقبح الظلم، والله أجلُّ من أن يوصفَ بالجهل.
 - ب- الحاجةُ إلى الظلم لتثبيت ملكٍ، أو الخوف من فقدِ سلطان، والله غنيٌّ عن ذلك.
 - ت- التلذذُ بالظلم كما يتلذذ بعضُ الناس بتعذيبِ حيوان، وهذا قبيحٌ، والله لا يفعل القبيح.

ثانياً: طريق النقل: ونستدلُّ فيه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة:

١. القرآن الكريم: في القرآن الكريم آيات كثيرةٌ تُثبتُ عدلَ الله تعالى، وتدعو الناس إلى العدل، منها:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^{١٣٩}

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^{١٤٠}

^{١٣٩}- سورة آل عمران، آية ١٨

^{١٤٠}- سورة النساء، آية ٤٠

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^{١٤١}

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾^{١٤٢}

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^{١٤٣}

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^{١٤٤}

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^{١٤٥}...

٢. روايات أهل البيت (عليهم السلام): كثيرة هي الأحاديث والأدعية التي رويت عن أهل البيت (عليهم السلام) في مسألة العدل الإلهي، خاصة عن الإمام علي (عليه السلام) حتى قيل: "التوحيد والعدل علويان، والتشبيه والجبر أمويان"^{١٤٦}. وهذه بعضُها:

^{١٤١}- سورة يونس، آية ٤٤

^{١٤٢}- سورة الأنبياء، آية ٤٧

^{١٤٣}- سورة المائدة، آية ٨

^{١٤٤}- سورة الشورى، آية ٤٠

^{١٤٥}- سورة الحجرات، آية ٩

^{١٤٦}- الشيخ جعفر السبحاني، محاضرات في الإلهيات، ص ١٦٦

- قال الإمام علي (عليه السلام): "الحمدُ لله... الذي صدقَ في ميعاده، وارتفعَ عن ظلمِ عباده، وقامَ بالقسطِ في خلقه، وعدلَ عليهم في حكمه" ^{١٤٧}.
- سئل الإمامُ علي (عليه السلام) عن التوحيد والعدل، فقال: "التوحيدُ أن لا تتوهمه، والعدلُ أن لا تتهمه" ^{١٤٨}.
- قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه يوم الأضحى والجمعة: "وقد علمتُ أنه ليس في حكمك ظلمٌ، ولا في نعمتك عجلة، وإنما يعجلُ من يخافُ الفوت، وإنما يحتاجُ إلى الظلم الضعيفُ، وقد تعاليتَ يا إلهي عن ذلك علواً كبيراً" ^{١٤٩}.

^{١٤٧}- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٨٥

^{١٤٨}- الفتنال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٣٩

^{١٤٩}- الصحيفة السجادية، الدعاء رقم ٤٨

الدرس الثالث عشر: (مسألة الحسن والقبح، ومسألة الجبر والتفويض)

مسألة الحُسن والقبح العقليين: هذه المسألة كانت محلَّ خلافٍ بين الفرق الإسلامية، فانقسم حيالها المسلمون إلى فرقتين كبيرتين؛ العدليين (وهم الشيعة والمعتزلة) وغير العدليين (وهم الأشاعرة). وسنعرض بإيجاز رأي الأشاعرة في هذه المسألة، ثم رأي الشيعة الإمامية.

رأي الأشاعرة: يرى الأشاعرة أن الحسن والقبح لا يثبتان إلا بالشرع، وأن العقل البشري عاجزٌ عن إدراك الحسن والقبح في الأفعال حتى في صورتها الكلية، فحسُّ الفعل ينشأ من أمر الشارع به، وقبحه ينشأ من نهي الشارع عنه.^{١٥٠}

واللَّهُ عند الأشاعرة لا يجبُ عليه شيءٌ، ولا يقبحُ منه شيءٌ^{١٥١}، وبناءً على ذلك، فقد جَوَّزوا على الله تعالى فعلَ القبيح عقلاً، كأنَّ يعاقبَ المطيعين، ويُدخلَ الجنَّةَ العاصين، بل الكافرين، وأن يكلفَ العبادَ أمورٍ فوق طاقتهم ثمَّ يعاقبهم على تركها. وجَوَّزوا عليه أن يصدرَ منه الظلمُ والجورُ والكذبُ والخداعُ، وأن يفعلَ الفعلَ بلا حكمةٍ أو مصلحةٍ أو فائدةٍ، كلُّ ذلك بحجَّةٍ أنَّه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^{١٥٢}.

١٥٠- أنظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، ص ٩٦

١٥١- أنظر: الإيجي، المواقف، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٢٩٠

١٥٢- سورة الأنبياء، آية ٢٣

رأي الشيعة: ترى الشيعة أن الحسن والقبح ذاتيان في الأفعال، فهي حسنة أو قبيحة بحكم العقل لا الشرع، بمعنى أن العقل السليم يدرك بذاته حسن الأفعال وقبحها دون أن يُخبر بذلك الشرع المقدس.

وبناءً على ذلك، فقد نزهت الشيعة الإمامية الله سبحانه وتعالى عن أن يصدر منه أي فعل قبيح، لا لأنه لا يقدر على فعله، بل لأن العقل يحكم بقبحه. والله، في عقيدة الشيعة، لا يفعل القبيح ولا يترك الحسن، وذلك لأنه:

- حكيم: والحكيم لا يفعل إلا الأحسن.
- وعالم: والعالم لا يفعل القبيح عن جهل.
- وغني: والغني لا تدعوه حاجة لفعل القبيح.
- وقادر: والقادر لا يُعجزه فعل الحسن.

مسألة الجبر والتفويض: وهي من المسائل التي كثر حولها النقاش بين المسلمين. وقد

انقسم حيالها المسلمون إلى ثلاث فرق: الجبرية، والمفوضة، والشيعة.

أولاً: الجبرية: ويعتقدون أن أفعال الإنسان ليست صادرةً منه بل من الله؛ فالإنسان مجبورٌ على أفعاله، وأفعاله صادرة عن إرادة الله.

ويعود الفضل في تثبيت دعائم فكرة الجبر إلى معاوية بن أبي سفيان الذي أراد أن يبرر ملكه لثبته، فأوهم الناس أن الله هو الذي أعطاه الخلافة، لأنه لو لم يُرد الله له الخلافة لَمَا نالها، إذ إن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً لا يريد الله.

ثم أتبع بنو أمية وبنو مروان هذا المسلك ليدعموا ملكهم ويسكتوا الناس عن جرائمهم، فبالغوا في ترويجه لدرجة أنهم أقدموا على قتل من لا يقول بها كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي اللذين قتلا على يد الحجاج بن يوسف الثقفي وهشام بن عبد الملك.^{١٥٣} من هنا نفهم قول ابن زياد للعقيلة زينب (عليه السلام): "كيف رأيت فعل الله بأخيك؟" فقد نسب الفعل إلى الله لا إلى الناس.

ثانياً: المفوضة: ويعتقدون أن العبد هو الذي يختار أفعاله، وليس لله تأثير في ذلك، فالله خلق الإنسان وخلق فيه الإرادة والقدرة، ثم إن الإنسان يفعل ما يشاء بالقدرة التي منحه الله إياها، وليس لله سبحانه شأن في أفعال عباده.

والقائل بهذا القول هم المعتزلة، ودليلهم أنه لو لم يكن الإنسان هو المستقل بفعله لَمَا صح الثواب والعقاب.

ثالثاً: الشيعة: في الواقع لقد تطرف كل من الجبرية والمفوضة، فكان موقف الشيعة بين الإفراط والتفريط، أي بين الجبر والتفويض؛ فالله سبحانه وتعالى أمر عباده ببعض الأفعال ولم يجبرهم على فعلها، ونهاهم عن بعض الأفعال وحذرهم من فعلها؛ فإذا أطاع العبد لم يكن مجبوراً، وإذا عصى كان موزوراً. من هنا نفهم قول الإمام الصادق (عليه السلام): "لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين"^{١٥٤}.

^{١٥٣}- أنظر: هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، ص ٣٤٢

^{١٥٤}- الشيخ الصدوق، الهداية، ص ١٩

فنحن لا نعتقد (كالجبرية) أن الله هو الذي يفعل لا الإنسان، وإلا بطل المعاد والحساب. ولا نعتقد (كالمفوضة) أن الإنسان هو الذي يفعل بإرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله تعالى وقدرته، وإلا وقعنا في الشرك الأفعالي، ولكن نعتقد أن الله هو الذي أعطى الإنسان القوة والإرادة ليفعل، وأن الإنسان يفعل ذلك باختياره دون أن يخرج في ذلك عن قدرة الله تعالى، فالله يستطيع أن يمنعه من الفعل ولكن لا يفعل ذلك ليستقيم قانونُ الثواب والعقاب.

ولتوضيح الفكرة نجسدها بالتشبيه التالي: القدرة الإلهية التي يعطيها الله لعباده أشبه بالوقود الذي لا تتحرك السيارة بدونها، فإذا قاد السائق سيارته إلى وادٍ سحيق فهل يحقُّ له أن يرمي باللوم على الوقود لأنه كان السبب في تحريك السيارة، أم على عقله الذي اختار له هذا العمل؟

من هنا نفهم أن قتل الإمام الحسين (ع) مثلاً لم يكن من الله (كما تقول الجبرية)، ولم يكن بقوة خارجة عن قوة الله (كما تقول المفوضة)، إنما بقوة وهبها الله للقاتل، والقاتل اختار فعله فحقَّ عليه العقاب، وحقَّ للإمام الثواب على صبره. ونفهم أيضاً قول الإمام زين العابدين (ع) عندما سأله ابن زياد (لعنه الله) عن اسمه فأجاب: علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين، فقال له علي (ع): قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس، فقال له ابن زياد: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين (ع): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^{١٥٥}.^{١٥٦}

^{١٥٥} - سورة الزمر، آية ٤٢

^{١٥٦} - الشيخ المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ١١٦

الدرس الرابع عشر: (شبهة التفاوت بين البشر في عطاء الله)

من الواضح لجميع الناس أن هناك تفاوتاً بين المخلوقات في عطاء الله لهم؛ فهذا بشرٌ عاقلٌ، وهذه بهيمةٌ عجماء^{١٥٧}، وتلك أشجارٌ بكماء، وذلك جماد موات.

وليس هذا فحسب، بل بين الجنس الواحد تفاوتٌ كبير؛ فزرى، مثلاً، إنساناً حكيماً وآخر أحمق، ورجلاً غنياً وآخر فقيراً، وواحداً سليماً وآخر مريضاً، وفتاةً حسناءً وأخرى شوهاء^{١٥٨}، وإنساناً يموت فتىً وآخر يُعمّر ويهرم...

الإشكالية وردُّها: إن رؤية ذلك في الخلق تحدو بجهلة الناس إلى اتهام الله في عدليه، ونسبة الظلم إليه، تعالى الله عنه علواً كبيراً. وردُّ هذه الإشكالية، وتوضيح هذه الشبهة يتحقّق بمعرفة الأمور التالية:

١. إن اختلاف المخلوقات في العطاء الرباني أمرٌ تفرضه حكمة الخلق، فيستحيل أن يساوي الله بين كل مخلوقاته في عطائه وإلا لخلقهم كلّهم شيئاً واحداً (كلّهم إنسان أو كلّهم حيوان، كلّهم رجال أو كلّهم نساء....) وهذا باطل لا يكون، لأن الكون لا يستمر إلا بتنوّع المخلوقات.

٢. لكلّ مخلوقٍ قابليّة معينة وسعة محدّدة، ولم يميز الله بالعطاء إلا لأن القابليات مختلفة؛ فإذا خلق وعاء يتسع لخمسة لترات من الماء وأعطاه مِلاً ماءً، وخلق

^{١٥٧} - العجماء هي البهيمة، سميت بذلك لأنها لا تتكلم. انظر: لسان العرب، فعل: عجم.

^{١٥٨} - الشوهاء هي القبيحة، ورجل أشوه: قبيح الوجه. انظر: لسان العرب، فعل: شوه.

وعاء يتسع لعشرة لترات وأعطاه ملاء ماءً يكون عادلاً مساوياً في العطاء، وأما إذا أعطى الوعائين نفس الكمية من الماء فهذا ليس عادلاً.

وقد يعترض معترض بقوله: لماذا خلق الله وعاءين مختلفين في الحجم؟
الجواب: لأن حكمة الخلق تقتضي التفاوت في القابليات.

٣. قد يدعو إنسانٌ ربّه أن يرزقه بطفلٍ أو بمالٍ أو بصحّةٍ فلا يستجيب له الله، فيتّهمُ الله سبحانه وتعالى بعدله، ويظنُّ أن ذلك عينُ الظلم والشر. أما الواقع، فيكون خلاف ذلك لعلم الله بعاقبة الأمور "ولعلّ الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي لعلمك بعاقبة الأمور"^{١٥٩}. فالله قد يُميت إنساناً في صِعْره ليلطّف به، لأنه يعلم أنه لو كبر لطفى. أو يُفقره ليلطّف به، لأنه يعلم أنه لو أغناه لفسد. أو يُمرضه ليلطّف به، لأنه يعلم أنه لو صلح جسمه لفسد، وعكس ذلك صحيح. وقد ورد في الحديث القدسي: "إنّ من عبّادي المؤمنين لمن لا يصلحُ إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبّادي المؤمنين لمن لا يصلحُ إيمانه إلا بالغناء ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبّادي المؤمنين لمن لا يصلحُ إيمانه إلا بالسُّقم ولو صحّحتُ جسمه لأفسده ذلك، وإن من عبّادي المؤمنين لمن لا يصلحُ إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، إنّي أدبّرُ عبّادي لعلمي بقلوبهم، فإنّي عليمٌ خبيرٌ"^{١٦٠}.

١٥٩- الشيخ الطوسي، مصباح المتهدج، ص ٥٦٤

١٦٠- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٤٠٠

٤. الحكمة تقتضي أن يتفاوت الناس في آجالهم، لأن جهل الناس بأوقات آجالهم يجعلهم دائماً على حذرٍ من المعاصي خوفاً الموتِ عليها. أما لو عرف المرء وقتَ موته، لفسد في حياته وتاب قبل مماته، ولامتألت الأرضُ فساداً، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^{١٦١}.

٥. قد يكون السبب في ولادة الأطفال المشوهين والمعوقين عائداً للأهل، ذلك أنهم يُفسدون المقدمات فتفسد النتيجة.^{١٦٢}

٦. حسابُ الله تعالى على قدرِ عطائه، فلا يُحاسبُ الأقلَّ عطاءً محاسبةً الأكثرِ عطاءً، لأن ذلك ظلمٌ، والله لا يصدر منه الظلم إطلاقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^{١٦٣}. فجزاء ذي الوجه الحسن، مثلاً، يختلف عن جزاء ذي الوجه القبيح، وهكذا^{١٦٤}...

٧. يُعرّف العدلُ بأنه إعطاء كلِّ ذي حقِّ حقه، وعلى هذا يكون حرمانُ صاحبِ الحقِّ من حقه هو الظلم. أما بالنسبة للخلق فليس لهم حقٌّ على الله لأنه خلقهم ورزقهم تفضلاً منه، فلو أعطى واحداً وحرّمَ آخرَ لا يكون ذلك منه ظلماً.

١٦١- سورة المائدة، آية ٦٤

١٦٢- راجع: تأثير الخمر والتدخين على الجنين. وراجع: الأشياء المنهي عنها أثناء العلاقة الزوجية.

١٦٣- سورة النساء، آية ٤٠

١٦٤- راجع قصة "ذي النمرة" مع رسول الله (ص) في كتاب "قصص الأبرار" للشهيد مطهري.

وفي الرواية "عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: يا ابن رسول الله إنا نرى من الأطفال من يُولد ميتاً، ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى أو أخرس أو أصم، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط على الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يُعمَّر حتى يصير شيخاً، فكيف ذلك وما وجهه؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم، وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التعمير فإنما منعه ما ليس له، ومن عمره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطاه وعادل فيما منع، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون. قال جابر: فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يُسأل عما يفعل؟ قال: لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبر الجبار والواحد القهار، فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء مما قضى الله فقد كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد" ١٦٥.

٨. إن الله لا يُنسب إلى الظلم إذا ميّز بين الخلق في عطاءاتهم لأنه المالك الحقيقي لهم ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^{١٦٦}، والمالك الحقيقي حرُّ التصرف بملكه.

١٦٥- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٩٧

١٦٦- سورة النور، آية ٤٢

٩. إن الله حكيمٌ وحكمته مطلقة، وعنده مطلق الكمال، والكمال المطلق لا يصدر منه إلا الكمال؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه. فإذا سلّمنا أنه سبحانه وتعالى حكيم، حُلَّ إشكال التفاوت بين الخلق. فالحكيم يتصرف عن حكمة قد تكون ظاهرة له ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^{١٦٧} مخفيةً عنا ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾^{١٦٨}، فيجب هنا التسليم له كما نسلم للقائد الحكيم (على اختلاف في القياس).

بعد التأمل في هذه الوجوه التي بيّناها من المفترض أن تُحلَّ إشكالية تفاوت الناس فيما بينهم بالعمر والرزق والصحة...

^{١٦٧}- سورة إبراهيم، آية ٣٨

^{١٦٨}- سورة البقرة، آية ٣٢

الدرس الخامس عشر: (شبهة خلق الشرور في العالم)

شبهة خلق الشرور في العالم: يموت يومياً في العالم الكثير من الناس نتيجة الكوارث الطبيعيّة (زلازل، براكين، فيضانات...) أو الحيوانات الفتاكة (أسود، أفاعي...) أو غيرها، وبما أن للكون مدبّراً واحداً لا يخرج عن أمره شيء هو الله سبحانه وتعالى، نتساءل: هل حدوث مثل هذه الكوارث ينافي العدل الإلهي؟

انقسم الناس إلى طوائف حيال هذا المسألة؛ فبعضهم نفى العدل عن الله سبحانه وتعالى ونسب إليه الظلم والشر، وبعضهم أنكّر وجوده أصلاً لاستحالة صدور مثل هذه الأمور عن إله عادل، وبعضهم آمن بوجود إلهين؛ إله للخير (يزدان) وإله للشر (أهريمان) وهم الثنويون.

الجواب عن هذه الشبهة: يُجاب عن هذه الشبهة من عدة وجوه^{١٦٩}:

١. لا يوجد في الكون إلا الخير المطلق، أو ما غلب خيره شرّه، ولا ضير في ذلك فالعالم المادّي عالم التزاحمات. أما ما تساوى فيه الخير والشرّ، أو غلب شرّه خيره، أو ما هو شرٌّ مطلق، فغير موجود إطلاقاً في الكون، لأنّ مدبّر الكون حكيم. فما نسّميه كوارث طبيعية ليس إلا خيراً كبيراً يحملُ ضرراً قليلاً. فظاهرة البرق مثلاً، وإن أحدثت خوفاً أو حريقاً، إلا إنّ لها فوائد جمّة (تسبب المطر، تعطي سماداً طبيعياً للمزروعات، تعقم الأرض وتقتل الميكروبات...). والبركان

^{١٦٩}- راجع: دروس في العقيدة الإسلامية، الدرس العشرون، ص ١٦٤، ومحاضرات في الإلهيات، ص ١٧٥

مثلاً، وإن قتل عدداً من الناس إلا إنه ضروري جداً للأرض، فهو بمثابة التنفس لها، إن لم يحدث قد تنفجر الأرض وتقتل ما عليها من كائنات!

٢. ما نحسبه كارثةً أو شرّاً في كثير من الأحيان لا يكون إلا نظاماً دقيقاً تسيّر بموجبه الكائنات، إلا إن جهلنا بهذا النظام يجعلنا نحكم عليه بهذا الحكم. فالجاهل، مثلاً، إن رأى أسداً مفترساً تُقَطَّعُ أنيابه جسدَ غزالٍ بريٍّ لظنّ ذلك ظلماً وشرّاً عظيماً، علماً أن ذلك ليس عبثاً، بل محكوم بنظامٍ دقيق هو نظام السلسلة الغذائية، بحيث لو لم يقم الأسدُ بذلك لفسدتِ الحياةُ على الأرض كُلُّها أو بعضُها!

٣. قد نحكم على الشيء من وجه مستقل أنه شرٌّ، أما إذا حكمنا عليه من وجه عام متكاملٍ فيكون خيراً. مثلاً، قطع الأشجار بحدّ ذاته، ومن وجهٍ مستقلٍ شرٌّ لما لها من فوائدٍ بيئيةٍ عظيمة. أما إذا كان قطعها مقدّمةً لبناء مستشفى مكانها يُنقذ حياة الكثير من الناس فهو خيرٌ.

٤. إن نظرتنا القاصرة للأمور وجهلنا بحقائقها تجعلنا نقيس خيرها وشرها بمقياسنا الشخصي، غير ملتفتين إلى فائدتها العامة. فمثلاً، لو سُئِلنا عن الأفاعي والعقارب قلنا إنها شرٌّ عظيم (ضرر شخصي)، علماً أنها تمتصُّ السموم من الهواء (فائدة عامة). ولو سُئِل الخفّاش عن النور لقال إنه شرٌّ لأنه يمنع من الرؤية (ضرر شخصي)، علماً أن النور يمنح الرؤية لعدد لا حصر له من المخلوقات (فائدة عامة).

٥. قد تكون الحوادث الطبيعية عذاباً من الله على المذنبين، ويؤكد ذلك قولُ الله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^{١٧٠} وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^{١٧١} وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِيُظْلَمَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾^{١٧٢}.

٦. قد تكون الحوادث الطبيعية من صنع البشر وظلمهم (تجارب كيماوية، قنابل ذرية)، أو الفقر الناتج عن تسلط الحكام على الشعوب، وساعتئذٍ لا نستطيع أن ننسب ذلك إلى الله تعالى على الرغم من قدرته على منع ذلك، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^{١٧٣}.

٧. للحوادث الطبيعية (كالزلازل والبراكين وغيرها) أو الصناعية (كالحروب والأوبئة وغيرها) فوائدٌ جمةٌ على نفس الإنسان وهو غافل عنها، منها أمها:

١٧٠- سورة الأنعام، آية ٦

١٧١- سورة العنكبوت، آية ٤٠

١٧٢- سورة الكهف، آية ٥٩

١٧٣- سورة فاطر، آية ٤٥

أ- توقظه من غفلته، وتقرّبه إلى الله: ﴿فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾^{١٧٤}.

ب- تذكّره بنعم الله المجهولة حتى يشكرها. روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال وقد خرج للاستسقاء: "إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مُقلع، ويتذكّر متذكّر، ويزدجر مزدجر"^{١٧٥}.

ت- تميّز بين جواهر البشر، فيعرف كلُّ واحدٍ جوهره، ويسعى إلى تهذيبه. قال الإمام علي (عليه السلام): "في تقلب الأحوال علمٌ جواهر الرجال"^{١٧٦}.

ث- تفجّر الطاقات الخامدة في الإنسان لإصلاح ما فسد، أو لابتكار طرق وقاية جديدة.

العَوْضُ: يُشكّل البعض: بأن الكوارث إذا نزلت على قومٍ لعقابٍ مذنبه يتأمّ منها الكافر والمؤمن، علماً أن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^{١٧٧} أفلا يُخلُّ ذلك بعدل الله تعالى؟

^{١٧٤}- سورة العنكبوت، آية ٦٥

^{١٧٥}- نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٥، الخطبة رقم ١٤٣

^{١٧٦}- نهج البلاغة، ج ٤، ص ٤٩

والجواب عنه: إن الله سبحانه وتعالى يفصل "يوم الفصل" أهل النار من أهل الجنة ويُجزى كلُّ نفس بما كسبت، ويعوّض غير المستحق عمّا نزل به بما هو أنفع له، وهذا ما يُعرف بـ "العوّض". ولا يشمل العوض من أصيب بنازلةٍ فحسب، بل من أصيب ببلاءٍ في عقله (المجنون) أو جسمه (المعمّوق، الأعمى) أو نفسه... ولا يحقُّ العوض إلا للمؤمن، أما الكافر فيكون ما نزل به بمثابة عقاب له، فسبحان الله أحكم الحاكمين.

الدرس السادس عشر: (البلاء، وعلاقته بالعدل الإلهي)

الدنيا دارٌ محفوفةٌ بالبلاء، يختبر الله تعالى فيها الناس بالخير وبالشر ليحزي الصابرين والعاملين، يقول الله تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^{١٧٨}، ويقول تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^{١٧٩}. إلا إن بعض الناس ممن أصابهم البلاء يتهم الله بعدله، ويحسب أن إصابته بهذا البلاء شرٌّ وظلمٌ. فهل هذا الاعتقاد صحيح؟ وما هي عقيدتنا بالبلاء؟

معنى البلاء: البلاء لغةً هو الاختبار، والجمع بلايا، ونقول: بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلَاءً وَبَلَاءً وَابْتَلَيْتُهُ: اخْتَبَرْتُهُ. والبلاء يكون في الخير والشر.^{١٨٠} وأكثر ما يقع الاختبار بالمرض والفقير والأولاد.

شمول البلاء: البلاء عامٌّ يقع على الناس كافة؛ كافرين ومؤمنين وأولياء، وعلى أيِّ فئةٍ وقع فهو صلاحٌ لها. وسنذكر الغاية من بلاء كلٍّ من الكافر والمؤمن والوليِّ.

أولاً: بلاء الكافر: يأتي بلاء الكافر:

– للعقاب: قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^{١٨١}.

^{١٧٨} - سورة الأنبياء، آية ٣٥

^{١٧٩} - سورة العنكبوت، آية ٢

^{١٨٠} - انظر لسان العرب، فعل: بلا

- للتأديب: بغاية أن يرتدع به عن المعاصي والفواحش ويعودَ إلى ربه. قال الإمام عليّ (عليه السلام): "إنَّ البلاءَ للظالمِ لأدبٍ، وللمؤمنِ امتحانٌ، وللأنبياءِ درجةٌ، وللأولياءِ كرامةٌ" ١٨٢.

ثانياً: بلاء المؤمن: وهو أشدُّ من بلاء الكافر. سئل الإمام الباقر (عليه السلام): "هل يبتلي الله المؤمن؟ فقال: وهل يُبتلى إلا المؤمن؟" ١٨٣. وعن الإمام الصادق (عليه السلام): "إنما المؤمن بمنزلة كفة الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه" ١٨٤. وقال رجل للإمام الباقر (عليه السلام): "والله إني لأحبكم أهل البيت قال: فاتخذ للبلاء جلباباً، فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدأ البلاء ثم بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثم بكم" ١٨٥.

ما الغاية من بلاء المؤمن؟ إذا عرفنا أن الله إذا أحبَّ عبداً ابتلاه، نتساءل: ما الغاية من ذلك؟ أما الجواب فنأخذ من أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) حيث يتضح لنا من كلامهم أن لبلاء المؤمن غايات وفوائد عديدة، منها:

١. تطهير الذنوب:

١٨١- سورة العنكبوت، آية ٤٠

١٨٢- ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٤٣٨

١٨٣- محمد بن همام الإسكافي، التمهيد، ص ٤٢

١٨٤- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٤

١٨٥- الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ١٥٤

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "يا يونس، إن المؤمنَ أكرمُ على الله تعالى من أن يمرَّ عليه أربعون لا يُمَحَّصَ فيها ذنوبه، ولو بغمٍ يصيبُه لا يدري ما وجهُه. والله إنَّ أحدكم ليضعُ الدرهمَ بين يديه فيزنها فيجدُها ناقصةً فيغتمُّ بذلك، فيجدُها سواءً فيكون ذلك خطأً لبعضِ ذنوبه" ^{١٨٦}.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "أما أنه ليس من عرقٍ يضرب ولا نكبةٍ ولا صداعٍ ولا مرضٍ إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ^{١٨٧} وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به" ^{١٨٨}.

٢. التأديب والتذكر لما في البلاءات من العبر والمواعظ:

- قال الإمام علي (عليه السلام): "إذا رأيتَ الله سبحانه يتابعُ عليك البلاءَ فقد أيقظك" ^{١٨٩}.

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): "المؤمنُ لا يمضي عليه أربعون ليلةً إلا عرضَ له أمرٌ يُحزنه يُدكَّر به" ^{١٩٠}.

^{١٨٦}- السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ٣، ص ٩٣

^{١٨٧}- سورة الشورى، آية ٣٠

^{١٨٨}- الكافي، ج ٢، ص ٢٦٩

^{١٨٩}- محمد الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، ص ١٩٧

^{١٩٠}- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٤

٣. زيادة الأجر ورفع الدرجات:

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من ابتلي من المؤمنين ببلاءٍ فصبرَ عليه كان له مثلُ أجرِ ألفِ شهيد" ١٩١.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إنه ليكون للعبد منزلةً عند الله فما ينأها إلا بإحدى خصلتين؛ إما بذهابِ ماله، أو ببليّةٍ في جسده" ١٩٢.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من مرض ليلةً فقبلها بقبولها كتب الله عز وجل له عبادةً ستين سنة. سئل: ما معنى قبولها؟ قال (عليه السلام): لا يشكو ما أصابه فيها إلى أحد" ١٩٣.

- شكّا عبد الله بن أبي يعفور إلى الإمام الصادق (عليه السلام) أوجاعه - وكان مسقماً^{١٩٤} - فقال (عليه السلام): "يا عبدَ الله لو يعلمُ المؤمنُ ما له من الأجر في المصائب، لتمنى أنه قُرّض بالمقاريض" ١٩٥.

٤. علامة محبة الله تعالى لعبده:

١٩١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢٥٥

١٩٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٧

١٩٣- العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج ٧، ص ١٢٨

١٩٤- أي كثير المرض.

١٩٥- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٥

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن الله إذا أحبَّ عبداً غتته^{١٩٦} بالبلاء غتاً"^{١٩٧}.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا أحبَّ الله قوماً أو أحبَّ عبداً صبَّ عليه البلاء صباً، فلا يخرج من غمِّ إلا وقع في غم"^{١٩٨}.

- عن النبي (صلى الله عليه وآله): "إذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه، وإذا أحبَّه الحبُّ البالغُ افتناه، فقالوا: وما معنى الافتناء؟ قال: لا يترك له مالاً ولا ولداً. وإن الله تعالى يتعهدُ عبده المؤمنَ في نفسه وماله بالبلاء كما تتعهدُ الوالدةُ ولدها باللبن، وإنه ليحمي عبده المؤمنَ من الدنيا كما يحمي الطبيبُ المريضَ من الطعام"^{١٩٩}.

فإذا اتَّضح ممَّا تقدَّم أن البلاء خيرٌ للمؤمن، صار حَرِيّاً به ألا يعترضَ عليه ولا يتأفَّف منه، بل أكثر من ذلك عليه أن يُعدَّ البلاء نعمَةً والرِّخاء مصيبةً. قال الإمام الكاظم (عليه السلام): "لن تكونوا مؤمنين حتى تعدّوا البلاء نعمَةً والرِّخاء مصيبةً"^{٢٠٠}.

^{١٩٦}- غتته: تابع عليه البلاء بعضه وراء بعض، أو بمعنى: خنقه به. انظر: لسان العرب، فعل: غنت.

^{١٩٧}- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٣

^{١٩٨}- الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ٤٢٤

^{١٩٩}- الحسن بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٦

^{٢٠٠}- مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٤٢٠

ثالثاً: بلاء الأولياء: وأما بلاء الأولياء (الأنبياء والمعصومين) فهو أشد أنواع البلاء.

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل" ٢٠١.

- و"ذكر عند أبي عبد الله (عليه السلام) البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن، فقال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، وبيتلى المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صحَّ إيمانه وحسن عمله، اشتدَّ بلاؤه، ومن سخر إيمانه وضعف عمله، قلَّ بلاؤه" ٢٠٢.

هل بلاء الأولياء عقاب على ذنوب؟ بلاء الأولياء لا يكون عقاباً على ذنوب، إنما لإعلاء شأنهم وقربحم إليه تعالى. سأل أحدهم الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة...﴾: "أرأيت ما أصاب علياً وأهل بيته (عليه السلام) من بعده أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يتوب إلى الله ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب، إن الله يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب" ٢٠٣.

٢٠١- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٢

٢٠٢- الكافي، ج ٢، ص ٢٥٢

٢٠٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٠

الدرس السابع عشر: (عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة)

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ الْمَصِيرُ﴾^{٢٠٤}.

شبهة عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة: كثيراً ما يُراودُ عقولَ بعضِ الناسِ شكٌّ حول مسألة عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة، فيُتساءل: هل من العدل أن يعذبَ اللهُ العذابَ الكبيرَ على الذنبِ الصغير؟ أو هل من العدلِ أن يجازيَ اللهُ مَنْ يعصيه لفترةٍ قصيرةٍ في الدنيا بخلودٍ أبديٍّ في النار يومَ القيامةِ؟ كيف ينسجم هذا المعنى مع العدالة الإلهية؟ ألا يجب أن يكونَ هناك نوعٌ من التوازن بين الجريمة والعقاب؟

الجواب عن هذه الشبهة: يُجاب عن هذه الشبهة بعدة طرق:

١. **نظام العلة والمعلول:** إنّ الله سبحانه وتعالى وضع نظاماً دقيقاً للكون قائماً على التلازم بين العلة والمعلول؛ فالنار، مثلاً، علةٌ لإحراق الجسم الذي يلمسها، والسُّم علةٌ لموت شاربه، ورمي النفس من الشاهق علةٌ لموت فاعله. كذلك الحال بالنسبة للذنب والعذاب؛ فالعلاقة بينهما قائمةٌ على نظام العلة والمعلول ولا بدّ إذا حصلت العلة أن يحصلَ معلولها، بمعنى أنّ الذنب هو علةُ العذاب، فمن يفعلُ الذنب فعليه أن ينتظر العقوبة، كما أن من يشربُ السُّمَّ (علة) عليه أن ينتظر الموت (معلول).

٢. **عدم التناسب بين مدّة الذنب ومدّة العقوبة:** هناك تناسبٌ بين حجم الذنب وحجم العقاب، ولا تناسب بين مدة الذنب ومدّة العقاب. فمثلاً، من يضع يده في النار لمدة دقيقة واحدة (ذنب) قد يتألم لمدة سنة (عقاب). ومن يشرب السُّمَّ بثوانٍ (ذنب) يموت طيلة الحياة (عقاب) وهكذا...

٣. **تحذير الله:** إن الله سبحانه وتعالى حدّر عبيده قبل أن يعاقبهم، فأخبرهم أن من يعصيه معانداً أو يُشرك به فجزاؤه النار خالداً فيها، فإذا أقدم إنسانٌ على فعل ذلك سيكون هو المسؤول عن نتيجة فعله، فلا يُتَّهم الله بعدله إذا نقذ وعده وخذل الكافر في النار، لأنه أخبره مسبقاً والكافر اختار لنفسه هذا المصير، فالملامة في هذه الحال تقع على المذنب (الكافر) لا على المعاقب (الله).

٤. **تجسّم الصفات والأعمال:** ذهب عددٌ كبيرٌ من العلماء إلى أن الثواب والعقاب الأخرويين ليسا إلا صورةً أخرى لنفس الصفات والأعمال والاعتقادات الإنسانية في الدنيا، بمعنى أن كلّ صفة حسنة أو عمل صالح أو اعتقاد حقّ عند المرء يتجسّم بصورة حسنة تلائمها يوم القيامة، وكل صفة نفسية خبيثة أو عمل طالح أو اعتقاد باطل يتجسّم بصورة خبيثة تلائمها أيضاً. وعلى هذا، فما الحور والرّيحان والثمار وغيرها إلا صفاتنا وأعمالنا واعتقاداتنا الحسنة، وما النار والحيات والعقارب وغيرها إلا صفاتنا وأعمالنا واعتقاداتنا السيئة. ويؤكد هذا الرأي قولُ الله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^{٢٠٥}، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{٢٠٦}،

^{٢٠٥}- سورة الكهف، آية ٤٩

^{٢٠٦}- سورة النمل، آية ٩٠

أي إنهم وجدوا العملَ نفسه مجسماً حاضراً يوم القيامة، لا الثوابَ عليه. وإذا ثبت ذلك، بطلَ الاعتراض على عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة.

هل يُعَذَّبُ اللهُ أطفَالَ المشركين يومَ القيامة؟ هذا سؤالٌ اختلف المسلمون في الإجابة عنه؛ فقد ذهب فريقٌ منهم إلى أن الله يُعَذَّبُ أطفَالَ المشركين في القيامة رغم عدم تكليفهم، وذلك إغاضةً منه لآبائهم الكفار، أو لأنه تعالى يعرف أنهم لو عاشوا حتى بلغوا لكانوا مثل آبائهم؛ فالكافر لا يلد إلا كافرًا!

أما في عقيدتنا نحن الشيعة الإمامية، فإن الله سبحانه وتعالى لا يعذب الأطفال، لأنَّ:

- الأطفال غيرُ مُكَلَّفِينَ: وتعذيب غيرِ المكلف قبيحٌ، والله لا يصدر منه القبح.
- الله تعالى لا يعاقبُ أحداً بوزرٍ غيره: وهو القائل جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^{٢٠٧} فكيف يعذبهم بذنوب آبائهم؟
- القول بأنه سبحانه وتعالى يعذبهم لأنه يعرف أنهم لو عاشوا لكانوا كفاراً كآبائهم
قولٌ باطلٌ: إذ إنّ القصاصَ لا يكون قبل الذنب.

هل يدخل الجنة أحدٌ من المسلمين غير الشيعة الموالى لأهل البيت (عليهم السلام)؟

ما يتّضح من روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن المخالفين أقسام:

^{٢٠٧}- سورة فاطر، آية ١٨

فمنهم الناصبون الذين نصبوا العداة لأهل البيت (عليهم السلام)، وهم من الخالدين في النار لا محالة.

ومنهم أهل الطاعات الذين لا يرون الحقَّ في غير ما يقومون به، فأولئك موقوفون لأمر الله؛ فإن عفى عنهم فبرحمته، وإن عذبهم فبضلالتهم.

ومنهم المستضعفون الذين لا يهتدون إلى العداة ولا إلى الولاء، فهؤلاء يدخلون الجنة بأعمالهم الحسنة وبرحمته تعالى، ولا ينالون منازل الأبرار. ويُلحق بهم الأطفال والأولاد دون الحلم والبُلّه.

وفي الرواية عن أبي عبد الله عن آباءه، عن الإمام علي (عليه السلام) قال: "إن للجنة ثمانية أبواب؛ باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن يشهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدارٌ ذرة من بغضنا أهل البيت" ٢٠٨.

٢٠٨- الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٤٠٨

الفصل الثالث:

النبوة

الدرس الثامن عشر: (النبوة)

من هم الأنبياء؟ الأنبياء أشخاص مصطفون من خيرة عباد الله، اصطفاهم الله بعلمه، وأوكل إليهم مهمة إبلاغ رسالته. فالنبوة منصب رباني، ليس للبشر أن يطمحوا في الوصول إليه، أو أن يعينوا نبياً لهم، فذلك عائد لله تعالى وحده ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^{٢٠٩}.

ما حاجتنا إلى الأنبياء؟ الإنسان مخلوق ضعيف محدود، فعلى الرغم من القدرات الهائلة التي زوده الله بها من غريزة وعقل، فإنه يبقى عاجزاً عن أن يدرك حقوقه وواجباته، وما يُضُرُّه وما ينفعه، وما يُسعدُّه وما يُشقيه في هذه الحياة، فكيف بالحياة الأخرى التي لم يرها ولا يعرف عنها شيئاً؟

من هنا فإن الإنسان بحاجة شديدة لمن يمتلك هذه المعارف إذا أراد أن يصل إلى سر السعادة الدنيوية والأخروية. والأنبياء هم أدرى المخلوقات بهذه الأمور لأنهم يُجَبِّرون عن الخالق العليم، لذلك فوجودهم ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها.

النبوة لطف إلهي: النفس البشرية عند أغلب الناس أقوى من العقل، وهي بطبعها ميالة إلى الشهوات المحرمة، وهذا الميل يقودها إلى نار الجحيم. ولما كان الله كريماً لطيفاً قادراً، وجب عليه أن يلطف بالناس ويبعث لهم الأنبياء. ولا يعني الوجوب هنا أنّ أحداً أوجب عليه، بل كرمه ورأفته وقدرته أوجبوا عليه إفاضة اللطف.

^{٢٠٩}- سورة الأنعام، آية ١٢٤

ما الغاية من إرسال الأنبياء؟ وضح القرآن الكريم عدة غايات من إرسال الأنبياء

والرسل، وهذه الغايات هي:

- دعوة الناس إلى عبادة الله وحده: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^{٢١٠}.

- الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^{٢١١}.

- قيام الناس بالقسط، ونشر العدالة في المجتمع البشري: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^{٢١٢}.

- تعليم الناس وتزكيتهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^{٢١٣}.

- إتمام الحجة على العباد: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^{٢١٤}.

^{٢١٠}- سورة النحل، آية ٣٦

^{٢١١}- سورة البقرة، آية ٢١٣

^{٢١٢}- سورة الحديد، آية ٢٥

^{٢١٣}- سورة الجمعة، آية ٢

^{٢١٤}- سورة النساء، آية ١٦٥

عدد الأنبياء والرسول: اختلفت الروايات التي تذكر عدد الأنبياء والرسول، ولكن أشهرها تلك التي وردت عن أبي ذر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألف نبي، أما المرسلون منهم فتلاثمائة وثلاثة عشر نبياً^{٢١٥}.

الفرق بين النبي والرسول: اختلف علماء الإسلام في الفرق بين النبي والرسول، وهذه خلاصة آرائهم:

- قال فريق بالتزادف، أي أن النبي والرسول واحد لا فرق بينهما.^{٢١٦}
- وقال فريق أن الرسول هو من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول فهو من لم ينزل عليه كتاب، وإنما يدعو إلى كتاب من قبله^{٢١٧}.
- وقال فريق أن الرسول هو صاحب المعجزة، وصاحب كتاب نسخ شرع من قبله، أما النبي فهو الذي يأتي بكتاب لم ينسخ شرع من قبله.^{٢١٨}
- وقال فريق أن الرسول هو الذي يُبعث فيؤمر بالتبليغ ويحمل الرسالة، والنبي هو الذي يُبعث سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر^{٢١٩}. ولتوضيح غاية كل منهما فقد شبه الشيخ مكارم الشيرازي النبي بالطبيب الذي يجلس في مكانه منتظراً المرضى

^{٢١٥}- السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٤١

^{٢١٦}- السيد نعمه الله الجزائري، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، ص ٧

^{٢١٧}- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

^{٢١٨}- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

^{٢١٩}- تفسير الميزان، ج ٢، ص ١٣٩

ليجيب عن أسئلتهم، وشبه الرسول بالطبيب السيار الذي يقصد المرضى
بنفسه ٢٢٠.

- وقال فريق أن النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، أما
الرسول فهو يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك. ويدعم هذا الرأي رواية
زرارة حيث قال: "سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل:
﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^{٢٢١} ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في
منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت
ويرى في المنام ويعاين الملك".^{٢٢٢}

- وقال فريق "أن النبي هو المخبر من الله من غير واسطة أحد من البشر، وإنما
الواسطة ملك من الملائكة، وهو جبرئيل، من دون أن يكلف بالتبليغ الملزوم،
والرسول بعكسه في التبليغ"^{٢٢٣}.

^{٢٢٠}- راجع: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٩، ص ٤٦٩

^{٢٢١}- سورة مريم، آية ٥١

^{٢٢٢}- الكافي، ج ١، ص ١٧٦

^{٢٢٣}- ابن أبي جمهور الإحساني، عوالي اللآلي، ج ١، ص ٩٢

- وقال فريقٌ أن مقام النبوة عام وصل إليه الجميع، أما مقام الرسالة خاص لم يصل إليه إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وبطبيعة الحال يكون مقامهم أسمى من مقام سائر الأنبياء وقد نال بعضهم مقام "الإمامة".^{٢٢٤}

الأنبياء أولو العزم: الأنبياء أولو العزم خمسة، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام أجمعين)، وهم أصحاب الشرائع السماوية. أما بقيّة الأنبياء فهم أتباع هؤلاء الخمسة في شرائعهم، وأقل منهم فضلاً. ويجب الاعتقاد بهم جميعاً، والمنكر لواحد منهم يُعدّ كافراً.

التفاضل بين الأنبياء والرسول: لا شك أن الله سبحانه وتعالى فاضل بين أنبيائه ورسله، فجعل بعض الأنبياء أفضل من بعض **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾**^{٢٢٥}. وجعل بعض الرسل أفضل من بعض **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾**^{٢٢٦}. وأولو العزم الخمسة هم أفضل الرسل.

طرق إثبات النبوة: تثبت نبوة كل نبي بعدة أمور مجتمعة، وهذه الأمور هي:

١. إخبار النبي السابق: أن يُخبر النبي السابق الثابتة نبوته بنبوة النبي اللاحق، كما صرح النبي عيسى (عليه السلام) بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

^{٢٢٤}- عبد الجواد الإبراهيمي، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، ص ١٣٨

^{٢٢٥}- سورة الإسراء، آية ٥٥

^{٢٢٦}- سورة البقرة، آية ٢٥٣

٢. تاريخه الناصع: أن يشهد له تاريخه الأبيض وسيرته الحسنة، فلا يكون كافراً قبل النبوة، أو مشتهراً بعبادات قبيحة وأخلاق سيئة، بل يجب أن يكون قبل النبوة مضربَ مثلٍ في الأخلاق الحميدة والخصال الحسنة.

٣. محتوى دعواه: فلا يأتي برسالة تأمر بما يخالف الفطرة الإنسانية من عقائد فاسدة (كعبادة غير الله أو الإيمان بوجود شريك له) أو أخلاق فاسدة (كتجوير الكذب والسرقة والزنا...).

٤. أسلوبه في نشر الدعوة: بأن يكون رحيماً رقيقاً مع الناس، لا فظاً غليظاً تنفر الناس من سوء أخلاقه.

٥. المعجزة: أن يأتي بمعجزة خارقة للعادة يتحدى بها الآخرين، وتكون دليلاً على صدق دعواه، ولا يكون أحدٌ غيره قادراً على الإتيان بمثله. وتختلف المعجزة عن الكرامة بأن الأولى خاصة للأنبياء وتكون مقرونة بالتحدي بإتيان مثله، بينما تكون الثانية للأولياء دون تحدٍ.

الدرس التاسع عشر: (العصمة)

تعريف العِصْمَةِ: العِصْمَةُ لغَةً هي المنع ﴿قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾^{٢٢٧} أي يمنعني. وعِصْمَةُ اللَّهِ عَبْدَهُ: أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُؤْبِقُهُ. عَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْمًا: مَنْعَهُ وَوَقَاهُ.^{٢٢٨}

أما في الاصطلاح فهي قوّة باطنية تمنع صاحبها من الخطأ بحيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً مع قدرته على الترك والفعال.

حقيقة العِصْمَةِ ومراتبها: العِصْمَةُ منشؤها العلم اليقيني، فكما أن الإنسان العاقل لا يمدُّ يده إلى سلكٍ كهربيٍّ، ولا يشرب كوباً من السُّمِّ، ولا يرمي نفسه من شاهقٍ لعلمه بالعاقبة الوخيمة التي تنتظره بعد هذه الأفعال، كذلك المعصوم لا يُقدِّم على ذنبٍ لأنه يعرف تمام المعرفة عاقبة هذا الذنب. إذن، فالذي يَعْصِمُ عن الذنب هو العلم اليقيني بالعقاب.

وهكذا تتفاوت درجة العصمة عن الذنوب بتفاوت درجة اليقين بالعقاب، إلى أن يصل الإنسان لمرحلةٍ يجعله الله فيها يوقن بالجنة والنار كما لو أنه يراها بعينه، وهذا هو يقين المعصومين. يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): "لو كُشِفَ لي

^{٢٢٧}- سورة هود، آية ٤٣

^{٢٢٨}- انظر: لسان العرب، فعل: عصم

الغطاء ما ازددت يقيناً"^{٢٢٩}. ويقول في وصف المتقين: "فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون"^{٢٣٠}.

من هنا يتضح لنا أن للعصمة مراتب، فهي تبدأ مع الناس العاديين، وتنتهي مع الأنبياء والأولياء المعصومين (عليه السلام).

هل يستطيع أي واحد أن يصل إلى درجة العصمة؟ صحيح أن الإنسان العادي معصومٌ عن بعض الأفعال، وصحيح أنه يستطيع أن يرتقي بتقواه إلى أن يعصم نفسه عن كل المحرمات، لكن هذا لا يعني أن يصبح معصوماً من قِبَلِ الله تعالى. فالعصمة لطفٌ إلهي لا يناله إلا القليلون من البشر، والمعصومون من قِبَلِ الله معدودون وهم الأنبياء وأوصيائهم مع بعض الكُمَّل من الناس.

لماذا عصم الله تعالى بعض الناس دون بعض؟ تأييد الله بالعصمة أمرٌ لاحقٌ لا سابق، بمعنى أن الله لا يؤيد بالعصمة إلا من اطلع على حسن نيته وإخلاصه من أول حياته، وعلم بالطريق الذي سيسلكه في مستقبله، وبذلك تكون العصمة من العبد ابتداءً ومن الله تأييداً.

ويؤكد ذلك قول الإمام الباقر (عليه السلام): "إذا علم الله تعالى حسن نية من أحد اكتشفه بالعصمة"^{٢٣١} أي أحاطه بها.

٢٢٩- العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج ٣، ص ٤٤

٢٢٠- نهج البلاغة، خطبة المتقين، ج ٢، ص ١٦١

٢٢١- المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٨٨

ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في دعاء التّوبة في الكلام عن عهد الله بينه وبين أنبيائه: "... بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها"^{٢٣٢}، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم"^{٢٣٣}. وشبيه ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في جواب أحد الزنادقة: "فعل ذلك لا لأمرٍ استحقّوه من الله عزّ وجلّ ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده"^{٢٣٤}.

ما الفضل للمعصوم إذا كان الله هو الذي عصمه؟ يرى البعض أن ليس للمعصوم فضلٌ إن امتنع عن ارتكاب الذنب لأنّ الله تعالى هو الذي عصمه عنه. أما الإجابة عن هذا السؤال فتستفاد من الفقرة السابقة وهي أن الله تعالى لم يعصمه جُزافاً، بل عصمه لأنه اطّلع على حسن نيّته وإخلاصه وخضوعه له، فأعطاه العلم الذي يمتنع معه عن الإقدام على الذنب. إذن، فهو السبب في عصمة نفسه، وهذا عينُ الفضل.

هل العصمة تنفي الاختيار؟ أي هل المعصوم لا يستطيع أن يرتكب ذنباً؟ العصمة لا تعني الإجبار على فعل الطاعة وترك المعصية، بل للمعصوم الحرية والاختيار أن يفعل ما يشاء، إلا إنّ تقواه العالية، وعلمه اليقيني بنتيجة فعله يمنعه عن ارتكاب

^{٢٣٢} - زبرجها: زينتها

^{٢٣٣} - ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج ١، ص ٥٠٥

^{٢٣٤} - الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٨٣

الإثم. إنه تماماً كالوالد العطوف الذي لا يذبح ابنه ولو أُعطيَ ملء الأرض ذهباً، رغم أنه يستطيع أن يفعل ذلك.

من هنا يقول الإمام علي (عليه السلام): "والله لو أُعطيَتُ الأقاليمَ السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصيَ الله في نملةٍ أسلبها جلبٌ^{٢٣٥} شعيرةٍ ما فعلتُ"^{٢٣٦}. فلا شك أن الإمام (عليه السلام) قادرٌ على أن يسلبَ النملةَ شعيرتها، لكنه لا يفعل ذلك لأنه ظلمٌ، ولأنه يعرف تمام المعرفة عقابَ الظالم عند الله تعالى.

عقيدتنا في عصمة الأنبياء: ذهب علماء الشيعة الإمامية كافةً أن أنبياء الله معصومون جميعاً وجوباً، منذ ولادتهم وحتى مماتهم. وأنهم معصومون في تبليغ الرسالة وفي سواها من الحياة الاجتماعية. وأنهم معصومون عن الذنوب كافةً؛ صغائرهما وكبائرها، عن عمدٍ أو عن سهو^{٢٣٧}. وأنهم معصومون عن العيوب الخلقية (الحقد، البخل، الحسد...) والعيوب الخلقية (العور، البرص...) وعن دناءة النسب، وعمّا ينافي المروءة كالأكل في الطريق أو الضحك العالي، وكل عمل يُستهجنُ فعلُهُ عند العُرف العام.

^{٢٣٥}- جلب شعيرة: أي قشرتها.

^{٢٣٦}- نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٠٨، خطبة رقم ٢٢٤

^{٢٣٧}- راجع: العلامة الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، ص ١٤٢

وهذه العقيدة تحالف عقيدة أهل الخلاف الذين جوّزوا المعاصي والسّهو والغلط والنسيان على الأنبياء، بل إن بعضهم جوّز عليهم الكفر قبل النبوة وبعدها! ^{٢٣٨}

الأدلة على وجوب عصمة الأنبياء: يجب أن يكون النبي معصوماً بحكم العقل، وذلك للأمور التالية:

١. لو جاز للنبي أن يذنب وأذنب، فيما أن نطيعه أو لا نطيعه، فإن أظنناه نكون قد عصينا الله بالذنب، وإن لم نطعه فنكون قد عصيناه بأمره حيث يقول: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ^{٢٣٩}، وهذا باطل.

٢. لو جاز للنبي أن يخطئ لفقدت الثقة به وبالرسالة، ولم يعد من الممكن الاعتماد على أقواله، بحيث يُحتمل أن يكون كلُّ أمرٍ صادرٍ عنه هو مما أخطأ به، فتذهب فائدة البعثة.

٣. لو لم يكن النبي معصوماً لكان موردَ عتاب من الله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ^{٢٤٠}.

^{٢٣٨}- راجع: الشيخ محمد رضا المظفر، دلائل الصدق لنهج الحق، ج ٤، ص ١٧

^{٢٣٩}- سورة النور، آية ٥٤

^{٢٤٠}- سورة الصف، آية ٢

تأويل الآيات الدالة على عدم العصمة: ورد في القرآن الكريم بعض الآيات تدلّ على عصيان الأنبياء (سلام الله عليهم)، وهذه الآيات محمولةٌ عند الشيعة على محامل:

- ترك الأولى: أي الكراهة.
 - من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين".
 - من باب مخاطبة النبي وقصد غيره.
- ومن شاء الاستزادة في هذا الموضوع فليراجع كتاب "تنزيه الأنبياء" للشريف المرتضى.

الدرس العشرون: عقيدتنا في النبي محمد (ص) وفي الإسلام

عقيدتنا في النبي محمد (صلى الله عليه وآله): نعتقد نحن الشيعة الإمامية أن

النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وأفضلهم أجمعين،

وأنه خيرُ البشر وأعقلهم وأكرمهم وأعظمهم خُلُقاً من أول الخليفةِ إلى آخرها،

وأنه معصوم من جميع الأخطاء والذنوب صغيرها وكبيرها، ومن الزلل والنسيان

والهذيان ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^{٢٤١}،

وأنه العبد الذي بلغ مرتبة لم يبلغها نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقربٌ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ

أَوْ أَدْنَىٰ﴾^{٢٤٢}، فهو أحبُّ الخلق إلى الله تعالى وأكرمهم عليه وأقربهم إليه،

وأنه لأجله خلق الله الخلق؛ ففي الحديث: "لولاك ما خلقت الأفلاك"^{٢٤٣}،

وأنَّ أولَ ما خلق الله تعالى من المخلوقات نوره (صلى الله عليه وآله)، والروايات في

هذا المجال كثيرةٌ.

بعض الروايات الدالة على أن أولَ ما خلق الله هو نورُ محمد (ص):

- عن النبي (صلى الله عليه وآله): "أولُ ما خلق الله نورُ نبيِّك يا جابر"^{٢٤٤}.

^{٢٤١}- سورة النجم، آية ٣-٤

^{٢٤٢}- سورة النجم، آية ٩

^{٢٤٣}- بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٨

^{٢٤٤}- العجلوني، كشف الخفاء، ج ١، ص ٢٦٥

- عن النبي (صلى الله عليه وآله): "أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته" ٢٤٥.

- عن النبي (صلى الله عليه وآله): "أول ما خلق الله نوري ففتق منه نور علي" ٢٤٦.

- وعن علي (عليه السلام): "إن الله تبارك وتعالى خلق نورَ محمد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار... وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة" ٢٤٧.

- وعن الباقر (عليه السلام): "يا جابر، كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأول ما ابتداءً من خلق خلقه أن خلق محمداً" صلى الله عليه وآله "وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبح الله تعالى ونقدسُه ونحمده ونعبده حق عبادته" ٢٤٨.

٢٤٥- بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٤

٢٤٦- بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ١٧٠

٢٤٧- الشيخ الصدوق، الخصال، ص ٤٨٢

٢٤٨- بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٧

كيف ثبتت نبوة محمد (صلى الله عليه وآله)؟ ثبتت نبوته (صلى الله عليه وآله)

بالطرق التي تثبت فيها النبوة بشكل عام، وهي:

- تاريخه الناصع: تاريخ النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ناصع مشرق لا غبار عليه، إذ كان الصادق الأمين في قومه بشهادة من لم يؤمن بنبوته^{٢٤٩}.

- تبشير النبي عيسى (ع) به: ذكر القرآن الكريم أن النبي عيسى (عليه السلام) بشر بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) بقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^{٢٥٠}، كما أن بعض نُسَخِ الإنجيل ذكرت ذلك^{٢٥١}.

- إتيانه بالمعجزة: أتى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بمعجزات كثيرة أفحمت منكره، بعضها ذكر في القرآن الكريم كحادثة شق القمر والإسراء والمعراج والمباهلة، وبعضها روته كتب التاريخ كتسبيح الحصى في يديه، ومخاطبة الحيوانات له وغيرها...^{٢٥٢} وأقوى تلك المعاجز وأخلدها هو القرآن الكريم.

عقيدتنا في الإسلام: نعتقد أن الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله):

هو خاتم الأديان السماوية وأكملها،

^{٢٤٩}- راجع: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٢

^{٢٥٠}- سورة الصف، آية ٦

^{٢٥١}- عثر مؤخراً على النسخة الأصلية على إنجيل برنابة، يعود إلى القرن الخامس، وفيه تبشير بقدم النبي محمد آخر الأنبياء. (المصدر: شبكة الانترنت).

^{٢٥٢}- راجع كتاب: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

وأنه صالحٌ للبقاء إلى يوم القيامة بدليل أنه لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وآله) حتى يأتي بشريعةٍ تنسخ الشريعة الإسلامية،

وأن فيه كلَّ ما يحتاجه الإنسان من النُظم الفردية والجماعية، الدينية والدنيوية،

وأنه لو طُبِّقَ تطبيقاً صحيحاً لقاد العالم إلى السلام والسعادة والغنى والراحة، ولعاش الناس في أمنٍ واستقرار، ولانتفى الفقر والظلم والشور من المجتمعات.

أما ما نراه من تخلف المسلمين في بقاع الأرض وذلتهم وتخاذلهم فعائدٌ إلى تركهم تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتعلّقهم بالقشور الفارغة والمظاهر الزائفة، ولو أنهم التزموا بتعاليمه الحقّة لاستطاعوا أن يسيطروا على العالم أجمع.

عالمية الدين الإسلامي: نعتقد أن الدين الإسلامي دينٌ أنزله الله تعالى لهداية البشر كافةً، ولم ينزله على العرب وحدهم. والدليل على ذلك أن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) بعث رُسُلَه إلى لرؤساء وملوك كلِّ الدول القائمة آنذاك، كقيصر الروم، وشاه إيران، وحكام مصر، والشام، والحبشة، ودعاهم إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف، ولو كان الدين محلياً لا عالمياً لَمَا أرسل إليهم النبي (صلى الله عليه وآله) رُسُلَه يدعوهم إلى الإسلام.

ثم إن القرآن الكريم يشير إلى عالمية الدين الإسلامي من خلال خطاباته

الموجّهة إلى الناس كافة من قبيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ و﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا

ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٥٣﴾ ، ومن خلال خطابه لأهل الكتاب ومعاتبتهم على عدم الإيمان ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٢٥٤﴾ .

ثم إن الدين الإسلامي خاتم الأديان وهذا دليل على عالميته.

عقيدتنا في بقية الأديان والكتب السماوية: نحن نعتقد بكل الأنبياء الذين أرسلهم الله قبل نبينا الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، ونؤمن بعصمتهم وطهارتهم، ولا يجوز في عقيدتنا أن تُنكر نبوة أي نبي ثبتت نبوته، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، ومن أنكر الأنبياء فقد كفر بالله تعالى.

ونعتقد بكل الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء كالطوراة والإنجيل والزبور، ولكن ما لا نعتقد به هو أن هذه الكتب السماوية التي بين أيدي الناس اليوم هي نفسها التي نزلت على أنبياء الله المقدسين؛ ففي عقيدتنا أن هذه الكتب أصابها التحريف الكبير، بل لم يبق منها شيء!

نموذج من التحريف في التوراة والإنجيل:

في التوراة: مَنْ يُلْقِ نَظْرَةَ عَلَى التَّوْرَةِ يَجِدُ فِيهِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ يُرَى بِالْعَيْنِ؛ يَنْسَى وَيَتَذَكَّرُ، يَأْمُرُ بِالسَّرْقَةِ وَالْإِحْتِيَالِ، يَنْدَمُ عَلَى مَا عَمِلَهُ كَثِيرًا، يَسْخَطُ عَلَى رَسُولِهِ مُوسَى، وَيَتَصَارَعُ مَعَ يَعْقُوبَ وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنْ أَنْ يَصْرَعَهُ، بَلْ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ

٢٥٣- سورة يوسف، آية ١٠٤

٢٥٤- سورة آل عمران، آية ٧٠

أن يكفَّ عنه حتى لا يراه الناس على هذه الحالة المزرية! هذا إضافةً إلى أنه ينسب الزنا بالمحصنة لداوود، وشرب الخمر والزنا بالمحارم للوط، نعوذ بالله مما يقولون^{٢٥٥}.

في الإنجيل: أما الإنجيل فهو أسوأ حالاً من التوراة، حيث أدخلوا فيه عقيدة التثليث الشهيرة، وهي عقيدة باطلة لا يرضاها من يملك أدنى معرفة بتوحيد الله. أضف إلى التشويهات التي أحقوها بالنبي عيسى (عليه السلام) وغيرها. والعجيب أن النصارى أنفسهم يعترفون أن الكتاب المقدس الذي بين أيديهم ليس هو الإنجيل الحقيقي.

هل يجوز اعتناق دين غير الإسلام؟ مما سلف نعتقد أنه لا يجوز لأحد أن يعتنق أي دين غير الإسلام، كالدين اليهودي والدين المسيحي، وأن معتنقيهم على باطل، إذ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^{٢٥٦} و﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^{٢٥٧} وذلك لأنه الدين الخاتم الذي نسخ كل الأديان الذي سبقته. أضف إلى أن الأديان السابقة له بشرت به، فاتبعه المنصفون وأعرض عنه المعاندون.

٢٥٥- راجع كتاب: "التحريف في التوراة" لمحمد الخولي، ط ١، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١٠ هـ. وراجع التوراة نفسه. وراجع: الشيخ علي كوراني، ألف سؤال وإشكال، ج ٢، ص ١٢٨ وما بعدها.

٢٥٦- سورة آل عمران، آية ١٩

٢٥٧- سورة آل عمران، آية ٨٥

الدرس الواحد والعشرون: (بعض ما ورد في كتب العامة عن النبي (ص))

روايات أهل الخلاف المكذوبة على النبي (صلى الله عليه وآله): لا نشكُّ أن معظم أهل الخلاف يحبُّون النبيَّ ويحترمونَه ويعظِّمونَه، لكن من يطلع على صحاحهم يُفاجأ بعددٍ كبيرٍ من الروايات المكذوبة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والتي تحطُّ من شأنه الرفيع، وتجعله إنساناً عادياً، لا، بل أدنى مرتبةً من المؤمن العادي، بحيث يفعل ما يستحي من فعله أحدنا، متجاهلين أنه أعظمُّ وأشرفُّ وأسمى من خلق الله تعالى من الموجودات.

ولسنا هنا في مقام نشر الخلاف والفرقة بين المسلمين، بل في مقام تنزيه نبيِّنا الأعظم (صلى الله عليه وآله) عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ نسبه إليه، لأنه من واجبنا أن نُظهرَ نبيِّنا للعالم أجمع بصورته النقيّة الحقيقية، لا بالصورة المزيفة التي تُغري كثيراً من سُفهاء العالم وأعداء الإسلام بالتطاول عليه (صلى الله عليه وآله)، كما يحصل في هذه الأيام.^{٢٥٨}

وسنعرض لجزءٍ من هذه الروايات، محاولين تصنيفها في المجموعات التالية:

السهو والنسيان: في الواقع، إن النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) والأنبياء جميعاً والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) معصومون عن كلِّ ذنبٍ وعيب، حتى عن السهو والنسيان وإلا لبطل الأخذ منهم.

^{٢٥٨}- تتزامن كتابة هذا الموضوع مع تمثيل فيلم في أمريكا بعنوان: براءة المسلمين، وفيه من الإساءة للنبي محمد (ص) ما لا يوصف!

أما عند أهل الخلاف، فتجد في صحاحهم رواياتٍ عجيبَةً في نسبة السهو والنسيان إليه (صلى الله عليه وآله)، ومن هذه الروايات أنه:

- يسهو في الصلاة فيزيد أو ينقص: "عن إبراهيم عن علقمة قال: قال عبد الله: صلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص، فلما سلم قيل له: يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذلك؟ قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجله واستقبل القبلة وسجد سجدتين، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني" ٢٥٩.

- ينسى ركعةً من صلاته: "صلى يوماً فسلم وانصرف وقد بقي من الصلاة ركعةً، فأدركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعةً، فرجع فدخل المسجد وأمر بلالاً، فأقام الصلاة فصلى بالناس ركعة" ٢٦٠.

- ينسى أنه جُنُبٌ وهو قائمٌ ليصلي: "عن أبي هريرة قال أقيمت الصلاة وعُدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فلما قام في مصلاه ذكر أنه جُنُبٌ فقال لنا مكانكم، ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر، فصلينا معه" ٢٦١.

٢٥٩- صحيح البخاري، ج ١، ص ١٠٥

٢٦٠- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، رقم الحديث ٢٥٩٩٣

٢٦١- صحيح البخاري، ج ١، ص ٧٣

- يصلي أحياناً بلا وضوء: في البخاري عن ابن عباس يتكلم عن النبي (صلى الله عليه وآله): "... ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ فأذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ"^{٢٦٢}.

- ينسى آيات من القرآن: عن عائشة قالت: "سمع النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً يقرأ في سورة الليل، فقال: يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا"^{٢٦٣}.

الخطأ وارتكاب الذنب: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عقيدتنا معصوم عن الصغائر والكبائر، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^{٢٦٤}. أما أهل الخلاف فينسبون إليه ذنباً يترفع عنها حتى المؤمن العادي، مثل:

- استماعه لغناء جاريتين في داره يوم العيد: عن عائشة "قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بُعث^{٢٦٥}، قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزاميئُ الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا"^{٢٦٦}.

^{٢٦٢}- صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٤٨

^{٢٦٣}- صحيح البخاري، ج ٦، ص ١١٠

^{٢٦٤}- سورة النجم، آية ٣-٤

^{٢٦٥}- يوم بُعث: حرب عظيمة وقعت بين الأوس والخزرج. وُبعث اسم حصن للأوس.

^{٢٦٦}- صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣

- استماعه وأصحابه لغناء جارية اسمها سيرين وهي تغنيهم وتقول: "هل عليّ ويحكم إن لهوئ من حرج" فيتبسم النبي (صلى الله عليه وآله) ويقول لا حرج إن شاء الله^{٢٦٧}.

- توضُّئه بالنبيد: "عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله، أمعك ماء؟ قال: معي نبيد في إداوة. فقال: أصعب عليّ، فتوضأ. قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عبد الله بن مسعود شرابٌ وطهور^{٢٦٨}".

- شربه النبيذ: "عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستسقى، فقال رجل: يا رسول الله ألا نسقيك نبيداً، فقال: بلى، قال: فخرج الرجل يسعي فجاء بقدر فيه نبيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا خمرتة ولو تعرّضُ عليه عوداً، قال: فشرب^{٢٦٩}".

- خطئه في قضية تأبير النخل (تلقيحه): "عن سماك أنه سمع موسى بن طلحة يحدث عن أبيه، قال: مررت مع النبي صلى الله عليه وسلم في نخل المدينة، فرأى أقواماً في رؤوس النخل يلحقون النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قال: يأخذون

^{٢٦٧}- راجع: مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٤٩

^{٢٦٨}- مسند أحمد، ج ١، ص ٣٩٨

^{٢٦٩}- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٠٥

من الذكر فيحطّون في الأنتى يلقحون به، فقال: ما أظن ذلك يغني شيئاً. فبلغهم فتركوه ونزلوا عنه، فلم تحمل تلك السنة شيئاً. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما هو ظنٌّ ظننتُه إن كان يغني شيئاً فاصنعوا، فإنما أنا بشرٌ مثلكم، والظنُّ يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل، فلن أكذب على الله" ٢٧٠.

- استداره القبلة أثناء التخلّي: "عن عبد الله ابن عمر قال ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستديراً القبلة مستقبل الشام" ٢٧١.

- سماحه لجارية بالضرب بالدف بين يديه: "عن بريدة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغني، فقال صلى الله عليه وآله: إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر، وهي تضرب، ثم دخل عليّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحت استها، ثم قعدت عليها، فقال صلى الله عليه وآله: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي

٢٧٠- مسند أحمد، ج ١، ص ١٦٣

٢٧١- صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٦

تضرب، ثم دخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخلت أنت يا عمر، فألقت الدف "٢٧٢".

- أكله مما ذُبح على النُصْب: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة هو وزيد بن حارثة، فمرّ بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعوه إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي إني لا آكل مما ذُبح على النُصْب، قال: فما روي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أكل شيئاً مما ذُبح على النُصْب" ٢٧٣.

حياؤه وغيرته: كان النبي (صلى الله عليه وآله) أشدَّ حياءً من العذراء في سترها، ولا عجب في ذلك فهو القائل: "إن لكل دين خُلُقاً، وإن خُلُقَ الإسلام الحياء" ٢٧٤ و"الحياء من الإيمان" ٢٧٥ و"قلة الحياء كفر" ٢٧٦.

أما غيرته فكانت في أعلى مراتبها، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وآله): "كان إبراهيم (عليه السلام) أبي غيوراً وأنا أغيرُ منه، وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين" ٢٧٧ ويقول: "إن الغيرة من الإيمان" ٢٧٨. أما أهل الخلاف فيزعمون:

٢٧٢- ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٦٤

٢٧٣- مسند أحمد، ج ١، ص ١٨٩

٢٧٤- مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٤٦٦

٢٧٥- المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٦٦

٢٧٦- المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٦٦

٢٧٧- الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص ٢٣٩

٢٧٨- الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٤٤٤

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) يتكلم عن علاقته الجنسية: "إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليهما الغسل، وعائشة جالسة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل!"^{٢٧٩}.

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) أدخل الزبير معه تحت اللحاف وفيه زوجته: "عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله في غداة باردة، فأتيته وهو مع بعض نسائه في لحافه، فأدخلني في اللحاف فصرنا ثلاثة"^{٢٨٠}.

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) يكشف فخذه أمام الناس: عن عائشة "قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في بيته كاشفاً فخذه وساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحالة فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فدخل وتحدث معه، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تباله، ودخل عمر فلم تباله، أي لم تهتم لدخولهما وتستر فخذي، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"^{٢٨١}.

^{٢٧٩}- صحيح مسلم، ج ١، ص ١٨٧

^{٢٨٠}- الحاكم النيسابوري، المستدرک، ج ٣، ص ٣٦٤

^{٢٨١}- الأبى الأزهرى، الثمر الدانى، ص ٦٨٧، نقلاً عن مسلم

- أن عمر كان يطلب من النبي (صلى الله عليه وآله) حجب أزواجه ولم يفعل حتى نزلت آية الحجاب: "... كان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاءً، وكانت امرأة طويلة، فنادها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله الحجاب" ٢٨٢.

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) أسند عائشة إلى ظهره وخذها على خده ليربها لعب السودان حتى ملت: "كان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم وإما قال أتشتهين تنظرين؟ قلت: نعم، فأقمني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة. حتى إذا مللت قال حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي" ٢٨٣.

أخلاقه: تكفي في هذا المجال شهادة الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٢٨٤. أما أهل الخلاف فيزعمون:

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) يغضب فيسب: "عن عائشة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالان فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه

٢٨٢- صحيح البخاري، ج ١، ص ٤٦

٢٨٣- صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣

٢٨٤- سورة القلم، آية ٤

فلعنهما وسببهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان. قال وما ذاك؟ قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربي، قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأَيُّ المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا^{٢٨٥}.

— أن النبي (صلى الله عليه وآله) يعذب بطريقةٍ وحشية: "عن أنس قال: قدِم أناسٌ من عُكْلٍ أو عُرَيْنَةَ^{٢٨٦}، فاجتَوُوا^{٢٨٧} المدينة، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأن يشربوا من أبوالها وألبانها^{٢٨٨}، فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم، فجاء الخبر في أول النهار، فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسُمرت أعينهم^{٢٨٩} وألقوا في الحرة^{٢٩٠} يستسقون فلا يُسقون"^{٢٩١}.

إتهامه بعدم التطهر والنظافة: وهو الذي كان يأمر أصحابه بالتطهر والنظافة ويحثهم على ذلك، ففي الرواية "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: احتبس الوحي عن

^{٢٨٥}- صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٤

^{٢٨٦}- عكل وعرينة: اسما قبيلتين

^{٢٨٧}- اجتروا المدينة: استوبأوا جَوْها ولم يطيقوه.

^{٢٨٨}- أمرهم بذلك للاستشفاء.

^{٢٨٩}- سُمرت أعينهم: أي كُحلت بالمسامير المحمّاة حتى سالت.

^{٢٩٠}- الحرة: اسم مكان مرتفع، فيه حجارة سوداء.

^{٢٩١}- صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٤

النبي صلى الله عليه وآله فقيل له: احتبس الوحي عنك؟ فقال صلى الله عليه وآله: وكيف لا يحتبسُ وأنتم لا تَقلمون أظفاركم ولا تنقون رواجبكم^{٢٩٢} "٢٩٣". وهو القائل (صلى الله عليه وآله): "النظافة من الإيمان"^{٢٩٤}. وبعد كل ذلك نراهم يروون في صحاحهم:

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يغسل ثيابه من المني: "عن عائشة في المني قالت: كنت أفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"^{٢٩٥}. وفي رواية أخرى، قالت: "لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يابساً بظفري"^{٢٩٦}. وفي رواية ثالثة، قالت: "والله إن كنت لأفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يغسله بالماء ثم يصلي فيه ونصلي صلى الله عليه وآله"^{٢٩٧}.

فمتى كان المني يطهرُ بالفرك؟! ألا يعرف النبيُّ بالطهارة؟! أم أنه يعصي الله ما أمره به حين قال: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾^{٢٩٨}؟

^{٢٩٢}- الرواجب: هي مفاصل أصول الأصابع.

^{٢٩٣}- الكافي، ج ٦، ص ٤٩٢

^{٢٩٤}- حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة، ج ٢، هامش صفحة ٢٤٠

^{٢٩٥}- صحيح البخاري، ج ١، ص ١٦٥

^{٢٩٦}- صحيح البخاري، ج ١، ص ١٦٦

^{٢٩٧}- المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٩، ص ٥٣٣

^{٢٩٨}- سورة المدثر، آية ٤

- أن النبي (صلى الله عليه وآله) يتبَوَّل قائماً: "عن حذيفة قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم سباطة قوم، فبال قائماً، ثم دعا بماء فحجته بماء فتوضأ"^{٢٩٩}.

إتهامه بالباطل: إتهم أهل الخلاف النبي (صلى الله عليه وآله) اتهاماتٍ عديدةٍ ما أنزل الله بها من سلطان، منها:

- إتهامه بأنه حاول الانتحار عدة مرات عندما تأخر عنه الوحي: روى البخاري: "... وفتّر الوحي فترةً حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حُزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهي الجبال، فكلما أوفى بذروة جبلٍ لكي يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكنُ لذلك جأشهُ، وتقرُّ نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي غداً لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبلٍ تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك"^{٣٠٠}.

- أن الشيطان ألقى على لسانه آيتين هما ليستا من القرآن فعاتبه جبرائيل على ذلك: قال الرازي: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به، تمنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم، فجلس ذات يوم في نادٍ من أندية قريش، كثير أهلّه، وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ينفروا عنه، ومعنى ذلك، فأنزل الله تعالى سورة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فقرأها رسول الله صلى

^{٢٩٩}- صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٢

^{٣٠٠}- صحيح البخاري، ج ٨، ص ٦٨

الله عليه وسلم حتى بلغ قوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه: "تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى". فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها، فسجد وسجد المسلمون لسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاصي فإنهما أخذتا حفنة من التراب من البطحاء ورفعاهما إلى جبهتيهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود.

وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر. فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله، وقلت ما لم أقل لك؟! فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً عظيماً، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ٣٠١ . ٣٠٢

٣٠١- سورة الحج، آية ٥٢

٣٠٢- فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ج ٢٣، ص آية ٤٩ - ٥٠

وهذه الرواية واضحة البطلان، وهي ليست إلا محض افتراء على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^{٣٠٣}.

— أن النبي (صلى الله عليه وآله) سُجِرَ، فإذا به يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء وما فعله:
 روى البخاري "عن عائشة قالت: سُجِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله"^{٣٠٤}.

— إتهامه بالشكِّ في إيمانه: عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى قَالِ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾"^{٣٠٥}."^{٣٠٦}

— إتهامه بعدم العزم: عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسفُ لأجبت الداعي!"^{٣٠٧}.

^{٣٠٣}- سورة النجم

^{٣٠٤}- صحيح البخاري، ج ٤، ص ٩١

^{٣٠٥}- سورة البقرة، آية ٢٦٠

^{٣٠٦}- صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٦٣

^{٣٠٧}- صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢١٧

- إتهامه بأنه قال عن إبراهيم (عليه السلام) أنه كذب ثلاث كذبات: عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهنّ في ذات الله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُ لَهُمْ هَذَا﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إنّ ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي...^{٣٠٨}.

- إتهامه بأنه يربّي في بيته جرواً: "... قال سمعت في الحجرة حركة، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا جبريل. قلت: ادخل. قال: لا، أخرج إلي، فلما خرجتُ قال: إنّ في بيتك شيئاً لا يدخله ملك ما دام فيه، قلت: ما أعلمه يا جبريل، قال: اذهب فانظر، ففتحت البيت فلم أجد شيئاً غير جرو كلبٍ كان يلعب به الحسن، قلت: ما وجدت إلا جرواً، قال: إنّها ثلاث لن يلج ملكٌ ما دام فيها أبداً أو أحدٌ منها: كلبٌ أو جنابةٌ أو صورةٌ روحٍ"^{٣٠٩}.

- إتهامه بأنه يحلف وينقضُ حلفه: "عن أبي موسى قال: انطلقنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم نستحمله، فقال: والله لا أحملكم، فرجعنا، فبعث إلينا بثلاث بقع الذرى، فقال بعضنا لبعض: حلف النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحملنا!

^{٣٠٨}- صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١٢

^{٣٠٩}- مسند أحمد، ج ١، ص ٨٥

فأتيناه فقلنا: إنك حلفت أن لا تحملنا، فقال: ما أنا حملتكم إنما حملكم الله تعالى، ما على الأرض يمين أحلف عليها فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيته"^{٣١٠}.

- إتهامه بأنه قال أن الناس ترى الله يوم القيامة: عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك..."^{٣١١}.

- إتهامه بأنه هجر آخر حياته: وهذه تختلف عن سابقاتها بأنها لم تُرو عن النبي (صلى الله عليه وآله) بل على النبي. وعلى كل حال فهي اتهام له (صلى الله عليه وآله) بالهجر والهديان. فقد "رووا عن عمر أنه قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) في مرض موته: إيتوني بدواة وقرطاس لأوصي، فقال عمر: إن الرجل ليهجر. واختلف الصحابة الحاضرون هناك، فبعضهم صوّب النبي (صلى الله عليه وآله)، وبعضهم صوّب رأي عمر"^{٣١٢}.

إتهامه بأنه شخصية جنسية: كثيراً ما روى أهل الخلاف عن النبي (صلى الله عليه وآله) روايات تصوّره بأنه رجلٌ عنده نهمٌ جنسي، وهذه الصورة أخذها الغربيون عن

^{٣١٠}- مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٠٤، وقريب منه في البخاري، ج ٥، ص ١٢٢

^{٣١١}- صحيح البخاري، ج ١، ص ١٩٥

^{٣١٢}- العلامة الحلبي، الرسالة السعدية، ص ٧٩

نبينا (صلى الله عليه وآله) فرسموا له تصاوير، ومثلوا أفلاماً توحى بأنه رجلٌ متهاكٌ على الجنس. ومن هذه الروايات:

- امرأة متزوجة تطعمه وتقلّي رأسه فينام: "عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمعه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته وجعلت تقلّي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك...^{٣١٣}.

- جلوسه مع نساء سافرات من قريش: "استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحقّ أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله

^{٣١٣}- صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٠١

عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قطُ سالكاً فجّاً إلا سلك
فجّاً غيرَ فجِّك" ٣١٤.

- استقباله زيدا عارياً: عن عائشة قالت: "قدم زيد بن حارثة المدينة، ورسولُ الله
صلى الله عليه وسلم في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عرياناً يجر ثوبه، والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده، فاعتنقه
وقبله" ٣١٥.

- نظره لامرأة أجنبية حتى تقع في قلبه شهوة النساء: "عن أزهر بن سعيد الحرّازي
قال: سمعت أبا كبشة الأماري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً
في أصحابه، فدخل ثم خرج، وقد اغتسل، فقلنا: يا رسول الله، قد كان شيء؟
قال: أجل، مرّت بي فلانة، فوقع في قلبي شهوة النساء، فأتيت بعض أزواجي
فأصبّتها، فكذلك فافعلوا فإنه من أمثال أعمالكم إتيانُ الحلال" ٣١٦.

- معاشرته لنسائه كلهن في ساعة واحدة: "عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك
قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من

٣١٤- صحيح البخاري، ج ٤، ص ٩٦

٣١٥- الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٧٤

٣١٦- مسند أحمد، ج ٤، ص ٢٣١

الليل والنهار، وهنّ إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أوكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين!"^{٣١٧}.

— مباشرته نساءه وهو صائم: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل ويباشر وهو صائم"^{٣١٨}.

— مباشرته نساءه في وقت الحيض: روى البخاري: "عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يباشرني وأنا حائض، وكان يُخرج رأسه من المسجد وهو معتكف، فأغسله وأنا حائض"^{٣١٩}. وروى مسلم: "عن عائشة قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضاً، أمرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتأترزُ بإزارٍ ثم يباشرها"^{٣٢٠}.

هذا كان غيضاً من فيض مما روّوه عن النبي الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، وكلُّ هذه الروايات فيه حطٌّ من شأنه الرفيع الذي وصل إلى قاب قوسين أو أدنى. فهل يُعقل أنّ من وصل إلى هذا المقام السامي، هو الذي يفعل ما مرّ في رواياتهم الباطلة!

^{٣١٧}- صحيح البخاري، ج ١، ص ٧١

^{٣١٨}- صحيح البخاري، ج ٢، ص ٢٣٣

^{٣١٩}- صحيح البخاري، ج ٢، ص ٢٥٦

^{٣٢٠}- صحيح مسلم، ج ١، ص ١٦٦

ما السبب في وضع هذه الروايات؟ وهذا سؤال يطرح نفسه بقوة، لماذا وضع أصحاب الأحاديث كل هذه الروايات المكذوبة على النبي (صلى الله عليه وآله)، وما هي غايتهم من الخط من مقامه الشريف؟

الجواب: معظم هذه الروايات وُضعت في زمن الدولة الأموية بأمر من خلفائها تحت إغراء المال الكثير والمناصب العالية. والغاية من ذلك هو جعل شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) شخصية عادية تصيب وتخطئ، وفي ذلك تبريرٌ لأفعال الأمويين الخاطئة التي كانت تصدر منهم. فإذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشرب النبيذ ويتوضأ به! فهل يُلام بعدُ بنو عبد الملك على ذلك؟ أليس لهم برسول الله أسوة حسنة؟!

ثم إذا كان لعنُ النبي (صلى الله عليه وآله) وسبُّه لأحدٍ من المسلمين كفارةً لذنوبه، أما يفتخر مروان ابن الحكم في أنه ملعونٌ من قبل النبي (صلى الله عليه وآله)؟! وعلى هذا فقس، والليبيُّ من الإشارة يفهم.

الدرس الثاني والعشرون: (القرآن الكريم، معجزة النبي الخالدة)

إعجاز القرآن: القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي نزلت على نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) فأفحمت كلَّ متحدِّ وأجمت كلَّ منكر. وقد يتساءل مُتسائل: ما وجه الإعجاز فيه؟ أليس هو كلاماً عادياً؟ ألا يوجد كلامٌ أبلغ منه؟... وفي الإجابة عن ذلك نقول: إن القرآن الكريم مُعجِزٌ من عدة وجوه، وبعض هذه الوجوه هي:

١. بلاغته: نزل القرآن في زمنٍ كان العربُ فيه قد وصلوا إلى قمة البلاغة والفصاحة في النثر والشعر، إلا إنهم عندما سمِعوا الآياتِ القرآنية طأطأوا رؤوسهم خاشعين من جمال بلاغته وسحر ألفاظه وجاذبية تراكيبه، وقد استطاع الأسلوب القرآني أن يجذب إليه كلَّ من سمِعَه، لذلك حاولت قريش أن تمنع الناس من سماعه لئلا يؤمنوا بمحمد (صلى الله عليه وآله).

فهذا الطفيل بن عمر الدوسي الشاعر خوِّفته قريش من سماع القرآن، فَحَسَا القطرَ في أذنيه لئلا يسمعَ منه شيئاً، ولكن شاء الله أن يخترقَ سمعَه بعضُ الآيات فأسلم. ٣٢١

وهذا الوليد بن المغيرة شيخ الفصحاء وكان من ألدِّ أعداء الإسلام لم يملك إلا أن يصفَ القرآن بقوله: "والله إن لقوله الذي يقوله حلاوةً، وإن عليه

٣٢١- راجع: ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٥٦

لطلاوةً، وإنه لمُثَمَّرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه لَيَعْلُو وما يُعَلَى وإنه ليحطم ما تحته" ٣٢٢ .

٢. فرادة أسلوبه: للقرآن أسلوب خاص لا عهد للعرب به، فأدبُ العرب كان واحداً من اثنين، إما نثرٌ يُجَمَلُه سجعُه، أو شعرٌ تجمله صورُه البيانيَّة بما فيها من مبالغة كبيرة، حتى قيل "أعذب الشعر أكذبُه". أما القرآن الكريم فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، يُسجَعُ حيناً ويترك أحياناً، لا يعتمد في جماله على صورِه البيانيَّة، وهو كلُّه حقيقي لا كذب فيه. هو فريدُ الأسلوب، ليس كمثلِه شيء، إنه كلامُ الله وكفى!

٣. التحدي باتيان مثله: وهذه من أكبر الأدلة على إعجازه، ففيه آيات صريحة تتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ ٣٢٣ بل بعشر سور مثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ ٣٢٤ بل بسورة واحدة مثله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ ٣٢٥ .

٣٢٢- ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٩٩

٣٢٣- سورة الإسراء، آية ٨٨

٣٢٤- سورة هود، آية ١٣

٣٢٥- سورة يونس، آية ٣٨

٤. عدم الاختلاف فيه: من يقرأ القرآن يجد أن أسلوبه واحد من أوله إلى آخره، وهذا دليل على كونه من عند الله الذي لا ينتقل من حال إلى حال، لأنه لو كان من عند النبي أو من تأليف شاعر لاختلف أسلوبه من وقت إلى آخر، إذ إن الكاتب يتأثر بالبيئة المحيطة به من سلمٍ وحربٍ وخوفٍ وأمنٍ وحرٍّ وبردٍ وليلٍ ونهارٍ... قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^{٣٢٦}.

٥. إخباره عن الأمور الغيبية: من الأدلة القوية على إعجاز القرآن الكريم إخباره بأمورٍ غيبية قبل حصولها، كإخباره عن انتصار الروم على الفرس بعد أن غلبهم الفرس ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^{٣٢٧}، ولم تمض بضعة سنوات إلا وتحقق الخبر. وإخباره عن انتصار المسلمين على المشركين في بدر ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾^{٣٢٨}، وتحقق النصر.

٦. إخباره عن حقائق علمية: في القرآن الكريم حقائق علمية كثيرة لم تُكتشف إلا مع تطور العلم؛ ففي الآية: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^{٣٢٩} إشارة إلى حقيقتين علميتين كبيرتين؛ الأولى

^{٣٢٦} - سورة النساء، آية ٨٢

^{٣٢٧} - سورة الروم

^{٣٢٨} - سورة الأنفال، آية ٧

^{٣٢٩} - سورة لقمان، آية ١٠

هي قانون الجاذبية الغير مرئية، والثانية أن الجبال تثبت الأرض من الميلان، وهذا ما أثبتته العلم الحديث.

وفي الآية: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾^{٣٣٠} إشارة إلى حركة الأرض وعدم ثباتها.

وفي الآية: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^{٣٣١} إشارة إلى عدم وجود أجرام ثابتة في السماء، وهذا ما أثبتته العلم الحديث.

وقد اكتشف أحد العلماء الغربيين مؤخراً أن النباتات تتكلم كلاماً منتظماً بعد أن سجّل لها ذلك على جهاز حديث، وهذا عندنا ليس غريباً، فالله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^{٣٣٢}. وأمثال ذلك في القرآن كثير.

٧. شموليته: على رغم صغر حجم القرآن الكريم إلا إنه دستور رباني دقيق، فيه تبيان لكل شيء؛ فيه النظم الدينيّة والأخرويّة، الفرديّة والجماعيّة، الماديّة والمعنويّة، وفيه صلاح العباد والبلاد والمعاد. قال الإمام الباقر (عليه السلام): "إن

٣٣٠- سورة النمل، آية ٨٨

٣٣١- سورة يس، آية ٤٠

٣٣٢- سورة الإسراء، آية ٤٤

الله تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه
لرسوله... "٣٣٣".

٨. مواكبته للعصور: من معاجز القرآن أنه نزل في مكانٍ وزمانٍ محدّدين، وبقي
صالحاً لمواكبة كلِّ العصور، فتعاليمه وأحكامه لا تموت مع الزمن، إنه جديدٌ على
الدوام لا يبلى، ويتجدّد كلّما قرئ!

ما الفرق بين القرآن وبقية معاجز الأنبياء؟ كلُّ نبيٍّ جاء بمعجزةٍ تلائم عصره،
وكانت معاجزهم آتيةً مرحليّةً، ماتت بموت عصرها. أما القرآن فمعجزةٌ دائمة
مستمرّة في كل عصر، ذلك لأنه دستورُ الناس إلى يوم القيامة.

هل القرآن الكريم محرّف؟ نحن نعتقد أن القرآن الذي بين أيدينا سالمٌ من
التحريف، فلا زيادة ولا نقصان فيه، إنه نفس القرآن الذي أنزل على النبي محمد
(صلى الله عليه وآله)، وهذا رأي علمائنا الكبار الأجلاء.

يقول الشيخ الصدوق: "إعتقادنا إن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد
(صلى الله عليه وآله وسلم) هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر
من ذلك، ومن نسب إلينا إنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب" ٣٣٤.

ويقول السيد أبو القاسم الخوئي: "إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخیال،
لا يقول به إلا من ضعف عقله" ٣٣٥.

٣٣٣- الكافي، ج ٧، ص ١٧٦

٣٣٤- الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٨٤

أما مَنْ قال بتحريفه من علماء أهل الخلاف وعلماء الشيعة فهم قليلون، ولا يصح ما قالوه لأن الله تعالى تكفل بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^{٣٣٦}.

عقيدتنا في تاريخ جمعه: اختلف العامة في تاريخ جمع القرآن وتضاربت رواياتهم في هذا المجال، فمرة قالوا أنه جُمع في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومرة قالوا جُمع في عهد أبي بكر، ومرة قالوا أنه جُمع في عهد عثمان. كما اختلفوا في من قام بجمع القرآن، فمرة قالوا أنه أبو بكر، ومرة قالوا عمر، ومرة قالوا سالم مولى أبي حذيفة، ومرة قالوا عثمان!^{٣٣٧}

أما نحن فنعتقد أن القرآن كان "مجموعاً أيام النبي صلى الله عليه وآله على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره، وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير"^{٣٣٨}.

عقيدتنا في الحفاظ عليه: في عقيدتنا أن الحفاظ على القرآن الكريم واجب، فلا يجوز تنجيسه أو مسّه على غير طهارة، ولا يجوز تحقيره، ومن يحقره متعمداً يُعدّ من المنكرين للإسلام والكافرين بالله تعالى.

^{٣٣٥}- السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٥٩

^{٣٣٦}- سورة الحجر، آية ٩

^{٣٣٧}- راجع: السيد علي الميلاني، التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، ص ٢٤١ وما بعدها

^{٣٣٨}- السيد شرف الدين، أجوبة مسائل جار الله، ص ٣٤

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: "ونعتقد أيضاً بوجوب احترام القرآن الكريم وتعظيمه بالقول والعمل، فلا يجوز تنجيس كلماته حتى الكلمة الواحدة المعتبرة جزءاً منه على وجه يقصد أنها جزء منه، كما لا يجوز لمن كان على غير طهارة أن يمسه كلماته أو حروفه ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^{٣٣٩} سواء كان محدثاً بالحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس وشبهها، أو محدثاً بالحدث الأصغر حتى النوم، إلا إذا اغتسل أو توضأ على التفاصيل التي تذكر في الكتب الفقهية. كما أنه لا يجوز إحراقه، ولا يجوز توهينه بأي ضرب من ضروب التوهين الذي يعد في عرف الناس توهيناً، مثل رميه أو تقذيره أو سحقه بالرجل أو وضعه في مكان مستحقر، فلو تعمد شخص توهينه وتحقيره بفعل واحد من هذه الأمور وشبهها فهو معدود من المنكرين للإسلام وقدسيته، المحكوم عليهم بالمروق عن الدين والكفر برب العالمين"^{٣٤٠}.

٣٣٩- سورة الواقعة، آية ٧٩

٣٤٠- الشيخ محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص ٦٠

الدرس الثالث والعشرون: (موقفنا من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله))

يختلف موقف الشيعة الإمامية من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) اختلافاً كبيراً عن موقف أهل الخلاف منهم، ولعل نظرة الشيعة المعتدلة إلى الصحابة كانت مصدر غيظٍ كبير لأهل الخلاف، بل ربما استحلوا بسببها دماء الأبرياء من الشيعة.

وسنحاول في هذا الدرس تبيين موقف كلٍّ منهما من الصحابة حتى يظهر الحقُّ ويذهب الباطل.

من هم الصحابة؟ الصاحبُ لغةً هو الملازم لغيره أو المرافق أو المعاشر، ويُجمع على صَحْبٍ وأصحابٍ وصُحْبَةٍ وصِحابٍ وصِحابَةٍ وصِحابَةٍ. "ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته"^{٣٤١}.

أما اصطلاحاً فقد اختلف في تحديد الصاحب، فتوسّع البعض بحيث جعل "كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"^{٣٤٢}، وضيّق البعض إلى درجة أنهم شرطوا "في إعطاء المسلم وصف الصحبة، أن يقيم معه سنة أو سنتين، ويغزو معه غزوة أو غزوتين، كما جاء عن سعيد بن المسيب"^{٣٤٣}.

^{٣٤١}- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤٧٥

^{٣٤٢}- صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٨٨

^{٣٤٣}- دراسات في الحديث والمحدثين، ص ٦٨

"والرأي الشائع الذي يؤيده أكثرهم هو إعطاء هذا الوصف لكل من رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو ولد في حياته"^{٣٤٤}.

موقف المخالفين من الصحابة: "اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"^{٣٤٥}، و"ثبت أن الجميع من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار"^{٣٤٦}. وأن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ولا يجوز أن يُبغض أحد منهم أو أن يُتبرأ منه، بل يجب بُغض من يُبغضهم"^{٣٤٧}، وكل من ينتقص أحداً منهم فهو زنديق!^{٣٤٨}

والصحابة عندهم وإن شَهَرَ بعضهم السيف في وجه البعض وقتل بعضهم بعضاً وسبَّ بعضهم بعضاً وبغى بعضهم على بعض، فكلُّهم مجتهدون معذورون، والقاتل والمقتول والظالم والمظلوم والباغي والمبغى عليه كلُّهم في الجنة، وللمصيب منهم أجران وللمخطئ أجر واحد!

^{٣٤٤}- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

^{٣٤٥}- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٣١

^{٣٤٦}- المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٣

^{٣٤٧}- راجع: حسن بن علي السقاف، صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٥٠

^{٣٤٨}- راجع: أحمد حسين يعقوب، نظرية عدالة الصحابة، ص ٢٠، نقلاً عن الإصابة لابن حجر العسقلاني ص ١٧-١٨

علام يستندون في هذه العقيدة؟ وهم في هذه العقيدة يعتمدون على بعض آيات القرآن الكريم التي مدحت أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كهذه الآيات:

- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^{٣٤٩}
- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^{٣٥٠}
- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^{٣٥١}

ويعتمدون على بعض الأحاديث الموضوعة، من قبيل:

- حديث: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"^{٣٥٢}. واللطيف أن هذا الحديث غير ثابت عند كثير من علمائهم!^{٣٥٣} وهو حديث مخدوش سنداً ودلالة^{٣٥٤}.

^{٣٤٩}- سورة الفتح، آية ١٨

^{٣٥٠}- سورة التوبة، آية ١٠٠

^{٣٥١}- سورة الحشر، آية ٨

^{٣٥٢}- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٩١

- حديث: "إنَّ الله اختارني، واختار أصحابي فجعلهم أصهاري، وجعلهم أنصاري، وإنَّه سيحيي في آخر الزمان قوم ينتقصوهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلّوا معهم، ألا فلا تصلّوا عليهم، عليهم حلّت اللعنة"^{٣٥٥}. وهذه رواية غير تامة السند فلا يصح نسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^{٣٥٦}.

- حديث: "إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير". وهذا حديث موضوع.^{٣٥٧}

موقف الشيعة من الصحابة: اتخذت الشيعة من الصحابة موقفاً معتدلاً؛ فلم تر عدالة الجميع كأهل الخلاف، بل اعتقدت أن فيهم المسيء والمصلح، والطائع والعاصي، والمؤمن والمنافق، والتقي والشقي، والصدوق والكذوب. لذلك أثنت على بعضهم، وأعرضت عن الآخرين.

وقد استندت الشيعة في عدم إيمانها بعدالة كل الصحابة على الركائز التالية:

^{٣٥٢}- راجع: السيد علي الميلاني، الإمامة في أهم الكتب الكلامية، ص ٤٦٨ وما بعدها. وراجع: مركز الرسالة، الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ، ص ١١٠ وما بعدها.

^{٣٥٤}- راجع: الشيخ جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ١، ص ٣٠٢

^{٣٥٥}- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ص ٦٦

^{٣٥٦}- مركز الرسالة، الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ، ص ١١٣

^{٣٥٧}- العلامة الأميني، الغدير، ج ٥، ص ٣٠٠

١. القرآن الكريم: صحيح أن القرآن مدح أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) في كثير من الآيات، لكنه أيضاً ذمهم في كثير من الآيات، وبيّن مراتبهم بوضوح. فمن يقرأ القرآن الكريم يجد أنّ:

- بعض الصحابة منافق ومريض القلب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^{٣٥٨} ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^{٣٥٩}.

- وبعضهم لا يؤمن بالله واليوم الآخر: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^{٣٦٠}.

- وبعضهم فاسق: كالوليد بن عُقبة الذي تفاخر على علي (عليه السلام) فنزلت فيه ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^{٣٦١} وغيرهم.

٢. الحديث الشريف: ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) كثيرٌ من الأحاديث التي تشير إلى ارتداد الناس بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)

^{٣٥٨}- سورة الأنفال، آية ٤٩

^{٣٥٩}- سورة التوبة، آية ١٠١

^{٣٦٠}- سورة التوبة، آية ٤٥

^{٣٦١}- سورة السجدة، آية ١٨

وآله)، حتى إن كثيراً منها رواه أهل الخلاف في صحاحهم، وإليكم هذه الروايات من صحيح البخاري:

- "عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم" ٣٦٢.

- "عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني على الحوض حتى أنظر من يردُّ عليّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ من دوني فأقول: يا رب، مني ومن أمّتي، فيقال: هل شعرتَ ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم" ٣٦٣.

- "عن ابن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يردُّ عليّ يوم القيامة زهطٌ من أصحابي فيحلّون

٣٦٢- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠٩

٣٦٣- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠٩

عن الحوض، فأقول: يا ربي أصحابي، فيقول: إنّه لا علم لك بما أحدثوا بعدك
إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري" ٣٦٤.

- "عن سهل بن سعد، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إني فرطكم على
الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّنّ عليّ أقواماً أعرفّهم
ويعرفوني، ثمّ يحال بيني وبينهم" ٣٦٥.

- "عن العلاء بن المسيب عن أبيه، قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما
فقلت: طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة،
فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده" ٣٦٦.

- "ألا وإنه يجاء برجالٍ من أمّتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب
أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:
وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم،
فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم" ٣٦٧.

فإذا كان هذا بعض ما روي في صحيح البخاري فقط عن ارتداد الأصحاب
بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عمّا روي في صحاحهم وكتبهم، فكيف

٣٦٤- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠٨

٣٦٥- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠٧

٣٦٦- صحيح البخاري، ج ٥، ص ٦٦

٣٦٧- صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٩٢

يؤمنون بعد ذلك بعدالة الأصحاب جميعاً؟! أليس في هذا تناقضٌ واضحٌ؟ أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟!

٣. تاريخ الصحابة: مَنْ يطلِّع على حياة الصحابة يظهر له بوضوح أنه لا يمكن أن يكونوا عدولاً بأجمعهم، إذ إنَّ:

- بعضهم كان منافقاً خبيثاً كعبد الله بن أبي سُلؤل.
- وبعضهم كان فاسقاً كالوليد بن عُقبة.
- وبعضهم كان قاتلاً زانياً كخالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة ظلماً، ونزا على امرأته في اليوم نفسه، فبرأه أبو بكر وقال إنه اجتهد وأخطأ!^{٣٦٨}
- وبعضهم غصب الخلافة من أهلها، والإمام الصادق (عليه السلام) يقول: "من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر!"^{٣٦٩}
- وبعضهم اتهم النبيّ بالهجر!^{٣٧٠}
- وبعضهم استأثر بمال المسلمين حتى قتلوه بسيوفهم^{٣٧١}.

^{٣٦٨}- راجع: الغدير، ج ٧، ص ١٥٨، وانظر المراجع التي ذكرت هذه القصة المشهورة.

^{٣٦٩}- الكافي، ج ١، ص ٣٧٢

^{٣٧٠}- انظر: السيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، ص ٣٥٢ وما بعدها

^{٣٧١}- راجع: الدكتور جواد جعفر الخليلي، من حياة الخليفة عثمان بن عفان، دار الإرشاد.

- وبعضهم خاض حربَ الجمل ضد إمام زمانه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والتي قُتِلَ فيها حوالي سبعة عشر ألف مسلم!^{٣٧٢}

- وبعضهم نصب العداة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ولعنه على أكثر من سبعين ألف منبر لثمانين عاماً^{٣٧٣}، وجيَّشَ لحربه الجيوش في صفين التي قتل فيها ما يقارب من مئة ألف مسلم!^{٣٧٤}

أليسوا جميعاً من الصحابة؟ أنوافق أهل الخلاف على أنهم كلهم عدولٌ، وأنهم من أهل الجنة؟!

الخلاصة: نحن نحترم كلَّ صحابيٍّ وإلى علياً وأولاده بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وائتمر بأمرهم، كسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد وغيرهم، ولا نحترم أيَّ صحابيٍّ ابتعد عن أهل البيت (عليهم السلام) واتبع سواهم بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، فضلاً عن الذي غصبهم حقهم ونصب لهم العداة. ونعتقد أن كل من لم يأخذ بحُجُزَتهم فهو هالك لا محالة لأنهم سفنُ النجاة، والثقل الثاني الذي أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) بالتمسك به.

^{٣٧٢}- علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ٢٤٣

^{٣٧٣}- راجع: الغدير، ج ٢، ص ١٠٣

^{٣٧٤}- حسب رواية المسعودي. راجع: الحاج حسين الشاكري، ثم عقر الجمل، ص ٩٥

الفصل الرابع:

الإمامة

الدرس الرابع والعشرون: (الإمامة)

الإمامة هي الأصل الرابع من أصول عقائد الشيعة الإمامية، وهي موضوعٌ ذو شجونٍ، قد أثار البحثُ فيه حساسيةً كبيرةً وعداوةً داميةً بين المسلمين، حتى قال الشهرستاني: "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سُلَّ سيفٌ في الإسلام على قاعدةٍ دينيةٍ مثل ما سُلَّ على الإمامة في كل زمان" ^{٣٧٥}.

وقد انقسم بسببها المسلمون إلى فرقتين؛ فرقة الشيعة الإمامية التي اتبعتُ بعد النبي (ص) خليفته بالحقِّ الإمامَ علياً (ع)، وفرقة أهل الخلاف التي اتبعتُ بعد النبي (ص) من اختارته جماعةً قليلةً من الناس، وهو أبو بكرٍ بن أبي قحافة.

معنى الإمام: الإمام لغةً هو مَنْ يُؤْتَمُّ أو يُقْتَدَى به، سواء أكان من أهل الحق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ^{٣٧٦} أو من أهل الباطل ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ ^{٣٧٧}. وكلُّ مَنْ يتصدى لرئاسة جماعة يُسمى "إماماً"، كإمام الجماعة حزبٍ ما وغيرهما. ^{٣٧٨}

^{٣٧٥} - الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٢٤

^{٣٧٦} - سورة الأنبياء، آية ٧٣

^{٣٧٧} - سورة القصص، آية ٤١

^{٣٧٨} - أنظر: لسان العرب، فعل: أمم، وانظر: مركز نون للتأليف والترجمة، عقائد قرآنية، ص ٩٠

أما في الاصطلاح، فالإمام هو الذي يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) في قيادة الأمة الإسلامية في كل شؤونها الدينية والدينية، على اختلافٍ في شروطه بين الشيعة وأهل الخلاف.

وظائف الإمام: الإمامة كالنبوة لطفٌ من الله تعالى، وهي سُنَّةٌ مستمرة بين الأنبياء جميعاً. ووجود الإمام بعد النبي واجبٌ ضروري، سيما أئمتنا الاثنا عشر بعد نبينا الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، وذلك لعدة أمور، منها:

١. إكمال تبليغ الدين: إن الفترة القصيرة التي عاشها النبي (صلى الله عليه وآله) بعد البعثة مع أمته لم تكن كافيةً لإبلاغ كلِّ أحكام الشريعة الإسلامية للناس، ذلك أن الأعوام الثلاثة والعشرين التي عاشها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بعد البعثة قضى منها ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو الناس إلى الله، ولم يؤمن به إلا القليلون. وقضى عشرة منها في المدينة ذهب معظمها في قتال المشركين.

من هنا، لم يتسنَّ له (صلى الله عليه وآله) أن ينشر كلَّ تعاليم الإسلام ومفاهيمه الدقيقة بهذه الفترة الوجيزة، فكان لا بدَّ من وجود خَلْفٍ له، محيطٍ بعلم الشريعة إحاطةً تامةً ليكملَ تبليغها بعده، وهذا هو الإمام.

٢. حفظ الشريعة من التحريف: كلُّ الشرائع السماوية تعرّضت بعد موت أنبيائها إلى تحريفٍ كبيرٍ على أيدي أصحاب الأهواء والمصالح. وكذلك الأمر بالنسبة للشريعة الإسلامية التي عبثت بها يدُ الفتن الأموية والمروانية والعباسية، فانقسم

المسلمون إلى عشرات الفرق المتناقضة. من هنا ضرورة وجود خَلْفٍ للنبي (صلى الله عليه وآله)، له نفس منزلته، يحمي الشريعة بعده من التحريف.

"عن أبي عبد الله (عقال: إن الأرض لا تخلو من أن يكون فيها مَنْ يعلمُ الزيادة والنقصان؛ فإذا جاء المسلمون بزيادةٍ طرَحَها، وإذا جاؤوا بالنقصانِ أكمله لهم، فلولا ذلك اختلط على المسلمين أمورهم" ٣٧٩.

٣. قيادة المجتمع: لا بدَّ للمجتمع من وجود قائدٍ ذي علمٍ ربّاني، يكون بمثابة مرجعٍ دينيٍّ وسياسيٍّ واجتماعيٍّ ترجع إليه الناسُ في تنظيمِ أمورِها وحلِّ مشاكلها. أما تركُ المجتمع بلا قائدٍ فيؤدي بلا شك إلى العمل بالآراء والأهواء، ومن ثم إلى تشتت المجتمع وانحياره.

٤. إتمام الحجة: وجود الحجة ضروري في كلِّ عصر، فالأرض لم تخلُ من حجة منذ النبيِّ آدم (ع)، ففي الرواية عن أبي جعفر (ع) قال: "والله ما ترك الله الأرضَ منذ قبض الله آدمَ إلا وفيها إمامٌ يُهتدى به إلى الله، وهو حجةُ الله على عباده، ولا تبقى الأرض بغير حجةٍ لله على عباده" ٣٨٠.

والأنبياء هم حجج الله على خلقه، فلا بدَّ بعد موتهم من وجود حجةٍ آخر يقوم مقامهم، حتى لا يحتجَّ العاصون على الله بأنه لم يرسل إليهم من يهديهم.

٣٧٩- الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٩

٣٨٠- علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٧

"عن كرام قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): لو كان الناسُ رجلين
لكان أحدهما الإمام. وقال: إنَّ آخرَ من يموتُ الإمام، لئلا يحتجَّ أحدُهم
على الله عزَّ وجلَّ، تركه بغير حجةٍ لله عليه"^{٣٨١}.

الخلاف بين الشيعة وأهل الخلاف حول الإمامة: يتوهم البعض أن خلافاً مع
أهل الخلاف في الإمامة عائدٌ إلى تلك الحادثة التاريخية التي أسفرت عن تعيين أبي
بكر مكان الإمام علي (عليه السلام) في خلافة النبي (صلى الله عليه وآله). لذلك،
وفي سبيل توحيد المسلمين، يدعوننا إلى نسيان تلك الحادثة التاريخية المشؤومة التي
كانت سبباً في فرقة المسلمين وانشقاقهم.

أما الواقع فهو غير ذلك، إذ إنَّ نقطة الخلاف بيننا تعود إلى نظرة كلِّ منّا
إلى الخلافة؛ فبينما يرى أهل الخلاف أن الخلافة سلطةٌ دنيويةٌ يتولاها شخصٌ يختاره
الناسُ، ترى الشيعة أن الخلافة منصبٌ رباني لا يقوم بها إلا إمامٌ عيّنه الله تعالى، لا
الناس! بل حتى النبي (صلى الله عليه وآله) لا يحقُّ له أن يعيّن من تلقاء نفسه إماماً
يخلفه في الناس بعده. من هنا اعتبرها الشيعة أصلاً من أصول الدين، واعتبرها أهل
الخلاف فرعاً من فروعها.

عقيدتنا في شرائط الإمامة: الإمام عند الشيعة لا يكون إماماً إلا إذا تحققت فيه
الشروط التالية:

١. أن يكون معيّناً من قبل الله تعالى، وليس لأحدٍ من البشر أن يعيّنهُ.

^{٣٨١} - علل الشرائع، ج ١، ص ١٩٦

٢. أن يكونَ ذا علمٍ غزيرٍ حاضرٍ لا تصعب معه إجابتهُ سائل، وأن يكونَ مصدرُ هذا العلمِ من الله تعالى أو من النبي أو من الإمام الذي قبله، بحيث لا يحتاج معه إلى الأخذ عن أحدٍ من البشر.

٣. أن يكونَ معصوماً من جميع الرذائل والفواحش والخطأ عن عمدٍ أو عن سهو، لأنَّ الله عيّنه أسوةً لغيره وحجةً عليهم، فإن كان الإمام يخطئ وهو حجةٌ على غيره، فهذا يُفقد ثقةَ الناسِ به، ويُجرِّتهم عليه، ويُسوِّغُ لهم بأن يخطئوا. وفي هذا هدمٌ لكلِّ ما بناه النبي قبله. وهذا ما حدث فعلاً عندما استلم زمامَ القيادة خلفاء مزيفون من بني أمية وبني مروان وبني العباس، فقد هدموا الشريعة وأضلُّوا الناس.

٤. أن يكونَ سالماً من جميع العيوب الخلقية والخلقية، لأن وجودها فيه يؤدي إلى التنفير منه، وهذا ما لا يريدُه الله تعالى، لذلك يصطفي من خلقه أكملهم خلقاً وخُلُقاً لهداية البشر، ولا عجب في ذلك لأن العاقل لا ينقضُ غرضه.

٥. أن يكونَ أكملَ الناسِ في كل صفات الكمال. قال الإمام الرضا (ع): "للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأسخر الناس، وأعبد الناس...".^{٣٨٢}

٦. أن تظهر على يديه المعجزة أو الكرامة التي لا يستطيع أحدٌ في زمانه الإتيان بها.^{٣٨٣}

عقيدة أهل الخلاف في صفات الإمام: اختلف أهل الخلاف في الصفات التي

يجب توفرها بالإمام أو الخليفة، فاشتراط بعضهم العلم، والعدالة، والمعرفة بوجوده السياسة، وحسن التدبير، وأن يكون نسبه من قريش. وزاد بعضهم عليها سلامة الحواس والأعضاء والشجاعة. وزاد بعضهم البلوغ والرجولية^{٣٨٤}.

والغريب أن تجد أرشد خلفائهم قد افتقد أبرز هذه الصفات؛ فلم يجوزوا العلم بأدنى المعارف الدينية، حتى استنجدوا بالإمام علي (عليه السلام) عشرات المرات^{٣٨٥}. وكذلك الأمر بالنسبة للعدالة والشجاعة وحسن التدبير.

والأغرب من هذا كله أن الإمام عندهم إذا فسق وظلم بغصب الأموال وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود، فلا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شيء مما يدعو إليه من معاصي الله!^{٣٨٦} واضح ما في هذا الكلام من تبرير وتثبيت لخلافة بني أمية وبني العباس الذين ﴿طَغَوْا فِي الْبِلَادِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾^{٣٨٧}.

^{٣٨٣}- وتاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مليء بالمعجز والكرامات، وقد صنفت في ذلك تصانيف عديدة كمناقب آل أبي طالب، ومدينة المعجز، وغيرها...

^{٣٨٤}- راجع: الشيخ جعفر السبحاني، محاضرات في الإلهيات، ص ٣٤٥، والدكتور محمد بيومي مهران، الإمامة وأهل البيت، ج ١، ص ٦٢ وما بعدها

^{٣٨٥}- راجع: السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)، ج ١٢، ص ٧١

^{٣٨٦}- راجع: الإمامة وأهل البيت، ج ١، ص ٩٧ وما بعدها تحت عنوان (طاعة الإمام).

^{٣٨٧}- سورة الفجر، آية ١١ - ١٢

الدرس الخامس والعشرون: (تعيين الإمام)

هل عيّن النبي محمدٌ (صلى الله عليه وآله) خليفةً بعده؟ يعتقد أهل الخلاف أن النبي (صلى الله عليه وآله) رحل عن الدنيا ولم يُعيّن بعده خلفاً له يدير شؤون الأمة، بل ترك هذا الأمر لأُمَّته يختارون بالإجماع من يشاءون.

أما الشيعة الإمامية فتعتقد أن تعيين الخليفة أمرٌ رباني لا شأن للبشر به؛ فكما أن الله اختار نبياً يؤدي رسالته إلى الناس ولم يوكل أمرَ اختياره إلى الناس، كذلك اختار وصياً للنبي يكمل دوره بعد وفاته، دون أن يوكل إلى الناس أمرَ اختياره.

ما الأدلة على أن اختيار الخليفة أمرٌ رباني؟ الأدلة كثيرة، منها قرآنية ومنها تاريخية:

أولاً: الأدلة القرآنية:

1. قول الله تعالى مخاطباً النبي إبراهيم (عليه السلام) بعد اجتيازه الاختبارات الربانية بنجاح: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^{٣٨٨}، فقوله إني جاعلك دليل على أنها جعلٌ رباني.

^{٣٨٨} - سورة البقرة، آية ١٢٤

وشبيهة بما قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^{٣٨٩}، وقوله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^{٣٩٠} وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^{٣٩١}.

٢. قولُ الله تعالى مجيباً للنبيِّ إبراهيم (عليه السلام) عندما طلب الإمامة لذريته من بعده: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^{٣٩٢} أي أن الإمامة هي عهدُ الله ولا يعطيها للظالم، حتى للظالم نفسه، أي المذنب.

٣. قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^{٣٩٣}. أجمع المفسرون على نزول هذه الآية بحق علي (عليه السلام) عندما تصدَّق بحاتمته، وهذا دليل على أن الله تعالى هو الذي جعله ولياً أي زعيماً على المسلمين ومتصرفاً في شؤونهم.

٤. قولُ الله تعالى مخاطباً النبي محمداً (صلى الله عليه وآله): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^{٣٩٤}. اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في حجة الوداع تأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بتنصيب علي (عليه

^{٣٨٩}- سورة البقرة، آية ٣٠

^{٣٩٠}- سورة ص، آية ٢٦

^{٣٩١}- سورة الأنبياء، آية ٧٣

^{٣٩٢}- سورة البقرة، آية ١٢٤

^{٣٩٣}- سورة المائدة، آية ٥٥

^{٣٩٤}- سورة المائدة، آية ٦٧

السلام) خليفة له بعده، وهذا يدل على أن تعيين الخليفة أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) من ربه تعالى.

٥. قول الله تعالى واصفاً النبيَّ محمداً (صلى الله عليه وآله) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^{٣٩٥} دليلٌ على أن اختيار الخليفة أمرٌ رباني، ذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله) في مواضع عديدة أوصى بالخلافة بعده للإمام علي (عليه السلام)، وبما أن النبي (صلى الله عليه وآله) وحْيٌ يوحى ولا ينطق من هوى نفسه، فهذا دليلٌ على أن الله هو الذي أمره بذلك.

ثانياً: الأدلة التاريخية:

١. عن جعفر بن مُحَمَّد، عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال: لما نصب رسول الله عليّاً يوم غدِير خم فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، طار ذلك في البلاد، فقدم على رسول الله النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد ان لا اله إلا الله، وانتك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصلاة والزكاة والصوم فقبلناها منك، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، فهذا شيءٌ منك أو أمر من عند الله؟ قال: الله الذي لا اله إلا هو إن هذا من الله. قال: فوالى النعمان وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا

^{٣٩٥} - سورة النجم، آية ٣ - ٤

بعذاب أليم. فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلْ

سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^{٣٩٦}.^{٣٩٧}

٢. عرض النبي (صلى الله عليه وآله) الإسلام قبل الهجرة على وفود الحجاج القادمة إلى مكة، وكان من جملة من عرض عليهم قبيلة بني عامر، فأجابه زعيمهم: رأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الأمر لله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك^{٣٩٨}.

وإجابة النبي (صلى الله عليه وآله) هذه، دليل واضح على أن تعيين الإمام بعده أمر رباني لا دخل للبشر به.

٣. عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^{٣٩٩} جمع النبي (صلى الله عليه وآله) عشيرته على طعام، ولما فرغوا عرض عليهم نبوته، ثم سألهم: أيكم يوازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم ولم يجب إلا علي (عليه السلام) قائلاً: أنا يا نبي الله

^{٣٩٦} - سورة الأنبياء، آية ٧٣

^{٣٩٧} - الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج ٢، ص ٣٨١

^{٣٩٨} - راجع: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٨٤

^{٣٩٩} - سورة الشعراء، آية ٢١٤

أكون وزيرك عليه. فأخذ (صلى الله عليه وآله) برقبته، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^{٤٠٠}.

اعتراض: قد يعترض البعض بهذا الاعتراض: أنتم تقولون أن تعيين الخليفة أمرٌ رباني، فماذا لو استجاب للنبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الحادثة غيرُ عليٍّ، أليس من الإيفاء بالوعد أن يكون المستجيب خليفةً للنبي بعده؟ فكيف تجتمع خلافة المستجيب لدعوة النبي مع خلافة علي (عليه السلام) الذي اختاره الله خليفة قبل أن يخلقه؟

الجواب: يُجاب عن الاعتراض السابق بما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): "إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من أهله كما جعل للأنبياء من قبل، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل عليّ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ورهطك المخلصين، وقد والله أنبأني به، وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لئلا تكون لكم الحجة فيما بعد"^{٤٠١}.

هكذا نكون قد أثبتنا أن تعيين الخليفة للنبي أمرٌ رباني لا دخل للبشر به، وحتى للنبي نفسه.

^{٤٠٠}- راجع: الغدير، ج ٢، ص ٢٧٨ وما بعدها

^{٤٠١}- بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢١٥

الدرس السادس والعشرون: (كيف تنعقد الإمامة عند الشيعة؟)

كيف تنعقد الإمامة عند الشيعة؟ تنعقد الإمامة عند الشيعة بأحد أمرين^{٤٠٢}:

١. بنصٍ واضحٍ لا لبسٍ فيه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو من إمام سابقٍ ثبتت إمامته.

٢. بظهور المعجزة على يدي مدعي الإمامة.

واستناداً إلى ذلك، فإن الإمامة في اعتقادنا لم تثبت سوى لعلي (عليه السلام) والأئمة الأحد عشر من ولده، وذلك لتحقق الأمرين فيهم؛ فقد نصَّ النبي (صلى الله عليه وآله) على إمامتهم واحداً واحداً وبأحاديث كثيرة، نتعرضُ لذكر شيءٍ منها فيما بعد. كما أن المعجزة ظهرت على أيديهم (عليهم السلام) في مواضع عديدة.

واختصاراً، نذكر بعض معاجز أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

طائفة من المعاجز التي ظهرت على يدي علي (عليه السلام): معاجز أمير

المؤمنين (عليه السلام) كثيرة يصعب حصرها، فمنها:

أ- إخباره بالأمر الغيبية: كَشَفَ الإمامُ عليُّ (عليه السلام) الستارَ عن كثيرٍ

من الأمور الغيبية، نذكر بعضَها:

- قوله: "أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين"^{٤٠٣}، وحدث ذلك.

^{٤٠٢}- راجع: الإمامة في أهم الكتب الكلامية، ص ٥٠

- قوله لطلحة والزبير: "لا والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان البصرة"^{٤٠٤}، فكان الأمر كما قال.
- قوله بذي قار، وهو جالسٌ لأخذ البيعة: "يأتيكم من قِبَل الكوفة ألفُ رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني على الموت"^{٤٠٥}، فحصل ذلك، وكان آخر القادمين أويسُ القريني.
- ومنها، وقد أُخبرَ بعبور الخوارج النهرَ مراراً، وهو يقول: كلا ما عبروا، وإنه لمصرعهم ومهراق دمائهم، ثم إخبارُه بمقتل ذي الثُدَيَّة بعد انتهاء الحرب ووصفُه لهم حتى وجدوه^{٤٠٦}.
- ومنها إخبارُ بعضِ أصحابه بطريقة قتلهم كجويرية وميثم وكميل وحجر وقنبر ورشيد، فقُتِل كلُّ واحدٍ بالطريقة التي أخبره بها أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ومنها قوله لأصحابه وقد مرّوا بكرِبلاء: "هذا والله مناخ ركابهم وموضع منيتهم"^{٤٠٧}.

٤٠٣- الخصال، ص ١٤٥

٤٠٤- الإرشاد، ج ١، ص ٣١٥

٤٠٥- الإرشاد، ج ١، ص ٣١٨

٤٠٦- الإرشاد، ج ١، ص ٣١٨

٤٠٧- الإرشاد، ج ١، ص ٣٣٢

- ومنها قوله وقد أخبر بموت خالد بن عرفطة: إنه لم يمّت ولا يموت حتى يقود جيشَ ضلالةٍ صاحبُ لوائه حبيب بنُ حمّاز، فقام رجل من تحت المنبر، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمّاز، وإني لك شيعة ومحب، فقال (عليه السلام): أما والله إنك لحاملها، ولتحمّلنّها ولتدخلنّ بها من هذا الباب، وحصل ذلك^{٤٠٨}.

- ومنها إخباره بغرق البصرة عندما قال: "وأيم الله لتغرقنّ بلدتكم حتى كأني أنظرُ إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة"^{٤٠٩}. وحصل ذلك.

- ومنها إخباره عن مروان بن الحكم بقوله: "أما إن له إمرةً كلعقة الكلبِ أنفه. وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمةُ منه ومن ولده يوماً أحمر"^{٤١٠}.

- ومنها إخباره بظلم الحجاج بن يوسف الثقفي عندما قال: "أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذئال الميال، يأكل خضرتكم ويؤذيب شحمتكم"^{٤١١}.

- ومنها إخباره بحكم بني العباس عندما قال لابن عباس: "يا بن عبّاس، إنّ ملك بني أميّة إذا زال فأوّل ما يملك من بني هاشم ولدك، فيفعلون الأفاعيل"^{٤١٢}.

٤٠٨- الإرشاد، ج ١، ص ٣٢٩

٤٠٩- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٣

٤١٠- نهج البلاغة، الخطبة رقم ٧٣

٤١١- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١١٦

٤١٢- شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان)، الفضائل، ص ١٤٢

- ومنه إخباره بطريقة شهادته: "والله لتخضبن هذه من هذا"، ووضع يده على رأسه ولحيته^{٤١٣}. وغير هذا كثير مما أخبر به وحصل.

ب- قوته البدنية الخارقة: وهي إحدى معجزه "التي أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده. ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربةً قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية. وفي الحديث "كانت ضرباته وترأ"... وهو الذي قلع باب خيبر، واجتمع عليه عصبية من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه، وهو الذي اقتلع هُبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض. وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده، بعد عجز الجيش كُله عنها، وأنبط الماء من تحتها".^{٤١٤}

وروي عنه (عليه السلام) أنه قال في رسالته إلى سهل ابن حنيف:

"والله ما قلعتُ بابَ خيبر ورميتُ بها خلفَ ظهري أربعينَ ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركةً غذائية، لكنني أيدتُ بقوة ملكوتية، ونفسي بنور ربِّها

^{٤١٣}- الإرشاد، ج ١، ص ٣١٩

^{٤١٤}- شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١، ولمعرفة تفاصيل حادثة الصخرة التي دحاها عن فم البئر في طريقه إلى صفين، راجع: شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٠٥

مُضِيَّة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء، والله لو تظاهرتِ العربُ علي قتالي كما وليت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت".^{٤١٥}

وعلى قاعدة "والفضل ما شهدت به الأعداء"، روي أنه لما دعا الإمام معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن، وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!^{٤١٦}

وروي أيضاً أن معاوية انتبه يوماً، فرأى عبد الله بن الزبير جالساً تحت رجله على سريره، ففعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئتُ أن أفتك بك لفعلتُ، فقال: لقد شجعتَ بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتِي وقد وقفتُ في الصفِّ إزاءَ عليِّ بن أبي طالب؟! قال: لا جرمَ إنه قتلك وأباك بيُسرَى يديه، وبقيتِ اليمنى فارغةً، يطلبُ من يقتله بها.^{٤١٧}

ت - ولايته على الكون والمخلوقات: للإمام علي (عليه السلام) وللأئمة بعده ولايةٌ على الكون، بمعنى أنهم يستطيعون أن يأمرُوا المخلوقات فيطيعون

^{٤١٥}- أمالي الصدوق، ص ٦٠٤

^{٤١٦}- شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١

^{٤١٧}- شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١

أمرهم، وهذا ثابتٌ في العقل والنقل.^{٤١٨} ومن جملة معاجز الإمام علي (عليه السلام) الكونية ما يلي^{٤١٩}:

- **رُدُّهُ لِلشَّمْسِ مَرَّتَيْنِ**: قال (عليه السلام): "إن الله تبارك وتعالى ردَّ عليَّ الشمس مرتين ولم يردِّها عليَّ أحدٍ من أُمَّةٍ محمَّد (صلى الله عليه وآله) غيري".^{٤٢٠}

- **مخاطبته للأرض**: "عن تميم بن جندب: كنّا مع عليّ (عليه السلام) حيث توجَّهنا إلى البصرة، قال: فبينما نحن نُزول إذا اضطربت الأرض، فضرَّها عليّ (ع) بيده، ثمَّ قال لها: ما لك؟ ثمَّ أقبل علينا بوجهه، ثمَّ قال لنا: أما إنَّها لو كانت الزلزلةُ التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ في كتابه لأجابتني، ولكنَّها ليست بتلك".^{٤٢١}

- **تسبيح الحصى في يده**: "عن أنس أنه صلى الله عليه وآله أخذَ كفاً من الحصى، فسبَّحَ في يده، ثمَّ صبَّه في يدِ عليّ، فسبَّحَ في يده حتى سمعنا التسبيحَ في أيديهما، ثمَّ صبَّه في أيدينا فما سبَّحَ في أيدينا".^{٤٢٢}

٤١٨- راجع الدرس الثاني والأربعون، بعنوان: الولاية التكوينية.

٤١٩- راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ١١، ص ١٧٣ وما بعدها

٤٢٠- الخصال، ص ٥٨٠

٤٢١- علل الشرائع، ج ٢، ص ٥٥٥

٤٢٢- قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٤٧

- إحياءه للشجرة اليابسة: "عن الحرث قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهى إلى العاقول، فإذا هو بأصل شجرةٍ قد وقع لحاؤها، وبقي عمودها، فضربها بيده، ثم قال: ارجعي بإذن الله خضراء مثمرةً، فإذا هي تَهْتَرُ بأغصانها، حملها الكُمثري^{٤٢٣}، فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا، فلما كان من الغد غدونا، فإذا نحن بها خضراء فيها الكُمثري^{٤٢٤}."

- تسليم الحيتان في الكوفة عليه بإمرة المؤمنين: "استفاض بين الخاص والعام أن أهل الكوفة فزعوا إلى أمير المؤمنين من الغرق لما زاد الفرات، فأسبغ الوضوء، وصلّى منفرداً، ثم دعا الله، ثم تقدّم إلى الفرات متوكئاً على قضيب بيده حتى ضرب به صفحة الماء وقال: انقص بإذن الله ومشيتته، فغاض الماء حتى بدت الحيتان، فنطق كثيرٌ منها بالسلام عليه بإمرة المؤمنين، ولم ينطق منها أصنافٌ من السمك، وهي الجري والمارماهي والزمار، فتعجب الناسُ لذلك وسألوه عن علة ما نطق، وصموت ما صمت! فقال: أنطق الله ما طهر من السموك، وأصمت عني ما حرّمه ونجّسه وأبعده"^{٤٢٥}.

- كلام الثعبان له وهو على المنبر: "روي عن أمير المؤمنين (ع) أنه كان يخطب يوم الجمعة على منبر الكوفة إذ سمع وحاة عدو الرجال، يتواقعون بعضهم على بعض، فقال لهم: مالكم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، إن ثعباناً عظيماً قد دخل من

^{٤٢٣}- الكُمثري: هو الإجاز.

^{٤٢٤}- محمد بن فروخ (الصفار)، بصائر الدرجات، ص ٢٧٤

^{٤٢٥}- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١٥٥

باب المسجد، ونحن نفرغُ منه، فنريد أن نقتله، فقال (ع) لا يقربته أحدٌ منكم أبداً، وطرقوا له، فإنه رسولٌ قد جاء في حاجةٍ، فطرقوا له، فما زال يتخللُ الصفوفَ صفاً بعد صفٍ، حتى صعدَ المنبرَ، فوقع فؤمه في أذن علي بن أبي طالب (ع)، فنقّ نقيقاً وتطاول، وأميرُ المؤمنين (ع) يحرك رأسه، ثم نقّ أميرُ المؤمنين (ع) مثلَ نقيقه، ونزل عن المنبر، فانساب بين الجماعة، فالتفتوا فلم يروه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما خبر هذا الثعبان؟ فقال (ع): هذا درجان بن مالك خليفتي على المسلمين من الجن، وذلك أنهم اختلفوا في أشياء، فأنفذوه إلي، وسألني عنها، فأخبرته بجواب مسأله، فرجع إلى قومه".^{٤٢٦}

ومثلُ هذه الحوادث كثيرٌ كثير.

ث - استجابة دعائه: ومن جملة معاجز الإمام علي (عليه السلام) وكراماته أنه مستجاب الدعاء. وهؤلاء بعض من دعا عليهم، واستجاب الله تعالى له فيهم^{٤٢٧}:

- دعا علي طلحة والزبير، فقتلا: قال بعدما راسل أهل الجمل مرّة بعد أخرى ليكفوا عن الحرب، فلم يجيبوه: اللهم إنّ طلحة بن عبيد الله أعطاني صفقةً يمينه طائعاً ثمّ نكث بيعته، اللهم فعاجله ولا تمّيطه. اللهم إنّ الزبير بن العوّام

^{٤٢٦}- الفضائل، ص ٧٠

^{٤٢٧}- راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ١١، ص ٦٣ وما بعدها

قطع قرابتي، ونكث عهدي، وظاهر عدوي، ونصب الحرب لي، وهو يعلم أنه ظالم، فاكفنيه كيف شئت وأني شئت".^{٤٢٨}

- **دعا علي بسر بن أرطاة أن يُجنَّ فجنَّ:** قال (عليه السلام): "اللهم إنَّ بسراً باع دينه بدنياه، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوقٍ فاجرٍ آثرَ عنده ممَّا عندك، اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله. فما لبث بعد وفاة علي (عليه السلام) إلا يسيراً حتى وسوسَ وذهب عقله".^{٤٢٩}

- **دعا علي أنس بن مالك بالبرص، فأصابه هذا الداء:** "قال عليه السلام: لأنس بن مالك، وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة، يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معاهما، فلوى عن ذلك، فرجع إليه فقال: إني أنسيت ذلك الأمر. فقال عليه السلام: إن كنت كاذباً فضربك الله بما بيضاء لامعة لا تواربها العمامة (يعني البرص)، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى إلا مبرقاً".^{٤٣٠}

- **دعا علي الحسن البصري بأن يدوم حزنه فصار دائم الحزن:** روى قطب الدين الراوندي في الخرائج والجرائح "أنَّ علياً (عليه السلام) رأى الحسن البصري

^{٤٢٨}- الموفق الخوارزمي، المناقب، ص ١٨٥

^{٤٢٩}- شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨

^{٤٣٠}- نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٤

يتوضّأ في ساقية، فقال: أسبغ طهورك يا كفتي^{٤٣١}. قال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء. قال: وإنك لحزينٌ عليهم؟ قال: نعم. قال: فأطال الله حزنك. قال أيّوب السجستاني: فما رأينا الحسن قطّ إلا حزيناً كأنّه يرجع عن دفنٍ حميمٍ".^{٤٣٢}

- دعا على العيزار أن يعمى فعمى: "أنتم عليّ (عليه السلام) رجالاً يقال له العيزارُ برفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحدته، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): أتخلفُ بالله يا هذا إنك ما فعلت ذلك؟ قال: نعم. وبدر فحلف. فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): إن كنت كاذباً فأعمى الله بصرك. فما دارت الجمعة حتى أُخرج أعمى يُقاد، قد أذهب الله بصره".^{٤٣٣}

ومثلُ هذا كثيرٌ، يصعب حصره.

^{٤٣١}- كفتي: أي شيطان، وكانت أمّه سمّته بذلك ودعته في صغره، فلم يعرف ذلك أحد حتى دعاه به أمير المؤمنين (ع).

^{٤٣٢}- ج ٢، ص ٥٤٧

^{٤٣٣}- الإرشاد، ج ١، ص ٣٥١

الدرس السابع والعشرون: (كيف تنعقد الإمامة عند أهل الخلاف؟)

كيف تنعقد الإمامة عند أهل الخلاف؟ الإمامة عندهم رئاسة دينية، يعود أمرُ

تعيينها إلى الأمة الإسلامية لا إلى الله، وذلك عبر واحدٍ من الطرق التالية:

١. **إجماع أهل الحلّ والعقد:** وهو أن يجتمع أهلُ الحلّ والعقد على مبايعة الخليفة، من غير تحديد عددهم. وهذا مبررهم لخلافة أبي بكر الذي اجتمع على بيعته أهل الحلّ والعقد كما يدعون.

٢. **التعيين:** وهو أن يعين الخليفة السابق الخليفة اللاحق، كما عين أبو بكر عمر بن الخطاب بعده.

٣. **الشورى:** وهو مجلسٌ يشكله الخليفة من عددٍ من الأشخاص المؤهلين بنظره لتوليّ الخلافة، ثم ينتخبون من بينهم خليفة، كما حصل في خلافة عثمان.

٤. **النص:** وهو أن ينصّ النبي (صلى الله عليه وآله) على الخليفة بعده.

مناقشة هذه الطرق: إذا أمعنا النظر في هذه الطرق الأربع فإنها تكشف عن بطلانها، وتتهوى أمام معاول النقد. وهذا بعض ما يُسجّل على:

- **إجماع أهل الحلّ والعقد:** يقول أهلُ الخلاف أن خلافة أبي بكر الصديق مبررةٌ لاجتماع أهل الحلّ والعقد من المسلمين على بيعته. أما الواقع فيكذب دعواهم إذ لم يبايع أبا بكرٍ إلا خمسة أشخاص في السّقيفة هم: عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (من المهاجرين) وأسيد بن خضير وبشر بن سعد وسالم مولى

أبي حذيفة (من الأنصار)^{٤٣٤}. وأرغم عددٌ كبيرٌ من المسلمين على المبايعة تحت وطأة التهيب أو الترغيب، وعددٌ كبيرٌ من الهمج الرعاع بايع اتباعاً لفعل الناس. ورفض الإمام علي (عليه السلام) بيعة أبي بكر غير الشرعية، ورفضها سائر بني هاشم. كذلك رفضها أجلاء الأصحاب كعمار وسلمان والمقداد وطلحة والزبير وسعد بن عباد الذي قتلوه لرفضه المبايعة وادعوا أن الجن قد قتلوه!^{٤٣٥} فأين إجماع أهل الحل والعقد على خلافته؟! أليس علي (عليه السلام) وأصحابه وبنو هاشم من أهل الحل والعقد؟ إذن، فخلافه أبي بكر باطلة لعدم تحقق الإجماع عليه.

- **التعيين:** وهو باطلٌ في عقيدتنا لأنه ليس من حق أحدٍ من البشر، إنه من حق الله تعالى وحده. أضف إلى أن بطلانَ خلافة الأول المعين تبطلُ خلافة الثاني المعين. ثم ما هو المعيار الذي لأجله عين أبو بكر عمر خليفة بعده؟ هل هو فضله أم علمه أم حلمه أم شجاعته؟ ولم يثبت له منها شيء! إذن فخلافته باطلة.

- **الشورى:** وهي لعبة جاء بها عمر بن الخطاب ليصرف الأمر عن أهله، ذلك أنه عندما دنا أجله عين ستة أشخاص يزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) مات وهو راضٍ عنهم، وهم: علي (عليه السلام) والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن

^{٤٣٤}- السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)، ج ١٤، ص ٢١٣

^{٤٣٥}- راجع:

عوف وسعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان، وجعل الأمر شورى بينهم، يتفقون على واحدٍ منهم، فإن اتفق خمسة وأبى واحدٌ تضرب عنقه، وإن أبى اثنان تُضرب عنقاهما، وإن أبى ثلاثة فيُنظر إلى مَنْ فيهم عبد الرحمن، كل ذلك بمهلة ثلاثة أيام، فإن مضت الأيام الثلاثة ولم يعينوا واحداً تضرب أعناق الستة!

والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا المجال كثيرةٌ، منها:

- إذا كانت الشورى أساسَ الحكم ولها هذه الأهمية في مصير الأمة، فلماذا لم يتكلم عنها النبي (صلى الله عليه وآله) ولو بحديث واحد؟ ألم يبيّن (صلى الله عليه وآله) أموراً كثيرةً أقل منها أهميةً؟!
- لماذا اختار عمرٌ وحده أعضاء الشورى؟
- لماذا حصرهم بستة أشخاص ليس فيهم غير واحدٍ يُتمَل أن يختار علياً؟ فهل هؤلاء هم الوحيدون الذين يحق لهم الاختيار بين أبناء الأمة الإسلامية؟!
- بأي حجة شرعية أمر بضرب عنق من لا يوافق البقية حتى لو كان علياً؟ أليس من الثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن حبّه إيمان وبغضه كفر ونفاق، وأنه مع الحق والحق معه؟!
- بأي حجة شرعية أمر بضرب رؤوس ستة مات النبي (صلى الله عليه وآله) وهو راضٍ عنهم بزعمه؟
- لماذا رجّح الفئة التي فيها عبد الرحمن بن عوف؟ أليس لأنه صهر عثمان؟...

ألا يدلّ كل ذلك على بطلان الشورى، وبالتالي بطلان خلافة عثمان؟

- **النص:** يزعم أهلُ الخلاف أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينصَّ على أحدٍ ليكون خليفةً بعده!^{٤٣٦} وهذا الرأي واضحُ البطلان عند الشيعة، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) نصَّ على عليٍّ (ع) في عشرات المواضع. وسنذكر نصوص النبي (صلى الله عليه وآله) على خلافة عليٍّ (ع) في درسٍ مفصّلٍ.

أدلةُ أهلِ الخلافِ المخترعةُ على إمامة أبي بكر: سنكتفي هنا في مناقشة خلافة أبي بكر دون خلافة الاثني عشر بعده، لأن خلافتيهما تتفرع من خلافته، وإبطال خلافته تبطلُ خلافتهم. لذلك حاول علماءُ العامة بكلِّ قوّة أن يثبتوا خلافة أبي بكر لأن في ذلك ثبات مذهبهم، واضعين لهذه الغاية أحاديثَ واهيةً، ومزيقين التاريخ بشكليّ فاضح. وهذا بعضُ ما استدلّوا به:

١. زعموا أن قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾^{٤٣٧} نزل في أبي بكر، وبهذا يكون أبو بكر أتقى الناس، والأتقى هو الأفضل عند الله، والأفضل عند الله هو الذي يتعيّن للخلافة بعد الرسول.

٢. زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) استخلف في مرضه أبا بكر للصلاة بالناس.

^{٤٣٦}- أنظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ط ٢، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٩٧٧م، ص ٣٤٠. وانظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٢، ص ٢٠١.

^{٤٣٧}- سورة الليل، آية ١٧

٣. زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "اقتدوا باللذنين من بعدي أبي بكر وعمر".

٤. زعموا أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "ما ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره".

مناقشة هذه الأدلة: لا شك عند الشيعة أن هذه الأدلة هي من اختراع أهل الخلاف لإضفاء الشرعية على خلافة أبي بكر، وبالتالي على مذهبهم كله. وهذا نقاش سريع لأدلتهم الواهية:

١. الآية القرآنية نزلت في قصة النخلة التي اشتراها أبو الدحداح من الأنصاري وباعها للنبي (صلى الله عليه وآله) ببيت في الجنة في قصة مفصلة ذكرتها كتب التفسير^{٤٣٨}. ويؤكد ذلك قول عائشة: "لم يُنزل الله فينا شيئاً من القرآن"^{٤٣٩}.

٢. أما زعمهم أن النبي (صلى الله عليه وآله) استخلف أبا بكر للصلاة بالناس فباطل، لأن عائشة هي التي أمرت بلالاً بأن يُخبرَ أباهما أن يصلي بالناس، فلما عرف النبي (صلى الله عليه وآله) وبَّخها وخرج يتكئ على عليّ والفضل بن عباس ثم أمّ الناس.

^{٤٣٨}- راجع: الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٧٦ في تفسير سورة الليل. وراجع: الدر المنثور في التفسير بالماثور، ج ٦، ص ٣٥٨

^{٤٣٩}- صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٢

ويزعمون أنه صلى بالناس صبيحة نهار الاثنين يوم وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، فإن صحَّ ذلك يكون قد تخلف عن جيش أسامة الذي لعن النبي من يتخلف عنه. فهل يُعقلُ أن يلعبه النبي من جهة ويأمره بالصلاة من جهة ثانية؟!^{٤٤٠}

٣. أما حديث الاقتداء فباطل لأنه لم يصحَّ سنداً من جهة^{٤٤١}، ولم يصحَّ مضموناً من جهة ثانية؛ إذ كيف يأمر النبي بالاقتداء بهما وهما مختلفان، فقد خالف عمرُ أبا بكرٍ في كثير من الأمور كتحریم المتعتين وغيرها، فأيهما نقتدي؟ أنقتدي بأبي بكرٍ فنحللهما، أم بعمرٍ فنحرمهما!؟

٤. أما الحديث الأخير فقال فيه الحافظ ابن الجوزي أحد أعلامهم: هذا حديث موضوع على رسول الله (صلى الله عليه وآله)^{٤٤٢}.

هذه كانت بعض الأحاديث التي أوردوها لإثبات خلافة أبي بكر، وغيرها التي على شاكلتها كثير. ومن يجبَّ الاطلاع على الموضوع مفصلاً، فليراجع كتاب: "إبطال ما استُدلَّ به لأمامة أبي بكر" للسيد علي الميلاني، ففيه كفاية للمريد وريٌّ للصادي.

^{٤٤٠}- راجع: السيد علي الميلاني، صلاة أبي بكر في مرض النبي (ص)، ص ٧٦ وما بعدها

^{٤٤١}- راجع: الشيخ جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ١، ص ٣٠٠

^{٤٤٢}- راجع: السيد علي الميلاني، إبطال ما استُدلَّ به لأمامة أبي بكر، ص ٣١

الدرس الثامن والعشرون: (الأدلة العقلية على إمامة علي (عليه السلام))

نعتقد، نحن الشيعة الإمامية، أن الخليفة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو الإمام الحق الذي نصبه الله تعالى على لسان نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله)، سواء أحكّم بعده أم لم يحكم.

وإمامة علي (عليه السلام) ثابتةٌ بحكم العقل والنقل. وسنعرض في هذا الدرس بعض الأدلة العقلية على إمامته (عليه السلام).

الأدلة العقلية على إمامة علي (عليه السلام): إمامة علي (عليه السلام) ثابتة

بحكم العقل، وهذه بعض البراهين العقلية عليها:

١. لا بد من وجود شخص بعد النبي (صلى الله عليه وآله) يكملُ رسالته في تبين الأحكام، وتفسير الكتاب، ورد الشبهات، وصون الدين من التحريف، والقضاء بين الناس، حتى لا تتخبط الأمة في الضلالة العمياء. وهذا الشخص يجب أن يكونَ علمه كعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا تخفى عنه خافيةٌ في أمر الدين والدنيا. ولم يجتمع هذا العلم إلا في علي بن أبي طالب (عليه السلام) باتفاق الجميع، فتعيّن أن يكونَ هو الإمام^{٤٤٣}.

٢. تقديم المفصول على الفاضل قبيح، وعلي (عليه السلام) كان الأفضل من دون شكٍ بدليل أنه كان مستجمعاً للصفات الخُلقية كافةً كالعلم والشجاعة والعدالة

^{٤٤٣}- راجع: السيد علي الميلاني، محاضرات في الاعتقادات، ج ١، ص ٣٢٨ وما بعدها، وفيه مقارنة بين علم علي وعلم أبي بكر.

والعفة، ووجودها فيه كانت على الشكل الأتم الأكمل، إذن فهو أكملُ فيها من سائر الصحابة، ومن كان كذلك فهو الأفضل دون شك.

٣. ومن الأدلة العقلية على إمامته (عليه السلام) ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما سئل عن الدليل على إمامة علي (عليه السلام) فقال: "احتياج الكلّ إليه واستغناؤه عن الكل، دليلٌ على أنه إمامُ الكل".

أما احتياج الكل إليه فواضح وضوح الشمس، فهذا أبو بكر يستشيرُه عدة مرات على قصر حكمه^{٤٤}. وهذا عمر لا يزال صدى صوته يرنّ في كتب التاريخ: "أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن" و"لولا عليّ لهلك عمر"، حتى اشتهر أنه قال ذلك في سبعين موضعاً!^{٤٥}

وأما استغناؤه عن الكل فيؤكدُه عدم وجود رواية واحدة في كتب التاريخ تثبت أنه استشار أحداً من الناس، أو تعلّم على يد أحدٍ غير رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٤. الإمام علي (عليه السلام) معصومٌ، وهذا ثابت قطعاً، وغيره من الخلفاء غير معصوم قطعاً، والمعصوم أحق بالاتباع من غيره لأنه يهدي إلى الحق دائماً، أما غير المعصوم فقد يقود إلى الضلال لإمكان وقوع الخطأ منه. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ

^{٤٤}- راجع: الشيخ مهدي فقيه إيماني، الإمام علي (ع) في آراء الخلفاء، ص ٥٥ وما بعدها

^{٤٥}- السيد علي البهبهاني، مصباح الهداية في إثبات الولاية، ص ٦٣

كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٤٦﴾ وواضح ما في هذه الآية من الاستغراب من اتباع غير الذي يهدي إلى الحق.

٥. من المستحيل أن يمضي النبي (صلى الله عليه وآله) ويترك أمته هَمَلًا دون راعٍ، لأن في ذلك شتائم وفرقتهم، أو أن يترك أمر تعيين الخليفة إليهم لأنه يعلم ما هم فيه من مشاحنات وخصومات، سواء بين المهاجرين والأنصار، أو بين المهاجرين أنفسهم (هاشميين وأمويين، قريشيين وغيرهم) أو بين الأنصار أنفسهم (أوس وخزرج)، سيما وأنه كان إذا غادر المدينة بضعة أيام عيّن خلفاً بعده كما في غزوة تبوك. فإذا أثبتنا ذلك ثبت العكس، وهو أنه عيّن خليفة بعده. ولا يوجد نصٌ عنه على غير علي (عليه السلام)، فوجب أن يكون هو الإمام.

الدرس التاسع والعشرون: (الأدلة القرآنية على إمامة علي (عليه السلام))

أثبتنا في الدرس السابق إمامة علي (عليه السلام) بالأدلة العقلية، وسنحاول بعون الله تعالى في هذا الدرس إثباتها بالأدلة القرآنية. والآيات القرآنية الدالة على إمامته كثيرة، ولا يتسع المقام لذكرها جميعاً، سيما وأنه نزل فيه وحده سبعون^{٤٤٧} آية أو ثمانون^{٤٤٨} حتى قال ابن عباس: "ما نزل في أحدٍ من كتاب الله تعالى ما نزل في علي^{٤٤٩}"، وقال: "ليس من آية في القرآن فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إِلَّا وَعَلِيٌّ رَأْسُهَا وَأَمِيرُهَا وَشَرِيفُهَا. ولقد عاتب الله أصحاب محمد في القرآن، وما ذكر علياً إلا بخير^{٤٥٠}".

الأدلة القرآنية على إمامة علي (عليه السلام): وهي كثيرة كما قلنا، نذكر منها:

١. آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^{٤٥١} "اجتمعت الأمة أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام لما تصدق بخاتمته وهو راعٍ لا خلاف بين المفسرين في ذلك"^{٤٥٢}.

^{٤٤٧}- هذا قول مجاهد، من كتاب شواهد التنزيل، ج ١، ص ٥٢

^{٤٤٨}- هذا قول عبد الرحمن بن أبي ليلى من المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥

^{٤٤٩}- شواهد التنزيل، ج ١، ص ٥٢

^{٤٥٠}- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٨، ص ٨

^{٤٥١}- سورة المائدة، آية ٥٥

^{٤٥٢}- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٢٠٨، وفيه ذكر لأسماء المفسرين الذين ذكروا ذلك. انظر أيضاً: السيد علي الميلاني، آية الولاية، ص ٩ وما بعدها

وتدل هذه الآية بوضوح على أن الله تعالى حصر الولاية على المؤمنين في نفسه وفي الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي علي (عليه السلام). وهذا دليل قرآني على إمامته (عليه السلام).

٢. آية التبليغ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^{٤٥٣} نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع يأمره الله فيها بأن يبلغ الأمة بولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)^{٤٥٤}، ويتكفل له أن يعصمه من الناس الذين لم يكونوا ليتقبلوا هذا الأمر بغضاً منهم لعلي (عليه السلام) وطمعاً منهم بالخلافة. وهذا دليل قرآني آخر على إمامته (عليه السلام).

٣. آية إكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^{٤٥٥} نزلت هذه الآية بعد أن بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) الناس ولاية علي (عليه السلام) عليهم من بعده^{٤٥٦}. وبولاية علي (عليه السلام) كمل الدين الإسلامي وتمت نعمة الله تعالى على المسلمين، وبدون ولايته يبقى الدين الإسلامي ناقصاً. وهذا دليل صريح على إمامته (عليه السلام).

^{٤٥٣}- سورة المائدة، آية ٦٧

^{٤٥٤}- ابن عساکر، تاریخ دمشق، ج ٤٢، ٢٣٧

^{٤٥٥}- سورة المائدة، آية ٣

^{٤٥٦}- راجع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٢٨٤

٤. قوله تعالى مخاطباً خليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^{٤٥٧} ابتلى الله سبحانه نبيه إبراهيم ببلاءاتٍ عديدة، فلما نجح فيها أعطاه مقامَ الإمامة، وهو مقامٌ أرفع من مقام النبوة، فسأله إبراهيم أن يعطي الإمامة لذريته من بعده، فأجابه الله تعالى أن عهده (وهو الإمامة) لا ينال الظالمين.

والظالمُ بالمعنى القرآني هو الظالم لغيره بالتعدّي أو الظالم لنفسه بالمعصية، وكلاهما لا ينالان مقامَ الإمامة. وهذا يعني أنّ كل من هو غير معصوم من ولد إبراهيم (عليه السلام)، سواء أعبدَ صنماً أم لم يعبد، لا ينال الإمامة. والحاصل أن الإمامة مختصةٌ بالمعصومين من أولاد إبراهيم وهم محمد وعلي والأئمة الأحد عشر من ذريته الذين نصّ القرآن والأحاديث المستفيضة على تطهيرهم وعصمتهم، ولم يأت نصٌّ واحدٌ بعصمة أحدٍ غيرهم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله).

٥. آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^{٤٥٨} نزلت هذه الآية عند مباهلة النبي (صلى الله عليه وآله)

^{٤٥٧}- سورة البقرة، آية ١٢٤

^{٤٥٨}- سورة آل عمران، آية ٦١

وآله) لنصارى نجران، وقد خرج إليهم بعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فأبوا أن يباهلوه^{٤٥٩}.

وموضع الشاهد أن "أنفسنا" في الآية تعني علياً (عليه السلام) فهو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) بنص القرآن، ومن له هذا المقام لهو الجدير وحده بالخلافة لأنه يملك صفات النبي (صلى الله عليه وآله) نفسها^{٤٦٠}.

٦. آية الإطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^{٤٦١} من البيّن أن من يأمر الله تعالى بطاعته المطلقة يجب أن يكون معصوماً، إذ لو لم يكن معصوماً يكون الله قد أمر باتباعه فيما يصيب وفيما يخطئ، وهذا محال لأنه يقتضي اجتماع الأمر والنهي في فعل واحد (الأمر باتباعه في خطئه، والنهي عن الخطأ)، فتكون النتيجة أن أولي الأمر الواجبة إطاعتهم معصومون. والخلافة لا تجوز لغير المعصوم للسبب الذي بيننا، فتكون عندها محصورةً بعلي (عليه السلام) وأولاده الطاهرين الذين ثبتت عصمتهم بالنصوص القطعية، ولم تثبت لغيرهم.

٧. آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^{٤٦٢} باتفاق الجميع أن أهل البيت المخاطبين بالآية الشريفة هم: علي

^{٤٥٩}- السيد علي الميلاني، آية المباهلة، ص ٢٤

^{٤٦٠}- للاستزادة راجع: المصدر السابق، ص ٢٩ وما بعدها

^{٤٦١}- سورة النساء، آية ٥٩

^{٤٦٢}- سورة الأحزاب، آية ٣٣

وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)^{٤٦٣} . وإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم هو عصمتهم، إذ إن الرجس في هذه الآية بمعنى الذنب^{٤٦٤} .

أما دلالة هذه الآية على إمامة علي (عليه السلام) فمن وجهين:

الأول: أنه ادّعى الخلافة لنفسه وادّعاها له أولادُه، وبما إنهم معصومون فهم صادقون في دعواهم.

الثاني: هو إن الخلافة لا تكون لغير المعصوم للسبب الذي بيّناه سابقاً، وليس أحدٌ غيرهم معصوماً في الأمة، فتكون عندها محصورةً بهم صلوات الله عليهم أجمعين.

٨. آية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^{٤٦٥} لما نَزَلَتْ هذه الآية قالوا: يا رسول الله مَنْ قَرَابَتِكَ هؤُلاءِ الَّذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟ فقال: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا^{٤٦٦} .

أما دلالة هذه الآية على إمامة علي (عليه السلام) فمن عدة وجوه:

أولاً: إن المودة لا تنفصل عن الاتباع والطاعة، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^{٤٦٧} ويقول الشاعر: "إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ أَحَبَّ

^{٤٦٣}- انظر: السيد علي الميلاني، آية التطهير، ص ١٠

^{٤٦٤}- انظر المصدر السابق، ص ٢٥ وما بعدها

^{٤٦٥}- سورة الشورى، آية ٢٣

^{٤٦٦}- راجع: الغدير، ج ٢، ص ٣٠٧

مُطِيعٌ"، فلا قيمة للمودة التي تقترن بالعصيان وعدم الاتباع، وبهذا يثبتُ أن مودَّةَ
القربى هي اتباعُهم.

ثانياً: من المحال أن يأمرَ الله بالمودَّة المطلقَّة لغير المعصوم لأنَّ ذلك يقتضي مودَّته
في حال كونه عاصياً وهذا باطل، ومن ثبتتْ عصمته ثبتت ولايته.

ثالثاً: إنَّ مَنْ وجبت مودَّته المطلقة كان هو الأحبَّ، ومن كان الأحبَّ كان
الأفضل، ومن كان الأفضل كان هو الإمام، وعليّ (عليه السلام) كذلك.

٤٦- سورة آل عمران، آية ٣١

الدرس الثلاثون: (الأدلة النبوية على إمامة علي (عليه السلام))

من الثابت عند الشيعة وعند كثيرٍ من أهل الخلاف أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى من بعده لعلي (عليه السلام) لا لغيره، وذلك في مواضع عديدةٍ وأزمانٍ مختلفةٍ. ولا يسع المقام لذكرها كلها، فهي كثيرةٌ جداً على الرغم من السياسة الأموية التي محت وحرّفت منها الكثير الكثير. وهذه بعض الروايات الثابتة في النص على إمامته (عليه السلام):

١. حديث الغدير: "... فمن كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبَّه، وأبغضْ من أبغضَه، وانصرْ من نصرَه، واخذلْ من خذَلَه، وأدرِ الحقَّ معه حيث دار، ألا فليبلغِ الشاهدُ الغائبُ" ٤٦٨.

وهو من الأحاديث الثابتة قطعاً، فقد ذكر العلامة الأميني في "الغدير" مئةً صحابيٍّ وعشرة رووا الحديث، ثم قال: "ولعل فيما ذهب علينا أكثر من ذلك بكثير" ٤٦٩.

وفي هذا الحديث تصريحٌ واضحٌ بولاية علي (عليه السلام) التي تعني الإمامة بدليل قوله (صلى الله عليه وآله): "من كنت مولاه".

٤٦٨- الغدير، ج ١، ص ١١

٤٦٩- الغدير، ج ١، ص ٦٠

٢. حديث الدار: "إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا"^{٤٧٠} قاله النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن أمر بإنذار عشيرته الأقربين، فدعاهم إلى طعام، ثم عرض عليهم مؤازرته بقوله: "أيُّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي ووزيرِي وخليفتي فيكم" فلم يبق إلا علي (عليه السلام).

٣. حديث المنزلة: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيُّ بعدي"^{٤٧١}.

وهذا يشير بوضوح إلى أن علياً (عليه السلام) هو خليفة النبي (صلى الله عليه وآله) ليكون هارون خليفة موسى.

٤. حديث السفينة: "مثلُ أهلِ بيتي كسفينةِ نوح من ركبها نجا ومن تخلفَ عنها غرق وهلك"^{٤٧٢}.

ومفادُ هذا القول أن من يتخلف عن أهل البيت (عليهم السلام) وعلى رأسهم علي (عليه السلام) فهو هالكٌ لا محالة كما هلك من تخلف عن سفينة

^{٤٧٠}- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ٢٣

^{٤٧١}- صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠. ولمزيد من أحاديث المنزلة، راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ١٤٩ وما بعدها

^{٤٧٢}- للنظر في مصادر هذا الحديث، راجع: السيد علي الميلاني، نفحات الأزهار، الجزء الرابع.

نوح بالطوفان. وهذا نصٌّ صريحٌ بوجوب اتباع علي وأولاده الميامين (عليهم السلام).

٥. حديث الثقلين: "إني تاركٌ فيكم الثقلين؛ كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض" ٤٧٣.

في هذا الحديث دعوة صريحة للتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) وعدم التخلف عنهم للأمان من الضلال. وفيه إشارة واضحة إلى عصمتهم وذلك من وجهين:

الأول: هو أن التمسك بغير المعصوم باطل لإمكان صدور الخطأ منه.

الثاني: هو أنهم (عليهم السلام) لن يفترقوا عن كتاب الله حتى يوم القيامة، وبما أن القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^{٤٧٤} فهذا يعني أنهم على حقٍّ دائماً ولا يخطئون. ومن كان كذلك هو الجدير بالإمامة لا غيره.

٦. حديث الوصاية: " لكلّ نبي وصيّ ووارث، وإنّ وصيّ ووارثي علي بن أبي طالب" ٤٧٥.

^{٤٧٣}- للنظر في مصادر هذا الحديث، راجع: نفحات الأزهار، الجزء الثاني.

^{٤٧٤}- سورة فصلت، آية ٤٢

^{٤٧٥}- ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب (ع)، ص ١٦٧. ولمزيد من أحاديث الوصاية، راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ١٣١ وما بعدها

لقد بلغت أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا المعنى حدّاً من الكثرة بحيث أمسى لفظ "الوصي" نعتاً لعلي (عليه السلام) يُعرف به دون غموض.

٧. حديث الخلافة: "معاشر الناس، إنّ عليّاً خليفة الله وخليفتي عليكم بعدي، وإنّه لأمير المؤمنين وخير الوصيّين" ^{٤٧٦}. وقد ورد في معناه عشرات الأحاديث ^{٤٧٧}.

٨. حديث الإمامة: "يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك واصطفاني وإيّاك؛ فاختراني للنبوّة، واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي" ^{٤٧٨}.

٩. حديث الولاية: عن جابر قال: خطبنا النبي (صلى الله عليه وآله) فقال في خطبته: "من آمن بي وصدّقني فليتولّ عليّاً من بعدي فإنّ ولايته ولايتي وولايتي ولاية الله، أمرٌ عهدّه إليّ ربّي وأمرني أن أبلّغكموه، ألا هل بلغت؟ فقالوا: نشهد أنّك قد بلغت" ^{٤٧٩}. وورد في معناه الكثير من الأحاديث ^{٤٨٠}.

^{٤٧٦}- الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ١٦

^{٤٧٧}- للمزيد من أحاديث الخلافة، راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ١٣٧ وما بعدها

^{٤٧٨}- الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ١٥٥. ولمزيد من أحاديث الإمامة، راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ١٨٣ وما بعدها

^{٤٧٩}- أمالي الطوسي، ص ٤١٨

^{٤٨٠}- انظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ١٩٧ وما بعدها

١٠ . حديث الهداية: روى الطبري عن ابن عباس أنه لما نزلت آية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^{٤٨١} وضع يده على صدره فقال: "أنا المنذرُ ولكلِّ قومٍ هادٍ، وأوماً بيده إلى منكب عليّ فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون بعدي"^{٤٨٢}.

١١ . روت عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: "ألا إنَّ الحقَّ بعدي مع عليّ، يميل معه حيثما مال، ولا يفترقان جميعاً حتى يرِدَا عليّ الحوض"^{٤٨٣}.

١٢ . عن النبي (صلى الله عليه وآله): "يا علي لا يتقدمك بعدي إلا كافر، ولا يتأخر عنك إلا كافر"^{٤٨٤}.

١٣ . عن النبي (صلى الله عليه وآله): "ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنه أول من يراني وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديقُّ الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين"^{٤٨٥}.

^{٤٨١}- سورة الرعد، آية ٧

^{٤٨٢}- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج ١٣، ص ١٤٣. ولمزيد من أحاديث الهداية، راجع: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ج ٢، ص ٢٢٩ وما بعدها

^{٤٨٣}- أمالي الطوسي، ص ٤٧٦

^{٤٨٤}- الحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ص ٧٩

^{٤٨٥}- أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٨٧

١٤ . عن النبي (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة، أوقفُ أنا وعليَّ على الصراط، فما يمرّ بنا أحدٌ إلّا سأله عن ولاية عليّ، فمن كانت معه وإلا ألقيناه في النار، وذلك قوله: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^{٤٨٦}.^{٤٨٧}

١٥ . عن النبي (صلى الله عليه وآله): "يا عمار بن ياسر، إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك الناسُ وادياً غيره فاسلُك مع عليّ، فإنه لن يُدليكَ فى ردى، ولن يُخرجكَ من هدى. يا عمار، من تقلّد سيفاً أعانَ به عليّاً على عدوّ قلّده الله يومَ القيامة وشاحين من دُرٍّ، ومن تقلّد سيفاً أعانَ به عدوّ عليّ عليه قلّده الله يومَ القيامة وشاحين من نار".^{٤٨٨}

وغيرها مئات الروايات التي نصّت على إمامته (عليه السلام) تصریحاً أو تلميحاً، ولم يوجد في سواه رواية واحدة صحيحة! فهل من مستبصر؟!

^{٤٨٦}- سورة الصافات، آية ٢٤

^{٤٨٧}- شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٦٢

^{٤٨٨}- تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٨٨

الدرس الواحد والثلاثون: (خلفاء النبي الاثنا عشر (عليهم السلام))

ثبت عند الشيعة وعند أهل الخلاف بالتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أن الخلفاء بعده اثنا عشر، لكنهم اختلفوا في تحديدهم. وسنذكر في ما يلي اعتقاد كل من الشيعة وأهل الخلاف في هؤلاء الخلفاء الاثني عشر.

بيان عدد الخلفاء عند أهل الخلاف: روى أهل الخلاف كثيراً من الأحاديث النبوية في صحاحهم تُفيد أن عدد الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) اثنا عشر خليفة أو أميراً، وهذه أبرزها:

- في صحيح البخاري: عن جابر بن سمرة قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال: كلهم من قريش" ٤٨٩.

- وفي صحيح مسلم: عن جابر بن سمرة قال: "دخلت مع أبي علي النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، ثم تكلم بكلامٍ خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش" ٤٩٠.

٤٨٩- صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٢٧

٤٩٠- صحيح مسلم، ج ٦، ص ٣

- وفي صحيح ابن حبان: عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، قال: فقال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟ قال: كلُّهم من قريش" ^{٤٩١}.

- وفي سنن الترمذي: عن جابر بن سمرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني فقال: قال: كلُّهم من قريش" ^{٤٩٢}.

- وفي مسند أحمد بن حنبل: عن جابر بن سمرة السوائي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع: "إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، لا يضربه مخالف ولا مفارق حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة. قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلُّهم من قريش" ^{٤٩٣}.

هذا نزرٌ قليلٌ مما رووه في كتبهم المعتبرة عن عدد الخلفاء بعد النبي (ص)، مما لا يدع أدنى شك عند جميع المسلمين أنهم اثنا عشر خليفة، وأنهم كلُّهم من قريش. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: من هم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر عند أهل الخلاف؟

^{٤٩١}- ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج ١٥، ص ٤٤

^{٤٩٢}- الترمذي، سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٤٠

^{٤٩٣}- مسند أحمد، ج ٥، ص ٨٧

الخلفاء الاثنا عشر عند أهل الخلاف: حار علماء العامة حيرةً شديدةً في هؤلاء الخلفاء، واختلفوا في تحديدهم اختلافًا كبيراً. وقد أحصى عندهم العديد من الأقوال في تحديد هؤلاء الخلفاء! وهذه أبرزها:

١- ابن حجر العسقلاني: الخلفاء عنده هم: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (عليه السلام)، الحسن (عليه السلام)، معاوية، يزيد بن معاوية، عبد الله بن الزبير، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز.^{٤٩٤}

٢- ابن أبي العز شراح العقيدة الطحاوية: الخلفاء عنده هم: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (عليه السلام)، معاوية، يزيد بن معاوية، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك!^{٤٩٥}

٣- جلال الدين السيوطي: الخلفاء عنده هم: أبو بكر، عمر، عثمان، علي (عليه السلام)، الحسن (عليه السلام)، معاوية، عبد الله بن الزبير، عمر بن عبد العزيز، المهدي العباسي، الطاهر، وأثنان منتظران؛ أحدهما المهدي المنتظر^{٤٩٦}. وهؤلاء أحد عشر!

^{٤٩٤}- راجع كتاب: فتح الباري لابن حجر، ج ١٣، ص ١٨١ وما بعدها

^{٤٩٥}- راجع المصدر السابق ص ٢٠ وما بعدها

^{٤٩٦}- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٥

- ٤- ابن تيمية: الخلفاء عندهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ومعاوية، وابنه يزيد، ثمّ عبد الملك، وأولاده الأربعة (الوليد وسليمان ويزيد وهشام)، وبينهم عمر بن عبد العزيز.^{٤٩٧}
- ٥- ابن الجوزي: عدّ الخلفاء ابتداءً من يزيد بن معاوية وانتهاءً بمروان الحمار آخر خلفاء بني مروان، فإذا بهم ثلاثة عشر. ولكي يجعلهم اثني عشر حذف منهم مروان بن الحكم!^{٤٩٨}
- ٦- ابن عربي المالكي: قال في شرح سنن الترمذي بعد أن تخبط كثيراً في تحديدهم، وأحصى ٤٥ أميراً: "ولم أعلم للحديث معنى، ولعلّه بعض حديث!"^{٤٩٩}
- ٧- ابن المهلب: يظن أن الناس تفترق في وقت واحد على اثني عشر أميراً، وأنهم يكونون في زمن واحد.^{٥٠٠}
- ٨- أبو الحسين بن المنادي: يَحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان!^{٥٠١}

^{٤٩٧}- راجع: السيد علي الميلاني، دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، ص ٣٩٤

^{٤٩٨}- راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ١٨٣

^{٤٩٩}- دلائل الصدق لنهج الحق، ج ٦، هامش صفحة ٢٦٨

^{٥٠٠}- راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ١٨٢

^{٥٠١}- راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ١٨١

٩- البيهقي: "وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ثم وقع المهرج والفتنة العظيمة... ثم ظهر ملك العبّاسيّة... وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر"٥٠٢.

١٠- القاضي عياض:

أ- إنه لم يقل [أي النبي]: لا يلي إلا اثنا عشر، وإنما قال يكون اثنا عشر، وقد وليّ هذا العدد ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم!

ب- مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بد من تمام العدة قبل قيام الساعة!٥٠٣

١١- قيل: "إن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم"٥٠٤.

التقييم: إن من يتأمل في هذه التفسيرات يظهر له بوضوح ما فيها من تحبّط وتناقض، وكفى بذلك دليلاً على بطلان أقوالهم.

ثم إنهم يجعلون من أعدى أعداء الدين الإسلامي وأهل البيت (عليهم السلام) خلفاء للنبي (صلى الله عليه وآله) من مثل:

٥٠٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٧٩

٥٠٣- راجع: فتح الباري، ج ١٣، ص ١٨٢

٥٠٤- تاريخ الخلفاء، ص ١٥

معاوية بن أبي سفيان الذي نصب العداء لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وسبه على المنابر، وحيّش الجيوش لحربه، وحرف الأحاديث، وأبطل السنن!

يزيد بن معاوية الفاجر، الفاسق، شارب الخمر، قاتل الإمام الحسين (عليه السلام)، هادم الكعبة، مستبيح المدينة لجيشه!

عبد الله بن الزبير الناصبي الذي قطع في الخطبة ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله جمعاً كثيرة، ولما استعظم الناس ذلك، قال: إني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكبتهم!^{٥٠٥}

عبد الملك بن مروان الذي كان بخيلاً وقاسياً وغادراً وجباراً لا يعرف الرحمة، والذي نقل الحج من مكة إلى بيت المقدس حتى لا يلتقي الناسُ بخصمه عبد الله بن الزبير، والذي ولّى الحجاج على العراق، فمأ الأرض خراباً.^{٥٠٦}

الوليد بن عبد الملك الذي قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وقطع رأس فقيهٍ لانتقاده لتأخير الصلاة^{٥٠٧}، وكان متهتكاً يشرب الخمر^{٥٠٨} حتى سمّي خليع بني أمية، وكان ناصبياً يبغض علياً بغضاً شديداً حتى أنه خطب على المنبر يوماً فقال:

٥٠٥- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ١٢٧

٥٠٦- راجع: باقر شريف القرشي، حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام دراسة وتحليل، ط دار البلاغة، ج ٢، ص ١٧ وما بعدها

٥٠٧- تاريخ دمشق، ج ١٩، ص ١٣٦

٥٠٨- تاريخ دمشق، ج ١٢، ص ١٥٥

عليّ بن أبي طالب لُصَّ ابنُ لُصٍّ^{٥٠٩}، صُبَّ عليه شؤبوب عذاب!^{٥١٠} وحكم تسع سنين فتزوج فيها ثلاثاً وستين امرأة!^{٥١١}

هذا غيظٌ من فيضٍ مساوئ بني أمية وبني مروان، ولو أردنا أن نستقصي الموضوعَ لطال بنا المقام، ولكنَّ اللبيب تكفيه الإشارة.

وإذا كان علماء العامة قد تحبّطوا هذا التحبّط في تحديد الخلفاء الاثني عشر الذين نصّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما لا يقبل الشك، فهل احتار علماء الشيعة في تحديدهم؟

مَنْ هم الأئمة الاثنا عشر عند الشيعة: من الواضح وضوح الشمس عندنا أن الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام) هم: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، والحجة المهدي، صلوات الله عليهم أجمعين.

أدلة الشيعة على إمامتهم (عليه السلام): استدلت الشيعة على إمامتهم (عليهم السلام) من وجوه عديدة:

^{٥٠٩}- علق الجاحظ في البيان والتبيين على هذا القول بقوله: في قوله لص بن لص أعجوبتان إحداهما رميه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه لص، والأخرى أنه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد أنه ضم اللام في لص.

^{٥١٠}- الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٣١٧

^{٥١١}- ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ١٤٥

أولاً: أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله): ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) روايات كثيرة تفوق حدّ التواتر في تحديد الأئمة (عليهم السلام)؛ إجمالاً أو تفصيلاً. ولا يسع المقام لتفصيل ذلك،^{٥١٢} ونكتفي بهاتين الروایتين:

الرواية الأولى: وهي رواية طويلة، فصلّ فيها النبي (صلى الله عليه وآله) أسماء الأئمة (عليهم السلام):

عن ابن عباس: "... قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: بعدد حواري عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل.

قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه علي، فإذا انقضى علي فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة.

قال ابن عباس: قلت: يا رسول الله أسامي لم أسمع بهنّ قط.

^{٥١٢} - من أراد الاستزادة في هذا الموضوع فليراجع كتاب: كفاية الأثر للخزاز القمي

قال لي: يا ابن عباس هم الأئمة بعدي، وإن نهروا أمناً معصومون نجباءً أختيار. يا ابن عباس من أتى يومَ القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده فأدخلته الجنة. يا ابن عباس من أنكرهم أو ردّ واحداً منهم فكأنما قد أنكرني وردني، ومن أنكرني وردني فكأنما أنكر الله وردّه. يا ابن عباس سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً، فإذا كان كذلك فاتبع علياً وحزبه، فإنه مع الحقّ والحقّ معه، ولا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض. يا ابن عباس ولا يتهم ولايتي، وولايتي ولاية الله، وحرثهم حربي وحربي حربُ الله، وسلّمهم سلمي وسلمي سلّم الله.

ثم قال عليه السلام: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^{٥١٣}.

الرواية الثانية: لم يفصل فيها النبي (صلى الله عليه وآله) أسماءهم:

عن سلمان الفارسي (ره) قال: دخلت على النبي (ص)، فإذا الحسينُ على فخذي، وهو يقبل عيني، ويلثمُ فاه، وهو يقول: أنت سيدُّ بنُ سيدِّ، أنت إمامُ بنِ إمامٍ، أنت حجةُ بنِ حجةٍ، أبو حججٍ تسعة من صلبك، تأسعهم قائمهم.

٥١٤

^{٥١٣}- الخزاز القمي، كفاية الأثر، ص ١٧

^{٥١٤}- الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع)، ج ١، ص ٥٦

ثانياً: عصمتهم: ثبت معنا سابقاً أن الإمام لا بدّ أن يكون معصوماً، وأنه لا بدّ في كل زمانٍ من وجود إمامٍ معصوم حتى لا تخلو الأرضُ من حجة، سواء كان ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً. وغير هؤلاء الاثني عشر ليسوا معصومين إجماعاً، فتعيّن أن يكونوا هم الأئمة الخلفاء لا غيرهم.

ثالثاً: أفضليّتهم: شهد الموافق والمخالفُ على أن كلّ واحدٍ منهم كان أفضلَ وأعلمَ أهلِ زمانه، وبذلك يكون هو المستحقُّ لمنصب الإمامة دون غيره، لأن تقدّم المفضولِ على الفاضلِ قبيحٌ عقلاً.^{٥١٥}

رابعاً: دعواهم الإمامة: من الثابت أن كلّ إمامٍ منهم ادّعى الإمامة، وأيدّ دعواه بمعاجز أفحمت كلّ مشكّك. وبما أن غيرهم ممن ادّعاها لم يؤيد دعواه بمعجزة، فقد ثبتت الإمامة لهم لا لغيرهم.

وإذا ثبتت إمامتهم بطلت دعوى الإمامة من غيرهم بالضرورة، فتأمّل.

^{٥١٥}- راجع الدرس السابع والأربعون، النقطة السابعة، وفيها بيان بما يقوله العامة عن أئمتنا (عليهم السلام).

الدرس الثاني والثلاثون: (الإمام المهدي (عج) في القرآن والأحاديث)

عقيدة الشيعة في الإمام المهدي (عج): نعتقد نحن الشيعة أنّ الإمام محمد بن الحسن المهدي هو الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين (عليهم السلام). وأنه وُلِدَ عام ٢٥٥ هـ في سامراء. وأنه تقلّد الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) وهو ابن خمس سنواتٍ. وأنه غاب غيبتين؛ غيبة صغرى دامت ٦٩ عاماً كان يتصل فيها بشيعته عبر سفراء أربعة، وغيبة كبرى بدأت عام ٣٢٩ هـ ولا زالت حتى الآن. وأنه سيخرج حتماً فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلاماً وجوراً، كما حدّثت بذلك الروايات الصحيحة.

عقيدة أهل الخلاف في الإمام المهدي (عج): يعتقدون بأنه من أهل البيت ومن وُلِدَ فاطمة، وأنه سيخرج في آخر الزمان، وبأن عيسى (عليه السلام) سيصلي خلفه، إلا إنهم يُنكرون أنه وُلِدَ حتى اليوم، وينكرون عصمته قبل خروجه استناداً لحديث يروونه عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة واحدة"^{٥١٦}.

الآيات القرآنية المفسرة بالإمام المهدي (عج): في القرآن الكريم أكثر من مئة وثلاثين آية فسّرها المعصومون (عليهم السلام) بالإمام المهدي (عج)^{٥١٧}، لا يتسع

^{٥١٦}- يوسف بن يحيى المقدسي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص ١٥٨

^{٥١٧}- راجع كتاب: إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب للشيخ علي البيزدي الحائري، ج ١، ص ٤٩

المقام لذكرها كلها، ولكن ما لا يُدرِكُ كلُّه لا يُترَكُ جُلُّه، لذا نكتفي بذكر عشر آيات:

١. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^{٥١٨}. في تفسير هذه الآية قال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): "هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا، وهو مهدي هذه الأئمة".^{٥١٩}

٢. ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^{٥٢٠}. قال الإمام الصادق (عليه السلام): "والله يا مفضل إن تأويل هذه الآية فينا، وإن (فرعون وهامان وجنودهما) هم أبو بكر وعمر وشيعتهم".^{٥٢١}

^{٥١٨}- سورة النور، آية ٥٥

^{٥١٩}- الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٧

^{٥٢٠}- سورة القصص، آية ٥

^{٥٢١}- الحسين بن حمدان الخصبيني، الهداية الكبرى، ص ٤٢١

٣. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾^{٥٢٢}. عن الإمام الباقر (عليه السلام): هم أصحاب المهدي عليه
السلام في آخر الزمان.^{٥٢٣} وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الآية:
القائم (ع) وأصحابه.^{٥٢٤}

٤. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ﴾^{٥٢٥}. في تفاسير العامة والخاصة أن الله تعالى يظهر دينه على جميع
الأديان يوم خروج القائم (عج). في الكافي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن
الماضي عليه السلام^{٥٢٦} قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا
نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾^{٥٢٧} قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين
عليه السلام بأفواههم، قلت: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قال عليه السلام: والله متم
الإمامة لقلوبهم عز وجل: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^{٥٢٨} والنور
هو الإمام. قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ قال: هو

^{٥٢٢}- سورة الأنبياء، آية ١٠٥

^{٥٢٣}- تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ١٢٠

^{٥٢٤}- علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٧٨

^{٥٢٥}- سورة الصف، آية ٩

^{٥٢٦}- أبو الحسن الماضي هي من كنى الإمام الكاظم عليه السلام

^{٥٢٧}- سورة الصف، آية ٨

^{٥٢٨}- سورة التغابن، آية ٨، وقد وردت في رواية الكافي هكذا: الذين آمنوا بالله ورسوله والنور... وهذا خطأ
صحناه، واقتضى الإشارة.

الذي أمر الله رسوله بالولاية لوصيه، والولاية هي دين الحق. قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال: ليظهره على الأديان عند قيام القائم لقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ بولاية القائم ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ بولاية علي عليه السلام.^{٥٢٩}

٥. ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾^{٥٣٠} عن الإمام الصادق (عليه السلام): ينادي المنادي باسم القائم عليه السلام واسم أبيه عليه السلام. قوله ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ قال صيحة القائم من السماء.^{٥٣١}

٦. ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^{٥٣٢} عن الإمام الصادق (عليه السلام): المتقون هم شيعة علي عليه السلام، والغيب هو الحجة الغائب.^{٥٣٣}

٧. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^{٥٣٤} عن الإمام الصادق (عليه السلام): إن العامة يقولون نزلت في رسول الله لما أخرجته

^{٥٢٩}- الكافي، ج ١، ص ٤٣٢

^{٥٢٠}- سورة ق، آية ٤٢

^{٥٢١}- تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٢٧

^{٥٢٢}- سورة البقرة

^{٥٢٣}- ميرزا حسين النوري الطبرسي، النجم الثاقب، ج ١، ص ٢٠٣ نقلاً عن كمال الدين للصدوق.

^{٥٢٤}- سورة الحج، آية ٣٩

قريش من مكة، وإنما هي للقائم عليه السلام إذا خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام.^{٥٣٥}

٨. ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^{٥٣٦} عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: خروج القائم. ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ قال: هم بنو أمية الذين متعوا بدنياهم.^{٥٣٧}

٩. ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^{٥٣٨} عن الإمام الصادق (عليه السلام): إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وصار الليل والنهار واحداً، وذهبت الظلمة.^{٥٣٩}

١٠. ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^{٥٤٠} عن مفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال: الأدنى غلاء السعر، والأكبر المهدي بالسيف.^{٥٤١}

^{٥٣٥}- تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٥

^{٥٣٦}- سورة الشعراء

^{٥٣٧}- بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٣٧٢

^{٥٣٨}- سورة الزمر، آية ٦٩

^{٥٣٩}- محمد بن جرير الطبري، دلائل الإمامة، ص ٤٥٤

^{٥٤٠}- سورة السجدة، آية ٢١

^{٥٤١}- السيد شرف الدين الأسترآبادي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ج ٢، ص ٤٤٤

الأحاديث النبوية في الإمام المهدي (عج): فاقت أحاديث المهدي (عج) حد التواتر عند الفريقين، و"قد أحصي أربعمئة حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من طرق إخواننا أهل السنة في الإمام المهدي"^{٥٤٢}، مما دعا "المجمع الفقهي في رابطة العالم الاسلامي" - وهو أكبر مركز ديني في الحجاز - أن يصرِّح ما يلي: "هو آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهم في الصحاح... وأن الاعتقاد بخروج المهدي واجب لأنه من عقائد أهل السنة والجماعة، ولا ينكره إلا جاهل بالسنة ومبتدع في العقيدة"^{٥٤٣}.

"كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية"^{٥٤٤}! لذلك فالإيمان به (عج) من الضروريات في المذهب الشيعي، بحيث لا يمكن لأحد أن يعتنقه دون أن يعتقد بظهور المهديّ (عج). وسنكتفي في هذا المقام بذكر الأحاديث التالية:

١. عن النبي (صلى الله عليه وآله): "لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً"^{٥٤٥}.

^{٥٤٢}- السيد محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي (عج)، ص ١٠٤

^{٥٤٣}- أسعد وحيد قاسم، أزمة الخلافة والإمامة وأثارها المعاصرة، ص ١٨٠

^{٥٤٤}- بحث حول المهدي (عج)، ص ١٠٤

^{٥٤٥}- روضة الواعظين، ص ٢٦١

٢. عن النبي (صلى الله عليه وآله): "لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا، وذلك حين يأذن الله عز وجل له، ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك، الله الله عباد الله فأتوه ولو على الثلج فإنه خليفة الله عز وجل وخليفتي".^{٥٤٦}
٣. عن النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة في أيام مرضه: "والذي نفسي بيده لا بدّ لهذه الأمة من مهدي، وهو والله من ولدك".^{٥٤٧}
٤. عن النبي (صلى الله عليه وآله): "المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلُقاً، تكون به غيبةٌ وحيرةٌ تضلُّ فيها الأمم، ثم يُقبلُ كالشهاب الثاقب ويملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً".^{٥٤٨}

^{٥٤٦}- بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٦٥، نقلاً عن عيون أخبار الرضا (ع)

^{٥٤٧}- أمالي الطوسي، ص ١٥٥

^{٥٤٨}- الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٨٦

الدرس الثالث والثلاثون: (شبهات وردود حول الإمام المهدي (عج))

كثرت الشُّبُهَاتُ والأباطيلُ مِنَ المخالفين حول الإمام المهدي (عج) إلى حدِّ الاستهزاء بمن يؤمن بوجوده وغييبته. وليس ذلك بمستغربٍ لأن حديث آلِ محمدٍ - كما قال النبي (ص) - صعبٌ مستصعبٌ لا يؤمن به إلا ملكٌ مقربٌ أو نبيٌّ مرسلٌ أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان^{٥٤٩}. وسنطرح في هذا الدرس بعضَ الشُّبُهَاتِ التي أثَّرت حول الإمام المهدي (عج)، ومحاولين الإجابة عنها بما يقتضيه المقام.

ما الدليل على وجود الإمام المهدي (عج)؟ يرى أهلُ الخلاف أنه لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان. أما نحن الشيعة فنعتقد اعتقاداً جازماً بأنه وُلد وغاب عن الأنظار، وعمدُنا في ذلك أمورٌ كثيرة، منها:

١. الروايات والأخبار الصحيحة: فقد أُحصِيَ أكثرُ من ستمائة رواية تتحدث عن ولادته، وأنه يعمر طويلاً، وأنه سيغيب غيبةً طويلةً.^{٥٥٠}
٢. رؤيته: ثبت بشكلٍ قاطعٍ أن عدداً كبيراً من المؤمنين رأوه بأبصارٍ العين. وقد جمع الشيخ الميرزا النوري الطبرسي في كتابه "جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجة" تسعاً وخمسين حادثةً عمَّن رأوا الإمام المهدي (عج)، وهذا الكتاب مطبوع في ذيل المجلد الثالث والخمسين من كتاب بحار الأنوار.

^{٥٤٩}- بصائر الدرجات، ص ٤١

^{٥٥٠}- راجع: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، ص ٢١٣

٣. استحالة خلو الأرض في لحظةٍ ما من حجةٍ لله فيها: عن الإمام الرضا (ع):
 "لو خلت الأرض طرفة عينٍ من حجةٍ لساخت بأهلها"^{٥٥١}. وعن الإمام
 الصادق (ع): "لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان الثاني منهما
 الحجة"^{٥٥٢}. وعن الإمام علي (ع): "اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله
 بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حججُ الله
 وبيئاته"^{٥٥٣}. وأمثال هذه الروايات كثيرٌ. فهل يستطيع أن يزعمَ زاعمٌ بعد هذا أن
 الأرضَ اليومَ خاليةٌ من حجة؟

٤. قول النبي (صلى الله عليه وآله): "من مات وهو لا يعرفُ إمامَ زمانه ماتَ
 ميتةً جاهليةً"^{٥٥٤}. وهذا دليلٌ على أن لكلِّ زمانٍ إماماً يجب أن يعرفه أهلُ
 زمانه، وإلا ماتوا ميتةً جاهليةً.

كيف يمكن للإمام المهدي (عج) أن يعيشَ هذه المدة الطويلة؟ الإجابة عن

هذا السؤال من وجهين:

الأول: إن العمرَ الطويلَ ليس مستحيلاً عقلاً، واللهُ تعالى قادرٌ على ما يشاء، وقد
 شاء له ذلك.

^{٥٥١}- بصائر الدرجات، ص ٥٠٩

^{٥٥٢}- ابن أبي زينب النعماني، الغيبة، ص ١٤١

^{٥٥٣}- نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٧ (من كلامٍ له لكميل)

^{٥٥٤}- الشيخ المفيد، الإفصاح، ص ٢٨

الثاني: ليس المهديُّ (عج) بأول معمرٍ، فقد عمّر قبله من الأنبياء آدم (ع) (حوالي ألف سنة)، ونوح (ع) (حوالي ألفين وخمسمائة سنة) وعيسى (ع) والياس (ع) والخضر (ع) وغيرهم كثير كسلمان الفارسي وسواه.^{٥٥٥}

لماذا غاب فترةً ثم عاد؟ قد تخفى حكمة ذلك، لكن لا ننفي أن الغيبة الصغرى حققت أهدافاً كثيرة، منها:

١. هيأت الأمة لاستيعاب مفهوم الغيبة الكبرى، وعودتهم عليها تدريجياً.
٢. سمحت للإمام أن يكمل ما تبقى مما تحتاجه الأمة خلال الغيبة الكبرى من المعارف الدينية.

٣. عوّدت الناس على الارتباط بالعلماء أثناء غيبة الإمام.

ما الغاية من غيبته؟ من الواجب بدايةً أن نُسلّم أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل فعلاً عن عبثٍ، بل كل أفعاله حكيمة هادفة. والله هو الذي غيّب الإمام الحجة (عج) عن أنظار الناس وأطال عمره، فالنتيجة الحاصلة هي أن تغييبه عنّا فيه مصلحة وحكمة، سواء اتّضحت لنا غايةً ذلك أو لم تتضح.

أما الغاية من غيبته فغير معلومة، إنها سرٌّ من سرّ الله، وغيبٌ من غيبه. ففي الرواية أن ابن الفضل سأل الإمام الصادق (ع): **ما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى**

^{٥٥٥}- راجع كتاب: المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني البصري.

ذكره، إنَّ وجهَ الحكمةِ في ذلك لا ينكشفُ إلا بعدَ ظهوره، كما لم ينكشفِ وجهُ الحكمةِ فيما أتاه الخضرُ عليه السلام من خرقِ السفينة، وقتلِ الغلام، وإقامةِ الجدارِ لموسى عليه السلام إلى وقتِ افتراقهما. يا بن الفضل، إنَّ هذا الأمرَ من أمرِ الله تعالى، وسرٌّ من سرِّ الله، وغيبٌ من غيبِ الله، ومتى علمنا أنه عزَّ وجلَّ حكيمٌ، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمةٌ، وإن كانَ وجهُها غيرَ منكشفٍ".

٥٥٦

وقد أظهرت الروايات بعضاً من أسباب غيبته (عج)، ولا ينفي ذلك أن غيبته سرٌّ إلهي مبهم، إذ إن ما ذكرته الروايات هو جزءُ العلة وليس العلة التامة. أما غايات الغيبة التي وردت في الروايات فكثيرةٌ، منها:

١. حفظه من القتل: إذ لو كان بين الناس لقتله الظالمون كما قتلوا آباءه قبله، ففي الرواية "عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للقائم غيبةٌ قبل قيامه، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه الذبح".^{٥٥٧}

٢. لئلا يكون في عنقه بيعةٌ لأحد: كتب الإمام المهدي (عج) في إحدى رسائله: "وأما علته ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^{٥٥٨} إنه لم يكن لأحدٍ من آبائي

^{٥٥٦}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٢

^{٥٥٧}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨١

^{٥٥٨}- سورة المائدة، آية ١٠١

عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعةً لطاغيةً زمانه، واني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عنقي" ^{٥٥٩}.

٣. تمحيص المؤمنين: فبعيته يُعرف المؤمنُ الصابِرُ من غيره. عن الإمام الصادق (عليه السلام): لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا... ^{٥٦٠}.

وعن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "ويلٌ لطغاة العرب، من أمرٍ قد اقترب، قلت: جُعِلْتُ فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال: نفرٌ يسيرٌ، قلت: والله إن من يصفَ هذا الأمرَ منهم لكثيرٌ، قال: لا بدَّ للناسِ من أن يُمحصوا ويُميزوا ويُغربلوا، ويُستخرج في الغربالِ خلقٌ كثيرٌ" ^{٥٦١}.

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): "لا بدَّ لصاحبِ هذا الأمرِ من غيبةٍ حتى يرجعَ عن هذا الأمرِ من كان يقولُ به" ^{٥٦٢}.

^{٥٥٩}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٥

^{٥٦٠}- الكافي، ج ١، ص ٣٧١

^{٥٦١}- الكافي، ج ١، ص ٣٧٠

^{٥٦٢}- علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤٥

٤. حُكْمُ النَّاسِ: عن الإمام الباقر (عليه السلام): "دولتُنَا آخِرُ الدُّوَلِ، وَلَمْ يَبْقَ أَهْلُ بَيْتٍ لَهُمْ دَوْلَةٌ إِلَّا مَلَكُوا قِبَلَنَا، لئَلَّا يَقُولُوا إِذَا رَأَوْا سِيرَتَنَا، إِذَا مَلَكْنَا سِرْنَا مِثْلَ سِيرَةِ هَؤُلَاءِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"^{٥٦٣}.

٥. فَقْدَانُ النَّاصِرِ: عن الإمام الرضا (ع): "يَا ابْنَ بُكَيْرٍ، إِنِّي لَأَقُولُ لَكَ قَوْلًا قَدْ كَانَتْ آبَائِي (عَلَيْهَا السَّلَامُ) تَقُولُهُ: لَوْ كَانَ فِيكُمْ عِدَّةٌ أَهْلٍ بَدَرَ لِقَامَ قَائِمُنَا"^{٥٦٤}.

هل ننتفع بالإمام الحجة (عج) وهو محجوب؟ نصّت الروايات على أن الانتفاع من وجوده وهو محجوبٌ كالانتفاع بالشمس وهي محجوبة. فعن جابر قال: "يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس، وإن جللها السحابُ. يا جابر، هذا مكنونُ سرِّ الله، ومخزونُ علمه، فآكتمه إلا عن أهله"^{٥٦٥}. وفي رده على رسالة ابن يعقوب كتب الإمام الحجة (عج): "أما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالاتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصارِ السحابِ، وإني لأمانٌ لأهل الأرضِ كما أن النجومَ أمانٌ لأهل السماء،

^{٥٦٣}- الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٤٧٣

^{٥٦٤}- علي الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص ١٢٨

^{٥٦٥}- الشيخ عباس القمي، الأنوار البهية، ص ٣٤١

فأغلقوا باب السؤال عما لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كُفيتكم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجكم" ^{٥٦٦}.

كيف يكون إماماً وهو غائب؟ الجواب: إن غيابه عن الأنظار لا يعني أنه لا يقوم بوظائف الإمامة المنوطة به، إذ لا مانع من أن يكون له تصرف يومي من وراء الحجاب، سيما وأن الروايات أكّدت على أنه يحضر الموسم في أشهر الحج ويصاحب الناس ويحضر المجالس. ثم إن غيابه عن معظم الناس لا يدل على غيابه عن جميعهم، إذ لا شك أنه يظهر لبعض الخواص من شيعته، فيستفاد منه بواسطتهم، وهذا أمرٌ ثابت ^{٥٦٧}.

لماذا نقوم ونضع أيدينا على رؤوسنا عند ذكره؟ الجواب: هذا ليس واجباً، إلا إنه "سيرة أوليائه ومحبيه في جميع البلاد من العرب والعجم" ^{٥٦٨}. أما سبب ذلك فهو أنه وردت روايةٌ وحيدةٌ في "تكملة أمل الآمل" تقول أن الإمام الرضا (ع) عندما ألقى عليه دعبل قصيدته الشهيرة ومر قوله: "خروج إمامٍ لا محالة قائم"، نهض الإمام قائماً، وأحنى رأسه المبارك ووضع يده اليمنى على رأسه وقال: "اللهم عجل فرجه ومخرجه وانصرنا به نصراً عزيزاً" ^{٥٦٩}.

^{٥٦٦}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٤٨٥

^{٥٦٧}- راجع على سبيل المثال قصة: "الرمانة وتشيع والي البحرين" من كتاب: بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٧٨، وقصة: "أفد يا مفيد وعلينا التسديد" من كتاب: "من شواهد المبلغين" للشيخ أكرم جزيني، ص ٢٢٧، وقصة: "نصرتنا فنصرناك" من بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٧٥. وغيرها كثير.

^{٥٦٨}- الشيخ حسين كوراني، آداب عصر الغيبة، ص ٧٤ مترجماً عن النجم الثاقب.

^{٥٦٩}- آداب عصر الغيبة، ص ٧٥

الدرس الرابع والثلاثون: (علامات الظهور)

رُوي عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) روايات كثيرة في علامات الظهور التي تسبق خروج الإمام المهدي (عج). والمتأمل في الروايات يرى أن هذه العلامات مقسمة إلى: قريبة وبعيدة، حتمية وغير حتمية، واضحة ومبهمّة.

وسنذكر في هذا الدرس عدداً من هذه العلامات، معتمدين التصنيف الآتي:

أولاً: العلامات البعيدة العامة: ويُقصد بها الانحرافات الأخلاقية والمفاسد الاجتماعية التي تكون في آخر الزمان، وقد ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في جوابه لصعصعة بن صوحان عندما سأله: متى يخرج الدجال؟ فقال له (عليه السلام):

"احفظ، فإنّ علامة ذلك إذا أَمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشاء، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، وآتبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان والاثم والطغيان، وحلّيت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنارات، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت القلوب، ونقضت العهود، واقترب الموعد، وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستمّعت منهم، وكان زعيم القوم أَرذلهم، وأتقى الفاجر مخافة شرّه، وصدّق الكاذب، واثتمن الخائن، وأتخذت

القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن يُستشهد، وشهد الآخر قضاء لدمام بغير حق عرفه، وتفقهه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمر من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا ثم العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس، ليأتين على الناس زمان يتمنى أحدهم أنه من سكّانه".^{٥٧٠}

ثانياً: العلامات القريبية: وهي كثيرة جداً، ولا يتسع المقام لذكرها كلّها، بل سنكتفي منها بذكر ما يلي:

خروج السفيناني، وقتل الحسيني، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات، وخسف بالبيداء، وطلوع الشمس من المغرب، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال الرايات السود من خراسان، وخروج اليماني، والصيحة في السماء في شهر رمضان، ونزول الترك الشامات، ونار تظهر في المشرق طويلاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه، وورود خيل من قبل المغرب

^{٥٧٠}- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٥٢٦

حتى تربط بفناء الحيرة، وخوف يشمل أهل العراق وبغداد وموت ذريع فيه، وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه^{٥٧١}.

ولعلّ بعض هذه العلامات قد وقع، وبعضها لم يقع ولن يقع، لأنها ليست كلّها من العلامات الحتمية، فقد يمحوها الله إذا اقتضت الحكمة ذلك، لأنه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^{٥٧٢}.

ثالثاً: العلامات الحتمية: وهي خمسة لا بدّ من حصولها، وتقع في أشهر معدودة ثم يأتي بعدها الفرج. وهذه العلامات هي: خروج اليماني، خروج السفيناني، الصيحة، قتل النفس الزكية، وخسف البيداء. قال الإمام الصادق (عليه السلام): "قبل قيام القائم خمسُ علاماتٍ محتومات: اليماني والسفيناني والصيحة وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء"^{٥٧٣}. وستكلم عن كل واحدة منها بشيءٍ من الإيجاز:

١. اليماني: وهو هاشمي، رأته رايةً هدى تدعو إلى الإمام المهدي (عج) وتنصره، بل هي أهدى الرايات على الإطلاق لأنه يدعو إلى الحق، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، ومن يفعل ذلك فهو إلى النار.^{٥٧٤}

^{٥٧١}- راجع: الإرشاد، ج ٢، ص ٣٦٨

^{٥٧٢}- سورة الرعد، آية ٣٩

^{٥٧٣}- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٦٥٠

^{٥٧٤}- راجع: الشيخ علي الكوراني، المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ص ٦١٩

٢. السفياني: وهو عثمان بن عنبسة، أمويٌّ حاقِد على الشيعة، يعود نسبُه إلى أبي سفيان، بشع المنظر، في وجهه أثر الجدري، يخرج من الوادي اليابس في رجب في اليوم الذي يخرج فيه اليماني، يستولي على دمشق، ويقتل الناس بلا شفقة، يحكم حملَ امرأة (تسعة أشهر)، يخسف الله الأرضَ بجيشه، فلا يبقى منه إلا رجلان تقلب وجوههما في أفئتهما^{٥٧٥}. عن الإمام الباقر (عليه السلام): "السفياني أحمر أصفر أزرق، لم يعبد الله قط، ولم ير مكة ولا المدينة قط، يقول: يا رب ثاري والنار، يا رب ثاري والنار"^{٥٧٦}.

٣. الصيحة: وهي من أقوى العلامات على الظهور، يناديها جبرائيل بكلامٍ واضحٍ مفهوم، يسمعا كلُّ قومٍ بلغته، وذلك ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، ليلة الجمعة، على إثر قتال وضيق على الشيعة. عن الإمام الباقر (ع): ينادي منادٍ من السماء باسم القائم (عج) فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقِدٌ إلا استيقظ، ولا قائمٌ إلا قعد، ولا قاعدٌ إلا قام على رجله فرعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب"^{٥٧٧}.

^{٥٧٥}- انظر: السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٧٣ وما بعدها. وانظر: الشيخ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)، ج ٣، ص ٢٧٣ وما بعدها. وانظر: المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ص ٤٥٥ وما بعدها. وانظر: الغيبة للنعمان، ص ٣١٠ وما بعدها

^{٥٧٦}- الغيبة للنعمان، ص ٣١٨

^{٥٧٧}- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٥٢٦

وتتبع صيحة جبرئيل صيحة إبليس ليضل بها الناس. "عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام، قلت: خاص أو عام؟ قال: عام، يسمع كلُّ قوم بلسانهم، قلت: فمن يخالف القائم عليه السلام وقد نودي باسمه؟ قال: لا يدعهم إبليس حتى ينادي في آخر الليل ويشكك الناس"^{٥٧٨}.

وعن الصادق (ع) قال: "صوتُ جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض، فاتبعوا الصوتَ الأول، وإياكم والأخيرَ أن تُفتنوا به"^{٥٧٩}.

٤. قتل النفس الزكية: وهو غلامٌ هاشميٌّ من ذرية الحسين (عليه السلام) اسمه محمد بن الحسن، وهو من خواص أصحاب المهدي عجل الله فرجه^{٥٨٠}، يُذبح بلا جرم ولا ذنبٍ بين الركن والمقام، فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذرٌ ولا في الأرض ناصرٌ.^{٥٨١} عن الإمام الصادق (عليه السلام): "وليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة"^{٥٨٢}.

٥٧٨- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٦٥١

٥٧٩- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٦٥٢

٥٨٠- الشيخ محمد السندي، فقه علائم الظهور، ص ٣٧

٥٨١- المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ص ٣٣٤

٥٨٢- الشيخ الطوسي، الغيبة، ص ٤٤٥

٥. خسف البيداء: وهو آيةٌ من آيات الله تقع بين مكة والمدينة، يخسفها جبرائيل بجيش السفياي الذي ينتهب المدينة لثلاثة أيام ولياليها، ثم يتوجه إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرئيل، فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدِّهم، فيضربها برجله ضربةً يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُحِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^{٥٨٣} ولا ينفلت منهم إلا رجلان.^{٥٨٤} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبعث إلى مكة بجيشٍ من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم"^{٥٨٥}.

متى يكون الفرخ؟ لا يكون فرخ آل محمد إلا بعد شدةٍ عظيمةٍ تصيب الناس.

- عن الإمام الصادق (ع): "قُدَّامُ الْقَائِمِ مَوْتَانِ: مَوْتُ أَحْمَرٍ وَمَوْتُ أَبْيَضٍ، حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ كُلِّ سَبْعَةٍ خَمْسَةٌ؛ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ السَّيْفُ، وَالْمَوْتُ الْأَبْيَضُ الطَّاعُونَ"^{٥٨٦}.

- عن محمد بن مسلم وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكونُ هذا الأمرُ حتى يذهبَ ثلثا الناس، فقلنا إذا ذهبَ ثلثا الناسِ فمن يبقى؟ فقال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي؟"^{٥٨٧}

٥٨٣- آية ٥١

٥٨٤- انظر: معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)، ج ١، ص ٤٨١ وفيه ذكر لمصادر الحديث كاملةً.

٥٨٥- ابن طاووس، الملاحم والفتن، ص ١٥٨

٥٨٦- كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٦٥٥

الدرس الخامس والثلاثون: (واجباتنا اتجاه إمام زماننا (عج))

إن غياب الإمام الحجة (عج) عنا لا ينفى وجود واجباتٍ علينا تجاهه، بل إن ولايتنا له تفرض علينا الكثير من الأعمال والآداب في عصر الغيبة. وسنعرض بإيجازٍ بعضَ هذه الأعمال والآداب^{٥٨٨}:

١. معرفة إمام الزمان: من الواجب على كل مؤمن أن يعرف إمام زمانه حتى لا يموت ميتةً جاهلية. وقد أوصى الإمام الصادق (ع) أن ندعو في زمن الغيبة بهذا الدعاء: "اللهم عرّفني نفسك، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك، فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك، فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني"^{٥٨٩}.

وتحصل معرفتنا بإمام زماننا بعلمنا أنه الإمام الثاني عشر، المفترض الطاعة، الذي نصّ النبي (صلى الله عليه وآله) على إمامته، وأنه حيٌّ غائبٌ سيخرج في آخر الزمان، فيملاً الأرضَ قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً. وفي معرفة ذلك أجرٌ كبير.

٢. معرفة علامات الظهور: ذلك أن عصر الظهور سيكون صاحباً وحافلاً بالرايات الكثيرة المتضاربة، وعدم المعرفة بالعلامات قد يوقع بالحيرة والشك. وقد روي عن

^{٥٨٧}- الغيبة للطوسي، ص ٣٣٩

^{٥٨٨}- هذه الأعمال والآداب ملخّصة من كتاب "آداب عصر الغيبة" للشيخ حسين كوراني.

^{٥٨٩}- الكافي، ج ١، ص ٣٢٧

الإمام الصادق (عليه السلام) قوله لأحد الرواة: "إعرف العلامة فإذا عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخر"^{٥٩٠}.

٣. البيعة: من المستحب تجديد البيعة للإمام الحجة (عج) في كل يوم بعد كل صلاة، أو في كل يوم جمعة. وفائدة ذلك أنك تشعر بالارتباط الدائم بإمام زمانك، وأن هناك حاجزاً يمنعك من الركون إلى الظلمة.

أما طريقة تجديد العهد فهي أن تقول: "اللهم أجدد له في هذا اليوم وفي كل يوم عهداً وعقداً وبيعةً له في رقبتي"^{٥٩١}، أو شبيه ذلك مما ورد في دعاء العهد: "اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً..."^{٥٩٢}.

٤. الانتظار: وقد ورد فيه روايات كثيرة، كقول النبي (صلى الله عليه وآله): "أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج"^{٥٩٣}، وقول الإمام الصادق (عليه السلام): "من مات منتظراً هذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل بمنزلة الضارب بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسيف"^{٥٩٤}.

٥٩٠- الكافي، ج ١، ص ٣٧٢

٥٩١- محمد بن جعفر المشهدي، المزار، ص ٦٦٢

٥٩٢- المصدر نفسه، ص ٦٦٤

٥٩٣- علل الشرائع، ج ١، ص ٤ من كلمة المقدم.

٥٩٤- السيد بهاء الدين النجفي، منتخب الأنوار المضيئة، ص ١٥٠

ولكن ما معنى الانتظار؟ الانتظار هو الاستعداد الروحي والجسدي للقاء الإمام، لا السلبية والانعزال عن الناس كما يفسره البعض. ويحصل الاستعداد الجسدي بالتدريب العسكري على القتال. ويحصل الاستعداد الروحي بتهيئة النفس للظهور وإطاعة الأمر والثبات في الحرب، لأن مَنْ لا يوطّن نفسه على ذلك قد ينكص عند النزال، وهذا ما يفسّر قول الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا خرج القائم عليه السلام خرج من هذا الأمر من كان يرى أنه من أهله، ودخل فيه شبه عبدة الشمس والقمر"^{٥٩٥}.

٥. التقوى: وهي واجبة في كلِّ حال، إلا إن الروايات تربط بينها وبين الانتظار، كما في قول الإمام الصادق (ع): "من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فليتنظّر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا"^{٥٩٦}.

والتقوى صفة أساسية من صفات جنود الإمام، فقد وصفتهم الرواية بأنهم: "رهبان بالليل ليوث بالنهار، كأن قلوبهم زُرُّ الحديد"^{٥٩٧}.

٦. العزم على الجهاد بين يديه: وقد أكّدت على ذلك روايات عديدة، كقول الإمام الصادق (عليه السلام): "إن لكم ثواب من استشهد معه بنياتكم وإن"

^{٥٩٥}- الغيبة للنعمانى، ص ٣٣٢

^{٥٩٦}- المصدر السابق، ص ٢٠٧

^{٥٩٧}- الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢٠٨

مُتَمَّ عَلَى فُرْشِكُمْ"^{٥٩٨}، وقول الإمام الباقر (عليه السلام): "إِنَّ الْقَائِلَ مِنْكُمْ إِذَا قَالَ: إِنَّ أَدْرَكَتَ الْقَائِمَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ نَصْرَتَهُ، كَالْمَقَارِعِ مَعَهُ بِسَيْفِهِ، وَالشَّهَادَةَ مَعَهُ شَهَادَتَانِ"^{٥٩٩}. ولا يخفى أن العزم على الجهاد بين يديه يستلزم الاستعداد النفسي والجسدي، وإلا كان عزمًا واهياً.

٧. الشوق والحنين إليه: وهما مما يجب أن يعيشهما المؤمن في كلِّ حال. وقد صرّحت بعض الروايات بأن حتى الأئمة يعيشون حالة الشوق والحنين إليه. فقد روى الشيخ الصدوق أن الإمام الصادق (عليه السلام) دخل عليه بعض شيعته يوماً فرأوه يبكي، وقد ذكر غيبة القائم، وهو يقول: "غَيْبْتُكَ نَفْتُ رِقَادِي، وَضِيَّقْتَ عَلَيَّ مَهَادِي، وَابْتَزَّتْ مِنِّي رَاحَةَ فَوَادِي..."^{٦٠٠}. وفي دعاء الندبة عبارات تفيد هذا المعنى، مثل: "هَلْ إِلَيْكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى، هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمَنَا مِنْكَ بَعْدَ فَنَحْظِي، مَتَى نَرُدُّ مَنَاهَلَكِ الرَّوِيَّةَ فَنُرَوِي، مَتَى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى، مَتَى نَغَادِيكَ وَنَرَاوْحُكَ فَنَقَرَّ عَيْنًا..."^{٦٠١}.

^{٥٩٨}- ميرزا محمد تقي الأصفهاني، مكيال المكارم، ج ٢، ص ٢٠٩

^{٥٩٩}- الكافي، ج ٨، ص ٨١

^{٦٠٠}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٥٣

^{٦٠١}- الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص ٧٧٢

٨. الدعاء له: ورد عن الأئمة (عليهم السلام) أدعية كثيرة يدعو بها المؤمن أثناء الغيبة؛ منها للثبات على ولايته، ومنها لحفظه ونصرته. من هذه الأدعية: دعاء الغريق، والعهد، والندبة، وليلة نصف شعبان، وغيرها.

٩. زيارته: وهي من المستحبات المؤكدة في كل مكان وزمان. وقد ذكرت الكتب المختصة العديد منها، كزيارته بعد صلاة الفجر، وزيارته في يوم الجمعة، وزيارة سلام الله الكامل، وزيارة آل ياسين، وغيرها.

١٠. إحياء أمره: ويحصل ذلك بتعريف الناس به، وكثرة اللهج باسمه، وإقامة الاحتفالات في مولده، وإحياء ليلة مولده المبارك، وإقامة مجالس الدعاء والزيارة له... وقد حثَّ الإمام الباقر (عليه السلام) على إحياء أمرهم بقوله: "أحيوا أمرنا، رحمَ الله من أحيانا أمرنا"^{٦٠٢}. وعنه (عليه السلام): "رحمَ الله عبداً حببنا إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم"^{٦٠٣}.

١١. التبرؤ من أعدائه: وهو من فروع الدين العشرة. وأعداؤه هم أعداء الله من الكافرين والمشركين والنواصب والمنافقين. قال النبي (ص): "طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يأتهم به وبأئمة الهدى من قبله، ويرأ إلى الله عز وجل من عدوهم، أولئك رفقائي وأكرم أمتي علي"^{٦٠٤}.

^{٦٠٢}- الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ج ٥، ص ١٣٧

^{٦٠٣}- الكافي، ج ٨، ص ٢٢٩

^{٦٠٤}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٨٧

الدرس السادس والثلاثون: (علم الأئمة (عليهم السلام))

من المسلم به أن علم الأئمة (عليهم السلام) علمٌ إلهيٌّ لدُنيٍّ؛ فلم يُعهد أن واحداً منهم تتلمذ على يد أحدٍ من البشر على الإطلاق، أو أن واحداً منهم سُئل فقال لا أدري، أو أُجِّلَ الجواب حتى يراجعَه... وهذا أمرٌ ثابتٌ عنهم، ولا ينكره حتى عدوهم. ولم يحصل ذلك لأحدٍ غيرهم من العلماء.

هل الأئمة (عليهم السلام) يعلمون بكلِّ شيء؟ إن من حكمة الله تعالى وكرمه وعدله أن يهب الأئمة (عليهم السلام) علمَ كلِّ شيءٍ، إلا ما شاء أن يستأثر به، ذلك لأنهم حججُه على عباده، والحجة لا ينبغي أن يخفى عليه علمٌ حتى لا يُسأل عن شيءٍ فيقول لا أدري.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إن الله لا يجعلُ حجةً في أرضه يُسأل عن شيءٍ فيقول لا أدري"^{٦٠٥}. وقال الإمام الرضا (عليه السلام): إن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمرٍ عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلمَ إلهاماً، فلم يعي بعده بجوابٍ، ولا يحيرُ فيه عن الصواب"^{٦٠٦}.

أدلة أنهم يعلمون كلِّ شيء: في التاريخ والروايات شواهدٌ كثيرةٌ على أنهم يعلمون بكلِّ شيءٍ، ولا يعزب عنهم شيءٌ من الأمر المحتوم. قال الإمام الصادق (عليه

٦٠٥- الكافي، ج ١، ص ٢٢٧

٦٠٦- الكافي، ج ١، ص ٢٠٢

السلام): "يا مفضل، من زعم أن الإمام من آل محمد يعزبُ عنه شيءٌ من الأمرِ المحتوم فقد كفرَ بما نزلَ على محمد" ^{٦٠٧}. ويؤكد ذلك الكثيرُ من الروايات والأحداث، منها:

- قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ما يَنْقَلِبُ جَنَاحُ طَائِرٍ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا وَعِنْدَنَا فِيهِ عِلْمٌ" ^{٦٠٨}.

- قول الإمام علي (عليه السلام): "سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ مضى ولا عن شيءٍ يكون إلاّ أنبأتكم به" ^{٦٠٩}، وقوله: "سلوني عمّا فوق العرش، سلوني عمّا تحت العرش، سلوني قبل أن تفقدوني" ^{٦١٠}.

- عن أبي ذرّ: "كنتُ سائراً مع عليّ (عليه السلام) إذ مررنا بوادٍ نملّه كالسيل، فقلت: الله أكبرُ جلّ محصيه! فقال (عليه السلام): لا تقل ذلك، ولكن قل: جلّ بارئُهُ، فوالذي صوّرتني وصورك إنّي أحصي عددهم، وأعلمُ الذكر منهم والأُنثى بإذن الله عزّ وجلّ" ^{٦١١}.

^{٦٠٧}- مشارق أنوار اليقين، هامش ص ١٠٣

^{٦٠٨}- عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٣٦

^{٦٠٩}- الأمالي للطوسي، ص ١٩٦

^{٦١٠}- الفضائل لابن شاذان، ص ١٣٧ - ١٣٨

^{٦١١}- القندوزي، يبايع المودة لذوي القربى، ج ١، ص ٢٣١

- قول أحدهم لأبي جعفر (عليه السلام): "إن شيعتك تدعي أنك تعلم كَيْلَ ما في دجلة، وكانا جالسين على دجلة، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): يَقْدِرُ اللهُ عز وجل أن يفوّضَ علمَ ذلك إلى بعوضةٍ من خلقه؟ قال نعم. فقال (عليه السلام): أنا أكرمُ على الله من بعوضة، ثم خرج" ٦١٢.

- عندهم اثنان وسبعون حرفاً من اسم الله الأعظم، وبقي حرفٌ واحدٌ استأثر به الله تعالى. "عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسمَ اللهِ الأعظمَ على ثلاثةٍ وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرفٌ واحدٌ، فتكلم به فحسفت بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين. ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ واحدٌ عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ٦١٣.

- عندهم علم الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء. قال الإمام الحسين (عليه السلام): "نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس لأحد من خلقه ما عندنا، لأننا أهل سرِّ الله" ٦١٤.

٦١٢- مشارق أنوار اليقين، هامش ص ١٠٣

٦١٣- الكافي، ج ١، ص ٢٣٠

٦١٤- مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢١١

- إخبارهم أصحابهم مرّاتٍ عديدةً عن نياتهم وعن أشياء حدثت معهم ولم يطلع عليها أحد...^{٦١٥}

هل يعني ذلك أن عندهم علم الغيب؟ علم الغيب الذاتي لله وحده لا يعرفه إلا هو، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^{٦١٦} وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾^{٦١٧} وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^{٦١٨} وأمثالها كثير.

وفي الروايات شواهد كثيرة على ذلك أيضاً، كقول الإمام الصادق (عليه السلام): "يا عجباً لأقوامٍ يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الغيب إلا الله"^{٦١٩}.

إلا إن ذلك لا ينفي أن عندهم من علم الغيب ما أطلعهم عليه الله، بمعنى أنهم لا يعلمون الغيب من ذاتهم كما الله تعالى، ولكن بتعليم من الله تعالى. وفي القرآن دلالة واضحة على ذلك: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) **إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ** ﴿^{٦٢٠} وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا

^{٦١٥} - راجع كتاب بصائر الدرجات، باب: في الأئمة أنهم يعرفون الاضمار وحديث النفس قبل أن يخبروا به. وباب: في الأئمة انهم يخبرون شيعتهم بأفعالهم وسرهم وأفعال غيبهم، وهم غيب عنهم.

^{٦١٦} - سورة الأنعام، آية ٥٩

^{٦١٧} - سورة يونس، آية ٢٠

^{٦١٨} - سورة النمل، آية ٦٥

^{٦١٩} - بصائر الدرجات، ص ٢٣٣

^{٦٢٠} - سورة الجن

بِمَا شَاءَ ﴿٦٢١﴾ . وقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام): "هل يعلم الإمام بالغيب؟
قال: لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك" ٦٢٢ .

فالنتيجة الحاصلة هي أن علم الغيب لله وحده، وعلمهم بالغيب بتعليم منه
تعالى، ومن قال غير هذا فقد غلا فيهم.

مصادر علم الأئمة (عليهم السلام): من خلال الروايات يتضح أن الإمام يستقي
علمه من منابع عديدة، هي:

أولاً: رسول الله (صلى الله عليه وآله): وهو المصدر الذي نهل منه علي (عليه
السلام) علمه، وورثه إلى أبنائه بعده، إماماً بعد إمام. قال الإمام الباقر (عليه
السلام): "لم يعلمم والله رسول الله صلى الله عليه وآله حرفاً مما علمه الله عز
وجل إلا وقد علمه علياً، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره" ٦٢٣ .

ثانياً: الكتب الخاصة: صرّحت الروايات الكثيرة أن عند الأئمة كتباً يتوارثونها إماماً
عن إمام، وكلها مكتوبة بخط علي (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه
وآله)، وهذه الكتب هي:

٦٢١- سورة البقرة، آية ٢٥٥

٦٢٢- الكافي، ج ١، ص ٢٥٧

٦٢٣- الكافي، ج ١، ص ٢٦٣

١. الجامعة: وهي سبعون ذراعاً فيها كل شيء من أحكام الحلال والحرام حتى أُرش الخدش^{٦٢٤}. عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد، إن عندنا الجامعة، وما يدر بهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله، إملاء من فلق فيه^{٦٢٥}، وخطه علي عليه السلام بيمينه، فيها كلُّ حلالٍ وحرام، وكلُّ شيء يحتاج إليه الناس، حتى الأرش في الخدش^{٦٢٦}.

٢. الجفر الأبيض: وفيه كتب الأنبياء جميعاً، والحلال والحرام، وفيه ما يحتاج الناس إليهم وما يحتاجون إلى أحد. "عن الحسين ابن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن عندي الجفر الأبيض، قال: قلت: فأى شيء فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش^{٦٢٧}.

^{٦٢٤} - راجع: بصائر الدرجات، باب: في الأئمة أن عندهم الصحيفة الجامعة التي هي إملاء رسول الله وخط علي عليهم السلام بيده وهي سبعون ذراعاً، ص ١٦٢

^{٦٢٥} - أي أملاء من فمه (شفاهاً) وعلي خطه.

^{٦٢٦} - بصائر الدرجات، ص ١٦٣

^{٦٢٧} - بصائر الدرجات، ص ١٧١

٣. مصحف فاطمة: وفيه ما يحتاج الناس إليهم وما يحتاجون إلى أحد، وما فيه آية من كتاب الله. عن الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي بصير: "إن عندنا لمصحف فاطمة عليه السلام، وما يدر بهم ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها"^{٦٢٨}.

ثالثاً: الإلهام: ويحصل بالقذف في القلب والنقر في الأسماع، فقد أشارت روايات عديدة إلى أنهم محدثون. سئل الإمام الصادق (عليه السلام): "كيف يُزاد الإمام؟ فقال: مِمَّا مِنْ يُنكَتُ فِي أُذُنِهِ نَكْتًا، وَمِمَّا مِنْ يُقَذَفُ فِي قَلْبِهِ قَذْفًا، وَمِمَّا مِنْ يُخَاطَبُ"^{٦٢٩}. وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: "علمنا غابراً، ومزبوراً، ونكتاً في القلوب، ونقرّاً في الأسماع... فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: أما الغابراً فالعلم بما يكون، وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام. وأما النقر في الأسماع فحديث الملائكة (عليهم السلام) نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم"^{٦٣٠}.

٦٢٨- بصائر الدرجات، ص ١٧٢

٦٢٩- بصائر الدرجات، ص ٢٥٢

٦٣٠- بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٨، نقلاً عن الإرشاد والاحتجاج.

الدرس السابع والثلاثون: (الغُلُوُّ في الأئمة (عليهم السلام))

تعريف الغلُوِّ: الغُلُوُّ في اللغة مصدر فعل غلا، وهو التشدّد والارتفاع ومجاوزة الحد والخروج عن القصد، ومنه غلا السعر: أي ارتفع. والغلُو في الدّين هو التشدّد فيه فوق المطلوب. والغلُوُّ في الأنبياء والأولياء هو رفعهم إلى مقام الربوبية.^{٦٣١}

الغلُو في الديانات السابقة: الغلو في الدين ظاهرة قديمة، ليست موجودة في الأمة الإسلامية فحسب، بل كانت موجودةً عند اليهود والنصارى، وقد أشار إلى ذلك الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^{٦٣٢}. ونهى القرآن الكريم عن الغلو بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً﴾^{٦٣٣}.

ما هو الغلو في الأئمة (عليهم السلام)؟ هو القولُ فيهم ما لا يقولون في أنفسهم، كجعلهم أنبياءً أو آلهة. ويقابلُ الغلُوُّ بهم البغضُ لهم والانتقاصُ من حقِّهم. وما بينُ الغلُوِّ بهم والبغضِ لهم الاعتدالُ في حبِّهم، وهو الذي أمرنا به. وسنذكر، على عُجالةٍ، بعضَ مصاديق الغلُوِّ بهم:

^{٦٣١} - انظر: لسان العرب، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، فعل: غلا،

^{٦٣٢} - سورة التوبة، آية ٣٠

^{٦٣٣} - سورة النساء، آية ١٧١

١. نسبة الألوهية لهم: وهذه حدثت كثيراً، وخاصةً لعلي (عليه السلام). فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "أتى قومٌ أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا: السلام عليك يا ربَّنَا! فاستتابهم فلم يتوبوا، فحفرَ لهم حفيرةً وأوقد فيها ناراً، وحفرَ حفيرةً أخرى إلى جانبها وأفضى ما بينهما، فلما لم يتوبوا ألقاهم في الحفيرة، وأوقد في الحفيرة الأخرى حتى ماتوا"٦٣٤.

وعن الإمام الرضا (عليه السلام): "إنَّ من تجاوز بأمر المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين"٦٣٥.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): "لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلَقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، ويده نواصينا"٦٣٦.

وعن الإمام علي (عليه السلام): "لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإنني برئ من الغالين"٦٣٧.

وعنه (عليه السلام): "لَتُحْبِنِي أَقْوَامٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي حَبِّي، وَيُبْغِضُنِي أَقْوَامٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي بَغْضِي"٦٣٨.

٦٣٤- الشيخ الطوسي، الاستبصار، ج ٤، ص ٢٥٤

٦٣٥- الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٣٣

٦٣٦- بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٩٧

٦٣٧- الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٣٣

وعنه أيضاً: يهلك في اثنان ولا ذنب لي: محب مفطر، ومبغض مفطر، وأنا أبرء إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلوا فينا ويرفعنا فوق حدنا، كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى" ٦٣٩.

٢. الاعتقاد أنهم المدبرون والخالقون والرازقون: وفي القرآن ما يكفي لردّ هذا الاعتقاد الفاسد ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ٦٤٠. وفي الروايات أيضاً، فعن الإمام الرضا (عليه السلام): "اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم لك الخلق ومنك الأمر، وإياك نعبد وإياك نستعين. اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك" ٦٤١.

وهذا لا ينفي كونهم قادرين على ذلك لو شاؤوا بإذن الله تعالى، فالنبي عيسى (عليه السلام) كان قادراً على ذلك بإذن الله تعالى كما أنبأ القرآن الكريم ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٦٤٢ وهم في عقيدتنا أفضل من الأنبياء.

٦٣٨- ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٢، ص ١٨٢

٦٣٩- عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٢١٧

٦٤٠- سورة الرعد، آية ١٦

٦٤١- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٩٩

٦٤٢- سورة آل عمران، آية ٤٩

٣. الاعتقاد بأنهم يعلمون الغيب ذاتاً (بوجهٍ مستقلٍّ عن الله): وقد بيّنا بطلان ذلك في الدرس السابق.

٤. الاعتقاد بأنهم أنبياء: اعتقد بهم جماعةٌ من الناس أنهم أنبياء، فردّ عليهم الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: "من قال أنا أنبياء فعليه لعنةُ الله، ومن شكَّ في ذلك فعليه لعنةُ الله" ٦٤٣.

٥. الاعتقاد بأنهم أعلى من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقاماً: في الرواية أن حبراً من الأخبار سأل علياً (عليه السلام): يا أمير المؤمنين أفني أنت؟ فقال له علي (عليه السلام): "ويلك، إنما أنا عبدٌ من عبيدِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم" ٦٤٤.

٦. الاعتقاد بأن حبّهم يُغني عن العمل: عن الإمام الباقر (عليه السلام): "يا جابر، لا تذهبنّ بكم المذاهب، أيحسبُ الرجلُ أن يقولُ أحبُّ علياً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعلاً، فلو قال إني أحب رسولَ الله، ورسولُ الله خيرٌ من علي، ثم لا يتبعُ لسيرته، ولا يعملُ بسنته، ما نفعه حبُّه إياه شيئاً. اتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبُّ العبادِ إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، والله ما يُتقربُ إلى الله تعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءةٌ من النار، ولا لنا على الله حُجة، من

٦٤٣- الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، ج ٢، ص ٥٩٠

٦٤٤- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١٧٥، ويقصد من ذلك عبد طاعته لا غير ذلك.

كان لله مُطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، والله لا تُنال ولايتنا إلا بالعمل!"^{٦٤٥}.

لعنُ الأئمة للمغالين والتحذير منهم: كثيراً ما حدّر الأئمة (عليهم السلام) من الغلاة، وتبرأوا منهم ولعنوهم، وهذه الروايات شواهد على ذلك:

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "جاء رجلٌ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا ربي! فقال: ما لك، لعنك الله، ربي وربُّك الله"^{٦٤٦}.

- وعنه (عليه السلام) في التحذير منهم: "احذروا على شبابكم الغلاة لا يُفسدونهم، فإن الغلاة شرُّ خلقِ الله؛ يُصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا"^{٦٤٧}.

- عن الإمام علي (عليه السلام): "اللهم إني بريءٌ من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً"^{٦٤٨}.

^{٦٤٥} - ابن إدريس الحلبي، مستطرفات السرائر، ص ٦٣٦

^{٦٤٦} - الشيخ حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرک، ج ٤، ص ١٤٣

^{٦٤٧} - الأمالي للطوسي، ص ٦٥٠

^{٦٤٨} - الأمالي للطوسي، ص ٦٥٠

ما حكم الغلاة في عقيدتنا؟ الغلاة في عقيدتنا كفار. وهذه نماذج من أقوال علمائنا

الكبار الأوائل فيهم:

الشيخ الصدوق: "اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله تعالى، وأنهم أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدريّة والحرويّة ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة"^{٦٤٩}.

الشيخ المفيد: "وهم ضلال كفار، حكّم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام"^{٦٥٠}.

الشريف المرتضى: "الناصب كالعالي في الكفر والخروج عن الإيمان، ولا يجوز مناكحة كل واحدٍ منهما مع الاختيار، ولا فرق بينهما في أنهما كافران لا يتعلق عليهما أحكام أهل الإسلام"^{٦٥١}.

٦٤٩- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٩٧

٦٥٠- الشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ص ١٣١

٦٥١- الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج ٤، ص ٣٩

الدرس الثامن والثلاثون: (التقية)

التقية في اللغة: هي الحيلة والحذر من الضرر والتوقي منه. ووقيت الشيء: أي صنته عن الأذى وحميته. ^{٦٥٢}

التقية في الاصطلاح: وهي أن تكتم الحق وتظهر الباطل، في قول أو فعل، خوفاً من الضرر على نفسك أو مالك أو عرضك. وهي واجبة في حال توقع الضرر على دينك أو دنياك، أما في حال عدم توقعه فلا تجب.

الفرق بين التقية والنفاق: شنع البعض على الشيعة في التقية بعدّها من شيم المنافقين الذين يبتنون شيئاً ويظهرون خلافه. أما الواقع، فالتقية على النقيض من النفاق، ذلك أن المنافق يُبطن الكفر ويظهر الإيمان. أما المتقي فيبطن الإيمان ويظهر الكفر، كما فعل عمّار بن ياسر عندما كفر لسأته وكان قلبه مطمئناً بالإيمان.

أدلة التقية: التقية في المعتقد الشيعي واجبة إذا توفرت شروطها، بل يحرم تركها! ونحن لم نؤمن بها اعتباطاً أو استحساناً، إنما بالدليل القاطع؛ العقلي والنقلي. وسنعرض بعض هذه الأدلة بشيء من الإيجاز:

أولاً: الدليل العقلي: إنّ غريزة حبّ البقاء تجعل العقل السويّ يفرض على صاحبه أن يدفع عنه الضرر الكبير بالضرر الصغير، حفاظاً على حياته، ولولا ذلك لهلك معظم الناس بأمور تافهة.

^{٦٥٢} - انظر: لسان العرب، ومقاييس اللغة لابن فارس، فعل: وقى

وهذا مبدأ التقية؛ فالإنسان إذا وقف في موقفٍ يعلمُ أو يحتملُ فيه وقوعَ الضررِ عليه، لأمره العقلُ حتماً بالتخلُّصِ منه بأيَّةِ وسيلةٍ، شرطُ أن تكونَ أقلَّ ضرراً من الضررِ الأول. مثال على ذلك: من تلدغه أفعى يقطع إصبغَه إِتقَاءً من سريان السُّمِّ في الجسم الذي ينتهي بالموت.

وأفضل الوسائل وأقلُّها ضرراً هو التفوُّه باللسان بما يُخالف اعتقادَ القلب، كون الشرعِ أحاز ذلك. من هنا فالتقيَّةُ ثابتةٌ بل واجبةٌ بحكم العقل.

ثانياً: الأدلة النقلية: وهي قسمان؛ أدلة قرآنية، وأدلة روائية:

١. الأدلة القرآنية: وهي كثيرةٌ، ذُكرتَ تصريحاً وتلميحاً، ما قبل الإسلام (كتقية أهل الكهف، ومؤمن آل فرعون) وفي الإسلام. وسنكتفي بإيراد آيتين لضيق المقام، وهي كافيةٌ قطعاً لإثبات جواز التقية:

– الآية الأولى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^{٦٥٣}، وهذه الآية باتفاق الجميع نزلت في عمار بن ياسر عندما كفر بالله تحت وطأة تعذيب قريش، وجاء النبي (صلى الله عليه وآله) باكياً، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): كيف تجحد قلبك يا عمار؟ قال:

^{٦٥٣} - سورة النحل، آية ١٠٦

مطمئنٌ بالإيمان. قال: لا عليك، إن عادوا إليك فعد لِمَا يُريدون، فقد أنزل الله فيك: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^{٦٥٤}.

- الآية الثانية: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^{٦٥٥}.
تصرّح هذه الآية بجرمة اتّخاذ الكافرين أولياء، إلا إذا كان المسلمون في سلطانهم أو أضعفَ منهم، فيوالونهم باللسان ويضمرون لهم العداوة في القلب، وهذه هي التقية.

٢. الأدلة الروائية: وهي كثيرةٌ جداً، ولكن ضيقَ المقام يجعلنا نكتفي منها بما يلي:

- الحديث المشهور عند العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله): "إن الله تعالى تجاوزَ لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهوا عليه"^{٦٥٦}.

- في صحيح البخاري: عن عائشة: "استأذَنَ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال: ائذِنوا له فيئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة. فلما دخل أَلَانَ له الكلام، فقلت: يا رسول الله، قلتَ ما قلتَ ثم أَلَنْتَ له في القول؟ فقال: اي عائشة، إن شرَّ الناس منزلةً عند الله من تركه أو

^{٦٥٤}- انظر: الكافي، ج ٢، ص ٢١٩، ووسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٢٦، أسد الغابة، ج ٤، ص ٤٤، وجامع البيان للطبري، ج ١٤، ص ٢٣٧، وتفسير الميزان، ج ١٢، ص ٣٥٨

^{٦٥٥}- سورة آل عمران، آية ٢٨

^{٦٥٦}- النووي، المجموع، ج ٢، ص ٢٦٧. وهو حديث مشهور عندهم، ومروي بطرق عديدة.

وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فَحْشِهِ".^{٦٥٧} وفي هذا الحديث، على صحته، تصريحٌ
باتقاء النبي (صلى الله عليه وآله).

- قال الإمام علي (عليه السلام): "ألا إنكم ستعرضون علي سبِّي، فإن
خفتم علي أنفسكم فسبوني".^{٦٥٨}

- عن الإمام الصادق (عليه السلام): "يا معلّى، إن التقيّة ديني ودينُ آبائي،
ولا دينَ لمن لا تقيّة له".^{٦٥٩}

- وعنه أيضاً (عليه السلام): "يا أبا عمر، إن تسعةَ أعشار الدين في التقيّة،
ولا دينَ لمن لا تقيّة له".^{٦٦٠}

- وعنه أيضاً (عليه السلام): "لو قلتُ إن تاركَ التقيّة كتاركِ الصلاة لكنتُ
صادقاً".^{٦٦١}

- عن الإمام الباقر (عليه السلام): "إنما جعلت التقيّة ليُحقنَ بها الدم، فإذا
بلغت التقيّة الدمَ فلا تقيّة".^{٦٦٢}

^{٦٥٧} - البخاري، ج ٧، ص ١٠٣

^{٦٥٨} - الأُمالي للطوسي، ص ٣٦٤

^{٦٥٩} - بحار الأنوار، ج ٢، ص ٧٤

^{٦٦٠} - الكافي، ج ٢، ص ٢١٧

^{٦٦١} - الشيخ الصدوق، الهداية، ص ٥١

^{٦٦٢} - الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ١٧٢

أقسام التقية: التقية ليست دائماً واجبة، فقد بحث فيها الفقهاء وقسموها باعتبار حكمها التكليفي إلى خمسة أقسام: **التقية الواجبة، التقية المستحبة، التقية المباحة، التقية المحرّمة، والتقية المكروهة.**^{٦٦٣} وهذا بيان كل نوع:

- **التقية الواجبة:** تكون التقية واجبةً إذا كانت لدفع ضررٍ جسيمٍ، ولم تكن مؤديّةً إلى فسادٍ في الدّين أو المجتمع، كإفطار الإمام الصادق (عليه السلام) اليوم الأخير من شهر رمضان عند أبي العباس السّفاح، وهو يعلم أنه من الشهر،^{٦٦٤} ولو لم يفعل ذلك لضرب عنقه.

- **التقية المستحبة:** وهي ما كان تركها مفضياً إلى الضرر تدريجياً، ويكون استعمالها موجباً للتحرز من الضرر ولو مستقبلاً، كقول الإمام الصادق (عليه السلام) مخاطباً المنصور: يا أمير المؤمنين!^{٦٦٥}

- **التقية المباحة:** وهي ما كان فيها التحرز من الضرر مساوياً لعدم التحرز منه في نظر الشارع المقدس، كون المصلحة المترتبة على استخدام التقية أو تركها متساويتين، كما في إظهار كلمة الكفر إذا كان الإكراه عليه بالقتل، فإن في فعل

^{٦٦٣} - راجع: مركز الرسالة، التقية في الفكر الإسلامي، ص ٩٤ وما بعدها

^{٦٦٤} - انظر: تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ٣١٧

^{٦٦٥} - انظر: أمالي الطوسي، ص ٤٦١

التقية - هنا - مصلحة وهي النجاة من القتل، وفي تركها مصلحة أيضاً وهي إعلاء كلمة الإسلام.^{٦٦٦}

- **التقية المكروهة:** وهي ما كان فيها احتمال الضرر أرجح وأولى من ترك العمل لعذر التقية، كما لو أُجبر قائدٌ على الكفر، فإنه يحقُّ له أن يكفر تقيّةً، كما فعل عمار بن ياسر، ولكن الأولى من ذلك أن لا يتقي، لموقعه بين الناس وتأثرهم به، كما فعل ميثم التمار وحجر بن عدي وسواهم.

- **التقية المحرّمة:** تكون التقية محرّمةً إذا أدت إلى ضررٍ أكبر من الضرر الذي يُتقى منه، كعدم اتقاء الإمام الحسين (عليه السلام) من هدر دمه مقابل السكوت عن فساد يزيد المؤدي إلى هدم الدين. وتكون التقية محرّمةً أيضاً إذا لم يترتب عليها فائدة، كأن يكفر المؤمن وهو يعلم أن ذلك لن ينجيه من القتل.

أهمية التقية: تنكشف لنا أهمية التقية إذا نظرنا إلى المضار التي يمكن أن يُحدثها عدم التقية، فليس من الغريب القول أنه لولا التقية لَمَا بقي للتشييع معلّم. لقد أسرّ الشيعة عقيدتهم على مرّ التاريخ، ورغم ذلك لم يسلموا من القتل والذبح، فكيف لو جهروا بها، أكان يبقى منهم واحدٌ في دول الظالمين؟

ولأن التقية تصون المؤمن عن القتل، قال الإمام الصادق (ع): "التقية ترسُّ المؤمن، والتقية حرزُ المؤمن".^{٦٦٧} وقال أمير المؤمنين علي (ع): "التقية من أفضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه وإخوانه عن الفاجرين".^{٦٦٨}

٦٦٦- التقية في الفكر الإسلامي، ص ٩٥

الدرس التاسع والثلاثون: (التوسّل)

معنى التوسّل في اللغة: التوسّل لغةً هو التقرّب، فيقال: وسّلت إلى ربّي وسيلةً، أي عملتُ عملاً أتقرّب به إليه، وتوسّلت إلى فلان بكتاب، أي تقرّبتُ به إليه. والوسيلة هي ما يُتقرّب به إلى الغير، وجمعها وُسل ووسائل. ^{٦٦٩} ويأتي الاستشفاعُ والاستغاثة والتوجّه بأحدٍ إلى الله تعالى بمعنى التوسّل به إليه تعالى.

التوسّل في الاصطلاح: وهو أن تسأل الله تعالى بمن له جاهٌ عنده، كالأنبياء والأولياء، أن يقضيَ لك حاجتك، ويكون المتوسّلُ به في هذا المقام بمثابة الوسيلة بينك وبين الله تعالى. والتوسّل بهذا المعنى مشرّعٌ، بل ممدوحٌ، وهو بابٌ من الرحمة الإلهية فتحه الله لعباده كباقي التوبة والشفاعة.

الأدلة على شرعية التوسّل: وغايتنا من هذه الأدلة الردُّ على من جعل التوسّل شركاً بالله. وسنقدّم لإثبات شرعيته أدلةً قرآنية وروائية:

١. الأدلة القرآنية: في القرآن الكريم آياتٌ تدلُّ بصراحةٍ على شرعية التوسّل، بل على استحبابه، منها:

- قول أبناء النبي يعقوب (عليه السلام) لأبيهم بعدما افتضح أمرهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي

^{٦٦٧} - الكافي، ج ٢، ص ٢٢١

^{٦٦٨} - وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٢٢

^{٦٦٩} - انظر: لسان العرب، فعل: وسل

إِنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧٠﴾. فلو لم يكن ثابتاً عندهم أن الولي الذي له مقامٌ عند الله إذا توسَّل به أحدٌ استجاب الله له، لَمَا طلبوا من أبيهم أن يستغفرَ لهم. ثمَّ إِنَّ أباهم وَعَدَهُم أن يستغفرَ لهم، ولو لم يكن ذلك مشرَّعاً لنهاهم عنه، وفي هذا دليلٌ قاطعٌ على شرعية التوسُّل.

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ﴿٦٧١﴾، ففي هذه الآية دعوة واضحة من الله تعالى إلى الذين ظلموا أنفسهم بالذنوب أن يأتوا إلى النبيِّ ليستغفرَ لهم، فاستغفارُ النبيِّ لهم هو الوسيلة التي تجعل الله يغفر ذنوبهم. ولو لم يكن التوسُّل جائزاً، لَمَا حثَّ الله المؤمنين عليه.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٦٧٢﴾، فهذه الآية تذكُّم المنافقين الذين يرفضون أن يأتوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليستغفرَ لهم وليكونَ وسيلتَهُم إلى الله تعالى، وذمُّهم على تركِ الوسيلة دليلٌ على استحبابها.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ﴿٦٧٣﴾، وهذه الآية لا تشرِّع الوسيلة فحسب، بل تطلبُها، وكفى بذلك دليلاً على

٦٧٠- سورة يوسف

٦٧١- سورة النساء، آية ٦٤

٦٧٢- سورة المنافقون، آية ٥

٦٧٣- سورة المائدة، آية ٣٥

استحبها. وقد جاء في كثير من الروايات أن الوسيلة هي الإمام علي (عليه السلام) والأئمة من ولده (عليهم السلام).

٢. الأدلة الروائية: وهي كثيرة، وسنذكر منها بعض الروايات الواردة في كتب أهل الخلاف الصحيحة، والتي تدلُّ على شرعية التوسل^{٦٧٤}:

- روى الترمذي وأحمد والنسائي والحاكم والبيهقي والطبراني وغيرهم عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي (صلى الله عليه وآله) وطلب منه أن يدعو الله له أن يعافيه، فأمره أن يتوضأ ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضي، اللهم شفّعه في". ففعل الضرير ذلك، فعاد وأبصر.^{٦٧٥}

- روى في حديث صحيح عندهم عن علي (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما دفن أمه فاطمة بنت أسد قال: "اللهم بحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي".^{٦٧٦}

^{٦٧٤} - للاستزادة من الموضوع، راجع: إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي للحافظ ابن الصديق الغماري الحسني.

^{٦٧٥} - انظر: السيد جعفر مرتضى، خلفيات كتاب مأساة الزهراء (ع)، ج ٢، ص ٢٠٩ وفيه ذكر للمصادر التي روت الحديث.

^{٦٧٦} - إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي، ص ٥

- روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: "اللهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقيننا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا".^{٦٧٧}

بمن نتوسّل إلى الله؟ يظهر من الروايات أن أفضل ما يُتوسّل به إلى الله هو:

١. ذات الله وصفاته وحبّه: في الرواية عن أبي بصير قال: "كان أبو عبد الله (عليه السلام) يدعو بهذا الدعاء في شهر رمضان: اللهم إني بك أتوسّلُ ومنك أطلبُ حاجتي. من طلبَ حاجته إلى الناس، فإني لا أطلبُ حاجتي إلا منك، وحدك لا شريك لك".^{٦٧٨}

وفي الصحيفة السجادية شواهدُ كافية على التوسّل بذات الله، منها:

"إلهي استشفعتُ بك إليك، واستجرتُ بك منك".^{٦٧٩}

"استشفعت بجودك وكرمك إليك، وتوسلت بجنابك وترحمك لديك فاستجب دعائي".^{٦٨٠}

"إليك أستشفعُ بقديم كرمك".^{٦٨١}

^{٦٧٧} - البخاري، ج ٢، ص ١٦

^{٦٧٨} - الكافي، ج ٤، ص ٧٤

^{٦٧٩} - من مناجاة الراغبين.

^{٦٨٠} - من مناجاة التائبين.

^{٦٨١} - من المناجاة الإنجيلية الطويلة.

" اللهم صل على محمد وآله، وشفّع في خطاياي كرمك".^{٦٨٢}

"وحبي لك شفيعي إليك".^{٦٨٣}

٢. النبى وأهل بيته (عليه السلام): وهم أقرب الناس وسيلةً إلى الله تعالى.^{٦٨٤} وقد ورد عنهم الكثير من الروايات والأدعية والزيارات التي تصرّح بالاستشفاع والتوسل بهم إلى الله تعالى.^{٦٨٥} ومن أشهر الأدعية في هذا المجال دعاء التوسّل.

٣. القرآن الكريم: وقد ورد في التوسّل به روايات كثيرة.^{٦٨٦} ومن الأدعية المعروفة في التوسل بالقرآن الدعاء الذي يُقرأ في ليالي القدر: "اللهم إني أسألك بكتابك المنزل وما فيه، وفيه اسمك الأكبر وأسماؤك الحسنی، وما يخاف ويرجى، أن تجعلني من عتقائك من النار".^{٦٨٧}

٤. الأعمال الصالحة: وهي من أفضل الوسائل التي تفيد صاحبها إذا توسّل بها إلى الله. قال الإمام علي (عليه السلام): "أفضل ما توسّل به المتوسلون الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام

^{٦٨٢} - دعاؤه في ذكر التوبة وطلبها.

^{٦٨٣} - من دعائه في كل سحر في شهر رمضان، وهو الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

^{٦٨٤} - راجع: حديث عائشة ومسروق في قتل المخدج، وفيه إثبات من حديث النبي (ص) أن علياً (ع) أقرب الناس وسيلةً إلى الله، القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ١، ص ١٤١

^{٦٨٥} - انظر: مركز المصطفى (ص)، العقائد الإسلامية، ج ٤، ص ٣١٢ - ٣٢١

^{٦٨٦} - انظر: مركز نون للتأليف والترجمة، معرفة أهل البيت عليهم السلام، ص ٦٦

^{٦٨٧} - الكافي، ج ٢، ص ٦٢٩

الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله، وصيام شهر رمضان فإنه جنة من عذاب الله، وحج البيت فإنه ميقات للدين ومدحضة للذنوب، وصلته الرحم فإنها مشرة للمال ومنسأة للأجل، والصدقة في السر فإنها تذهب الخطيئة وتطفى غضب الرب، وصنایع المعروف فإنها تدفع ميتة السوء وتقي مصارع الهوان".^{٦٨٨}

هل التوسل حرام عند أهل الخلاف؟ التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله) من المستحبات المؤكدة عندهم، وقد صرح بذلك عدد كبير من علمائهم، لكن الذي حرم ذلك هو ابن تيمية ومن تبعه من الوهابيين الذين اعتبروا التوسل شركاً بالله. وقد تكفل بالرد على هذه العقيدة الفاسدة جمهور كبير من علماء المسلمين، ومن أحب الاطلاع على ذلك فليراجع كتاب: "إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي" للحافظ ابن الصديق الغماري الحسني، وكتاب: "التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين" لأبي حامد المرزوق، وكتاب: "شفاء السقام" للإمام السبكي، فإن في ذلك كفاية.

كيف يكون التوسل كفراً؟ يكون التوسل كفراً وشركاً بالله إذا اعتقد المتوسل أن المتوسل به شريك لله في حل المعضلة وغفران الذنب، أو أنه يفعل ذلك بقوة مستقلة عن قوة الله، وهذا ما لا يقول به أحد من الشيعة، ومن قال عنهم ذلك فقد كذب وافتري.

^{٦٨٨} - أمالي الطوسي، ص ٢١٧

الدرس الأربعون: (الرجعة)

ما هي الرجعة؟ الرجعة في اللغة هي المرّة من الرجوع^{٦٨٩} (مصدر مرّة)، وهي العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت^{٦٩٠}، وتسمى "الكرّة" أيضاً.

أما اصطلاحاً، فهي عودة الأئمة الطاهرين وجماعةٍ ممن محضوا الإيمان محضاً وجماعةٍ ممن محضوا الكفر محضاً إلى الحياة الدنيا بعد موتهم، فَيُنْتَصَرُ لأهل الحق من أهل الباطل، وذلك عند خروج القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

عقيدتنا في الرجعة: الرجعة من معتقداتنا التي انفردنا بها عن بقية المسلمين، وهي عندنا من الأمور المجمع عليها والمقطوع بها، والاعتقاد بأصلها إجمالاً ضروريٌّ، أما الاعتقاد بتفاصيلها فغير واجب.

بعض أقوال علمائنا الكبار في الرجعة: سنعرض رأي ثلاثٍ من كبار علمائنا:

- الشيخ الصدوق: قال الشيخ في كتاب "الاعتقادات في دين الإمامية": "اعتقدنا في الرجعة أنها حق"^{٦٩١}.

- العلامة المجلسي: قال الشيخ في "البحار": "أجمعت الشيعة على الرجعة في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم"^{٦٩٢}.

^{٦٨٩}- لسان العرب، فعل: رجع

^{٦٩٠}- الجوهري، الصحاح، فعل: رجع

^{٦٩١}- ص ٦٠

- الحر العاملي: قال الشيخ في "الإيقاظ من الهجعة": "إجماعُ جميع الشيعة الإمامية وإطباق الطائفة الاثني عشرية على اعتقاد صحة الرجعة، فلا يظهر منهم مخالف يُعتد به من العلماء السابقين ولا اللاحقين... حتى أنه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان محمد ابن الحسن المهدي (عليه السلام) في التوقعات الواردة عنه وغيرها".^{٦٩٣}

هل الرجعة ممكنة؟ الرجعة ممكنة لأنها ليست من الأمور المستحيلة عقلاً، بل هي من الأمور المقدورة لله تعالى الذي لا يُعجزه شيء، ثم إنها حصلت في الأمم السابقة مراتٍ عديدةً بإخبار القرآن الكريم، من هذه المرات:

- رجوع قوم من بعد موتهم، وكانوا سبعين ألفَ بيت، خرجوا خوفاً من الطاعون، فأماهم الله ثم أحياهم بدعاء نبيٍّ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾.^{٦٩٤}

- رجوع قاتل بني إسرائيل ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾.^{٦٩٥}

^{٦٩٣} - ج ٥٣، ص ١٢٢

^{٦٩٣} - ص ٦٤

^{٦٩٤} - سورة البقرة، آية ٢٤٣

^{٦٩٥} - سورة البقرة، آية ٧٣

- رجوع أصحاب النبي موسى (عليه السلام) وكانوا سبعين رجلاً ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. ٦٩٦

- رجوع عزيز ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾. ٦٩٧

- رجوع أهل الكهف بعد موتهم ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. ٦٩٨

- إحياء الموتى على يد النبي عيسى (عليه السلام) ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ٦٩٩

أدلة الرجعة: وهي كثيرة في القرآن والروايات والأدعية والزيارات، حتى أن العلامة المجلسي تعجب ممن يشك في الرجعة بعد أن ذكر نحو مئتي حديث صريح فيها عن

٦٩٦- سورة البقرة

٦٩٧- سورة البقرة، آية ٢٥٩

٦٩٨- سورة الكهف، آية ٢٥

٦٩٩- سورة آل عمران، آية ٤٩

الثقات العظام.^{٧٠٠} وقد أوردَ الحرُّ العاملي في "الإيقاظ من الهجعة" أربعاً وستين آيةً قرآنيةً، ومئةً وواحداً وثلاثين حديثاً، تدلُّ كلُّها على الرجعة.^{٧٠١}

ولا يتسع المقام هنا لأكثر من الشواهد التالية:

- قيل للإمام الصادق (عليه السلام): "إن العامة تزعم أن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾^{٧٠٢} عنى يوم القيامة، فقال (عليه السلام): أَيْحَشُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا وَيَتْرِكُ الْبَاقِينَ، إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الرَّجْعَةِ، فَأَمَّا آيَةُ الْقِيَامَةِ فَهَذِهِ: ﴿وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^{٧٠٣}." ^{٧٠٤}

- قال الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ﴾^{٧٠٥} نبيُّكم صلى الله عليه وآله راجعٌ إليكم.^{٧٠٦}

٧٠٠- بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٢

٧٠١- الآيات القرآنية في الباب الثالث المعنون بـ: في جملة من الآيات القرآنية الدالة على صحّة الرجعة. والأحاديث في الباب التاسع المعنون بـ: في جملة من الأحاديث المعتمدة الواردة في الإخبار بوقوع الرجعة لجماعة من الشيعة وغيرهم من الرعية.

٧٠٢- سورة النمل، آية ٨٣

٧٠٣- سورة الكهف، آية ٤٧

٧٠٤- تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤

٧٠٥- سورة القصص، آية ٨٥

٧٠٦- حسن بن سليمان الحلبي، مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٩

- قال الإمام الصادق (عليه السلام): "ليس منا من لم يؤمن بكربتنا، ويستحلَّ متعتنا".^{٧٠٧}

- وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً: "والله لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء، ويردُّ الحقَّ إلى أهله، وبقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه، فأبشروا ثم أبشروا ثم أبشروا، فوالله ما الحقُّ إلا في أيديكم".^{٧٠٨}

- سأل المأمونُ الإمامَ الرضا (عليه السلام) عن الرجعة، فأجابته: "إنها حقٌّ، قد كانت في الأمم السالفة ونطق بها القرآن".^{٧٠٩}

- في الزيارة الجامعة عن الإمام الهادي (عليه السلام): "وجعلني ممن... يكرُّ في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويؤمن في أيامكم، وتقرُّ عينه غداً برويتكم".^{٧١٠}

- في زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): "وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أنني بكم مؤمن وياياكم موقن".^{٧١١}

٧٠٧- من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٤٥٩

٧٠٨- الشيخ المفيد، المقتعة، ص ٢٥٧

٧٠٩- بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٥٩

٧١٠- عيون أخبار الرضا (ع)، ص ٣٠٨

٧١١- مصباح المتهدِّج، ص ٧٢١

- في دعاء العهد: "اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري، مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، مليباً دعوة الداعي في الحاضر والبادي".^{٧١٢}

ما الهدف من الرجعة؟ يظهر من الروايات الشريفة أن الهدف من الرجعة هو نصره المهدي (عج) في نشر الدين، ومقاتلة أعداء الله ورسوله، واقتصاص المظلومين من ظالمهم.^{٧١٣} وقد يكون وراء ذلك علة مخفية عنا، والله العالم.

من أول من يرجع؟ لا يرجع من الموت مع الإمام الحجة (عج) إلا من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً. وأول الراجعين هو الإمام الحسين (عليه السلام)، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام"^{٧١٤}، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): "إن أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي عليهما السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، حتى يسقط حاجباه على عينيه".^{٧١٥}

موقف أهل الخلاف من الرجعة: تشنّع العامة على الشيعة اعتقادهم بالرجعة، وتتهمهم بأنهم أخذوا هذه العقيدة عن عبد الله ابن سبأ اليهودي! وهي قبيحة

^{٧١٢}- المزار، ص ٦٦٤

^{٧١٣}- راجع: معرفة أهل البيت عليهم السلام، ص ١٢٣ - ١٢٤

^{٧١٤}- مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٤

^{٧١٥}- المصدر السابق، ص ١٨

عندهم لدرجة أنهم يطعنون في الراوي - وإن كان ثقة - إذا كان ممن يقول بالرجعة!
علماء أنهم يؤمنون بأن كثيراً من الأموات عادوا إلى الحياة، وألّفوا في إثبات ذلك كتباً
عديدة!!

أما إشكالات أهل الخلاف على الرجعة فلا يتسع المقام لإيرادها والردود
عليها، ومن أحب معرفة ذلك فليراجع الباب الثاني عشر من كتاب "الإيقاظ من
الهمجة"، ففيه نيلُ المراد.

الدرس الواحد والأربعون: (الشفاعة)

معنى الشفاعة: الشفاعة لغةً هي الطلب. وَشَفَعَ لِي يَشْفَعُ شَفَاعَةً وَتَشَفَّعَ: طَلَبَ. وَالشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعَاءُ، وَاسْتَشْفَعَ بِفُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ وَتَشَفَّعَ لَهُ إِلَيْهِ فَشَفَّعَهُ فِيهِ. ٧١٦.

أما اصطلاحاً، فالشفاعة هي أن يطلب الشفيع من الله غفرانَ ذنوبِ شخصٍ ما وإدخاله الجنة، فيكون الشفيع هنا بمثابة الواسطة بين الله والمتشفع به إليه وهو العبد المذنب، فإذا قبلَ الله شفاعته يكون قد شَفَّعَهُ فِيهِ. وهي بكلامٍ آخر التجاوزُ عن ذنوبِ عبدٍ ما بدعاء مَنْ له مقامٌ عند الله كالنبي والولي والعالم والشهيد.

تاريخ الشفاعة: لم تأتِ فكرةُ الشفاعة مع الإسلام، فهي موجودة قديماً عند اليهود والنصارى الذين اعتقدوا بشفاعة أنبيائهم لهم، وموجودة عند الجاهليين الذين كانوا يعبدون الأصنام كشفعاء يقربونهم زلفى إلى الله.

أدلة الشفاعة: وهي كثيرةٌ، سنقتصر على بعضها من كتاب الله ومن الأحاديث والروايات الشريفة:

أولاً: أدلة الشفاعة من القرآن الكريم: في القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ تُثبِتُ الشفاعة لمن ارتضاه الله وأذن له، منها:

٧١٦- لسان العرب، فعل: شفَع

- قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^{٧١٧}
- قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^{٧١٨}
- قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^{٧١٩}
- قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^{٧٢٠}
- قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^{٧٢١} في الروايات والتفاسير أن المقام المحمود هو الشفاعة.^{٧٢٢}
- قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^{٧٢٣} عن الإمام الباقر (عليه السلام): "الشفاعة، والله الشفاعة والله الشفاعة".^{٧٢٤}

٧١٧- سورة البقرة، آية ٢٥٥

٧١٨- سورة يونس، آية ٣

٧١٩- سورة مريم، آية ٨٧

٧٢٠- سورة طه، آية ١٠٩

٧٢١- سورة الإسراء، آية ٧٩

٧٢٢- انظر: مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤٤، صحيح البخاري، ج ٨، ص ٨٤، تفسير الميزان، ج ١، ص ١٧٥، تفسير الرزي، ج ٣، ص ٥٦

٧٢٣- سورة الضحى، آية ٥

٧٢٤- فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ص ٥٧١

ثانياً: أدلة الشفاعة من الروايات: عندنا في الشفاعة عشرًا روايات^{٧٢٥}، نذكر بعضها:

- قال النبي (صلى الله عليه وآله): "لكلّ نبيّ دعوة قد دعا بها وقد سأل سؤلاً، وقد جَبَأْتُ دعوتي لشفاعتي لأمتي يوم القيامة".^{٧٢٦}
- وقال (صلى الله عليه وآله): "إني أُشَفِّعُ يوم القيامة فأشَفِّعُ، ويُشَفِّعُ عليّ فيشَفِّعُ ويُشَفِّعُ أهلُ بيتي فيشفعون".^{٧٢٧}
- قال الإمام الصادق (عليه السلام): "من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمسألة في القبر، والشفاعة".^{٧٢٨}
- وقال (عليه السلام): إذا كان يوم القيامة نشفع في المذنب من شيعتنا، وأما المحسنون فقد نجّاهم الله".^{٧٢٩}
- وقيل له (عليه السلام): ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^{٧٣٠} قال: "نحن أولئك الشافعون".^{٧٣١}

^{٧٢٥}- راجع: الشيخ جعفر السبحاني، في ظلال التوحيد، ص ٥٥٤ - ٥٦٥

^{٧٢٦}- الخصال، ص ٢٩

^{٧٢٧}- مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١٥

^{٧٢٨}- أمالي الصدوق، ص ٣٧٠

^{٧٢٩}- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٥٩

^{٧٣٠}- سورة الضحى، آية ٥

من هم الشُّفَعَاءُ يوم القيامة؟ إذا تأملنا في روايات الشفاعة وجدنا أن الشفعاء يوم

القيامة أكثر، أبرزهم:

- النبي محمد (صلى الله عليه وآله): عنه (صلى الله عليه وآله): "أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يَعْطَها أَحَدٌ قَبْلِي... وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ".^{٧٣٢}

- أهل البيت (عليهم السلام): عن النبي (صلى الله عليه وآله): "الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبئكم، وأهل بيت نبيكم".^{٧٣٣}

وعنه (صلى الله عليه وآله): "كأني أنظرُ إلى ابنتي فاطمة، قد أقبلت يوم القيامة على نجيبٍ من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقوِّدُ مؤمناتٍ أمتي إلى الجنة، فأَيُّ امرأة صلَّتْ في اليوم والليلة خمسَ صلوات، وصامت شهرَ رمضان، وحجَّتْ بيتَ الله الحرام، وزكَّتْ مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وإنها لسيدة نساء العالمين".^{٧٣٤}

٧٣١- أحمد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ١٨٣

٧٣٢- أمالي الصدوق، ص ٢٨٥

٧٣٣- مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ١٤، وكنز العمال، ج ١٤، ص ٣٩٠ (مع اختلاف طفيف). للاستئناس: راجع قصة الإمام علي (ع) مع الرجل اليمني الذي جاء ليدفن أبيه في النجف، من كتاب: إرشاد القلوب للدليمي، ج ٢، ص ٤٤٠، وقصة السيد الحميري ساعة احتضاره، من كتاب: كشف الغمة للإربلي، ج ٢، ص ٤٠

٧٣٤- أمالي الصدوق، ص ٥٧٥

- الأنبياء، والعلماء، والشهداء: قال النبي (صلى الله عليه وآله): "أول من يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء".^{٧٣٥}
- الملائكة: قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.^{٧٣٦}
- القرآن: في مسند أحمد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "اقرأ القرآن، فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة".^{٧٣٧}
- المؤمن: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم، حتى يبقى خادمه، فيقول ويرفع سبابتيه: يا رب خويدي كان يقيني الحرّ والبرد! فيشفع فيه".^{٧٣٨}
- وعن الإمام الرضا (عليه السلام) من كلامه عن صفات الشيعة: "والله وإن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر فيشفعه الله فيهم لكرامته على الله عز وجل".^{٧٣٩}

^{٧٣٥}- الطبراني، كتاب الأوائل، ص ٣١

^{٧٣٦}- سورة النجم، آية ٢٦

^{٧٣٧}- ج ٥، ص ٢٤٩

^{٧٣٨}- تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٣٣٩

^{٧٣٩}- وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٧٩

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): "ما من أهل بيتٍ يدخلُ واحدٌ منهم الجنةَ إلا دخلوا أجمعين الجنةَ. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يشفعُ فيهم فيشفَع".^{٧٤٠}

من هم الذين يُحرّمون الشفاعة؟ الشفاعة رحمةٌ إلهيةٌ تصيب عامّة المؤمنين المذنبين وأهل الكبائر وكلّ من يستحقّها من أهل التوحيد، لكنها لا تنال من لا قابلية له لئليها. والمحرومون من الشفاعة حسب الروايات هم:

- الكافرون بالله والمكذّبون باليوم الآخر: قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.^{٧٤١}
- أهل الشرك والظلم: عن النبي (صلى الله عليه وآله): "وأما شفاعةي ففي أصحاب الكبائر، ما خلا أهل الشرك والظلم".^{٧٤٢}
- الناصبون: قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إن المؤمنَ ليشفعُ لحميمه إلا أن يكونَ ناصباً، ولو أن ناصباً شفّع له كلُّ نبيٍّ مرسلٍ ومَلِكٍ مقربٍ ما شفّعوا".^{٧٤٣}

^{٧٤٠}- الاختصاص، ص ١١١

^{٧٤١}- سورة المدثر

^{٧٤٢}- الخصال، ص ٣٥٦

^{٧٤٣}- المحاسن، ج ١، ص ١٨٦

- الغلاة: عن النبي (صلى الله عليه وآله): "رجلان لا تنالهما شفاعتي: صاحب سلطانٍ عسوف غشوم، وغالٍ في الدين مارق".^{٧٤٤}

- المستخف بالصلاة: قال الإمام الصادق (عليه السلام) وهو على فراش الموت: "إنَّ شفاعتنا لا تنالُ مستخفاً بالصلاة".^{٧٤٥}

- المنكر للشفاعة: عن النبي (صلى الله عليه وآله): "شفاعتي يومَ القيامةِ حقٌّ، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها".^{٧٤٦}

الفهم الخاطئ للشفاعة: قد يتوهّم البعض أن الشفاعة من قبيل الوساطات والمحسوبيات الدنيوية، وأنها تُغني صاحبها عن العمل، فيتكل عليها ويترك العمل! هذا فهمٌ خاطئٌ، لأن الشفاعة لا تنالُ إلا من رضي الله عنه وأُذن بالشفاعة فيه، وهل يأذن الله بالشفاعة في من جاهره بالمعاصي وترك الواجبات اتكالاً عليها؟

فعلى المؤمن أن يسعى إلى طلب رضا الله إذا أراد أن تنفعه الشفاعة لقول الإمام الصادق (ع): "من سره أن تنفعه شفاعَةُ الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه".^{٧٤٧} وقول النبي (ص): "لا شفيع أنجح من التوبة".^{٧٤٨}

^{٧٤٤}- الخصال، ص ٦٣

^{٧٤٥}- من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٦

^{٧٤٦}- كنز العمال، ج ١٤، ص ٣٩٩

^{٧٤٧}- الكافي، ج ٨، ص ١١

^{٧٤٨}- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٦٦

الدرس الثاني والأربعون: (الولاية التكوينية)

معنى الولاية التكوينية: المقصود من الولاية التكوينية هو القدرة على التصرف بالكون ومخلوقاته بإذن الله تعالى من قِبَلِ وليٍّ من أولياء الله، وذلك بأن يقومَ بأعمالٍ خارقة للعادة، كطَيِّ الأرض، وردِّ الشمس، وإحياء الموتى، وغيرها.

هل عند الأئمة (عليهم السلام) ولايةٌ تكوينية؟ أجمعت علماء الشيعة الإمامية - إلا من شدّد منهم - على ثبوت الولاية التكوينية للنبي (صلى الله عليه وآله) وللأئمة (عليهم السلام) ولباقي الأنبياء والأوصياء، بل حتى لبعض عباد الله الأتقياء. والقول بها من العقائد المسلّمة عندهم، ولا ينبغي الكلام فيها لثبوتها!! إلا أن تشكيك البعض بأنها تنافي التوحيد الحقيقي أثار الكلام فيها.

أدلة ثبوت الولاية التكوينية للأئمة (عليهم السلام): سنحاول، كالعادة، أن نستدل على ذلك من القرآن الكريم والروايات الشريفة:

أولاً: الأدلة القرآنية: صرّح القرآن الكريم في كثير من الآيات بثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء. وإذا ثبت لهم ذلك، فمن ناحية أولى أن يثبتَ لنبينا الأعظم محمدٍ (ص) لأنه أفضل الأنبياء، وأن يثبتَ لأوصيائه من بعده لأنهم أفضل الأوصياء. وسنذكر بعض الآيات التي تُثبت الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء (ع):

- النبي سليمان (ع): ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً﴾. ٧٤٩

- النبي عيسى (ع): ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. ٧٥٠

- النبي موسى (ع): ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾. ٧٥١

- آصف وصي سليمان: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾. ٧٥٢

ثانياً: الأدلة الروائية: وهي كثيرة جداً بحيث لا تدع مجالاً للشك، وسنقتصر منها على ما يلي:

- الأئمة (عليهم السلام) يملكون الاسم الأعظم: عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: "إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرفٌ واحد فتكلم به فخنس بالأرض ما بينه وبين سريره بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرفٌ

٧٥٠- سورة آل عمران، آية ٤٩

٧٥١- سورة البقرة، آية ٦٠

٧٥٢- سورة النمل، آية ٤٠

واحدٌ عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم".^{٧٥٣}

- عند الأئمة (عليهم السلام) علم الكتاب: عن أبي عبد الله (عليه السلام) في
قول الله عز وجل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ
الْكِتَابِ﴾^{٧٥٤} قال: "إيانا عنى، وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا".^{٧٥٥}

وقال (عليه السلام) لصاحبه سدير: "مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ
أَفْهَمُ أَمْ مِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ؟ قال: لا، بل من عنده علمُ الكتاب كُلُّه،
فأوماً بيده إلى صدره وقال: علمُ الكتاب والله كُلُّه عندنا، علمُ الكتاب والله
كُلُّه عندنا".^{٧٥٦}

فإذا ثبتَ أن عندهم علم الكتاب، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾^{٧٥٧} فهذا يثبت
أهم قادرون على تسيير الجبال وتكليم الموتى وغيره...

^{٧٥٣}- بصائر الدرجات، ص ٢٢٨

^{٧٥٤}- سورة الرعد، آية ٤٣

^{٧٥٥}- بصائر الدرجات، ص ٢٣٤

^{٧٥٦}- بصائر الدرجات، ص ٢٥١

^{٧٥٧}- سورة الرعد، آية ٣١

- الأئمة (ع) ورثة الأنبياء: قال أبو حمزة الثمالي: سألت الإمام علياً بن الحسين (عليه السلام): "الأئمة يحيون الموتى ويرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ قال: ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً صلى الله عليه وآله، وأعطاه ما لم يكن عندهم. قلت: وكلُّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: نعم، ثم الحسن والحسين، ثم من بعد كل إمام إماماً إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كلِّ سنةٍ وفي كلِّ شهرٍ، ثم قال: أي والله في كل ساعة".^{٧٥٨}

وإذا ثبت من الآيات القرآنية أن الأنبياء (عليه السلام) أحيوا الموتى وأبرأوا الأكمه والأبرص ومشوا على الماء، فهذا يثبت قطعاً للأئمة أجمعين (عليهم السلام) لأنهم ورثة الأنبياء.

نماذج من ولاية الأئمة التكوينية: وهي أكثر من أن تحصى، ونذكر منها على سبيل المثال: ردُّ الشمس مرتين للإمام علي (عليه السلام)، وإحياءهم للموتى، وإبراءهم للمرضى، وتكليمهم للطير والبهائم، وإخراجهم لكنوز الأرض، وجعلهم الصورة أسداً، وطى الأرض لهم، وإطاعة الشجرة أمرهم، وتكليمهم للأرض... وغيرها كثير كثير، يُتعبُ إحصاؤه.^{٧٥٩}

^{٧٥٨}- بصائر الدرجات، ص ٢٩٠

^{٧٥٩}- راجع كتاب: مدينة المعاجر للسيد هاشم البحراني، وكتاب: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

شبهات وردود: أثيرت بعض الشبهات حول الولاية التكوينية للأئمة (عليهم

السلام)، سنعرض بعضها مع الإجابة عنها باختصار:

١. أليست الولاية التكوينية ضرباً من الشرك لأنها تنسب الإحياء والرزق وغيره

إلى غير الله؟ الجواب: نحن لا نثبت ذلك لهم بالاستقلال عن الله تعالى، بل

نقول إن الله أقدرهم على ذلك، وهم يفعلون ذلك بإذن الله وبأمرٍ منه تعالى.

٢. إذا كانت للحسين الولاية التكوينية، فلماذا لم يستخدمها في كربلاء؟

الجواب: كان يستطيع الإمام الحسين (عليه السلام) أن يخسف الأرض بأعدائه

بدعاءٍ واحدٍ، لكنه ما كان ليلبغ المقام الذي بلغه بشهادته. ويؤكد هذا ما رواه

الكليني في الكافي: "عن أبي جعفر عليه السلام قال: أنزل الله تعالى النصر

على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم خيّر:

النصر، أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى".^{٧٦٠}

٣. لماذا لا يدبر الله الأمر بنفسه فلا يشرك أحداً معه بتدبير أمر الكون؟

الجواب: ليس الله عاجزاً عن تدبير الكون بنفسه، ولا أن ذلك يكلفه جهداً،

لكن جرت سنة الله أن تجري الأمور بأسبابها، وقد جعل بعض المخلوقات سبباً

لبعض بأمرٍ منه، فتديبها إنما هو تديبه تعالى، كالملائكة التي تدبر الأمر بإذنه،

والتي وصفها القرآن الكريم بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^{٧٦١}.

^{٧٦٠}- ج ١، ص ٢٦٠

^{٧٦١}- سورة النازعات، آية ٥

الدرس الثالث والأربعون: وظائفنا اتجاه الأئمة (عليهم السلام)

إن للأئمة المعصومين (عليه السلام) حقوقاً على أتباعهم نصّت عليها رواياتهم. وأبرز هذه الحقوق هي:

١. معرفةتهم: وهي واجبة، والدليل على وجوبها الروايات التالية:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدك سادة في الدنيا وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل".^{٧٦٢}

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية".^{٧٦٣}

- الإمام عليّ (عليه السلام): "لا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه".^{٧٦٤}

- في الكافي عن أحد الأئمة (عليهم السلام): "لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة (عليهم السلام) كلهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويُسلم له، ثم قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول؟".^{٧٦٥}

^{٧٦٢}- أمالي الطوسي، ص ٧٥٥

^{٧٦٣}- الشيخ المفيد، الإفصاح، ص ٢٨

^{٧٦٤}- بصائر الدرجات، ص ٥١٧

- الإمام الباقر (عليه السلام): "إنما يعرفُ الله عز وجل ويعبدهُ من عرف الله وعرفَ إمامه منا أهل البيت، ومن لا يعرفُ الله عز وجل ولا يعرفُ الإمامَ منا أهل البيت، فإنما يعرفُ ويعبُدُ غيرَ الله، هكذا والله ضالاً".^{٧٦٦}

- عن زرارة، قلت لأبي جعفر (عليه السلام): "أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى الناس أجمعين رسولاً وحيَّةً لله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمَّد رسول الله واتَّبعه وصدَّقه، فإنَّ معرفة الإمام منَّا واجبة عليه...".^{٧٦٧}

٢. الإقرارُ بإمامتهم وولايتهم: وهو فرضٌ على كلِّ مسلمٍ، وشرطٌ لقبول أعماله:

- الإمام الصادق (عليه السلام): "إنَّ أولَ ما يُسأل عنه العبدُ إذا وقف بين يدي الله جلَّ جلاله الصلواتُ المفروضة، وعن الزكاة المفروضة، وعن الصيام المفروض، وعن الحجِّ المفروض، وعن ولايتنا أهل البيت، فإن أقرَّ بولايتنا ثم مات عليها قُبلتْ منه صلواته وصومُه وزكاته وحيَّه، وإن لم يُقرَّ بولايتنا بين يدي الله جلَّ جلاله لم يقبلِ اللهُ جلَّ وعزَّ شيئاً من أعماله".^{٧٦٨}

^{٧٦٥}- الكافي، ج ١، ص ١٨٠

^{٧٦٦}- الكافي، ج ١، ص ١٨١

^{٧٦٧}- الكافي، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١

^{٧٦٨}- أمالي الصدوق، ص ٣٢٨

- الإمام الصادق (عليه السلام): "من لم يتولَّنَّا لم يرفعِ اللهُ له عملاً".^{٧٦٩}
- الإمام الصادق (عليه السلام): "والله لو أن رجلاً صام النهارَ وقام الليلَ، ثم لقي اللهُ عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت لَلَّيَّه وهو عنه غير راضٍ".^{٧٧٠}
- عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لنا عليُّ بن الحسين عليهما السلام: "أيُّ البقاع أفضل؟ فقلنا: اللهُ ورسولُه وابنُ رسوله أعلم، فقال: أما أفضلُ البقاع ما بين الركنِ والمقام، ولو أن رجلاً عمَّر ما عمَّر نوحٌ عليه السلام في قومه - ألف سنة إلا خمسين عاماً - يصومُ النهارُ ويقومُ الليلُ في ذلك المكان، ثم لقي اللهُ عزَّ وجل بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً".^{٧٧١}

٣. التبري من أعدائهم: وهو مرتبطٌ بالتوليِّ ومتقدِّمٌ عليه، فلا تولى بلا تبرٍّ:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا علي والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، لو أن عبداً عبدَ الله تعالى ألفَ عامٍ، ما قَبِلَ اللهُ ذلك منه إلا بولايتك وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا تُقبلُ إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من وُلدك، بذلك أخبرني جبرئيل عليه السلام، فمن شاء فليؤمِّنْ ومن شاء فليكفر".^{٧٧٢}

^{٧٦٩}- الشيخ جواد بن عباس الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، ج ١، ص ٢١٠

^{٧٧٠}- الكافي، ج ٨، ص ١٠٧

^{٧٧١}- من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٤٥

^{٧٧٢}- أبو الفتح الكراچكي، كنز الفوائد، ص ١٨٥

- قيل للإمام الصادق (عليه السلام): "إن فلاناً يواليكم إلا إنه يضعفُ عن البراءة من عدوّكم، فقال: "هيهات، كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرأ من عدوّنا".^{٧٧٣}

- قال الشيخ الصدوق في كتاب "الاعتقادات": "واعتقادنا في البراءة أنّها واجبة من الأوثان الأربعة، ومن الأنداد الأربعة، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنّهم شرٌّ خلق الله، ولا يتمّ الإقرارُ بالله وبرسوله وبالأئمّة إلا بالبراءة من أعدائهم".^{٧٧٤}

٤. تفضيلهم على من سواهم من الناس: ولا عجب في ذلك، قال محمد (صلى الله عليه وآله) لا يقاس بهم أحدٌ من العالمين:

- الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: "لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحدٌ، ولا يُسوّى بهم من جرث نعمتهم عليه أبداً...".^{٧٧٥}

٥. مودّتهم: وهي واجبةٌ بنصّ القرآن الكريم والأحاديث الشريفة:

^{٧٧٣}- مستطرفات السرائر، ص ٦٤٠

^{٧٧٤}- ص ١٠٥

^{٧٧٥}- الخطبة الثانية، ج ١، ص ٢٧

- قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^{٧٧٦} والقربى هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله).

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَتَكُونَ عِترتي إليه أعزَّ من عِترته".^{٧٧٧}

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إن لكل بني أبي عصبه ينتمون إليها، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم، وأنا عصبتهم وهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ويلٌ للمكذّبين بفضليهم، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ".^{٧٧٨}

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيداً، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفوراً له...".^{٧٧٩}

٦. التسليم لهم وعدم الاعتراض عليهم: لأن الرادّ عليهم كالرادّ على الله، وهذا يوجبُه كوئُهم أعلمُ الناس بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وأكثرهم حكمة، وكوئُهم مع القرآن لا يفترقان حتى يوم القيامة، وكوئُهم معصومين من الذنوب ومطهرين من العيوب، ومن كان كذلك فلا يجوزُ الاعتراضُ عليه بقولٍ أو فعلٍ.

^{٧٧٦}- سورة الشورى، آية ٢٣

^{٧٧٧}- علل الشرائع، ج ١، ص ١٤٠

^{٧٧٨}- تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٦، ص ٣١٣

^{٧٧٩}- تفسير الرازي نقلاً عن صاحب "الكشاف"، ج ٢٧، ص ١٦٥

- رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أهل بيته (عليهم السلام): "لا تُعلموهم فإنهم أعلم منكم".^{٧٨٠}

- الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): "إن دين الله عز وجل لا يُصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يُصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هُدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم".^{٧٨١}

٧. إطاعتهم وامتثال أوامرهم ونواهيهم: وهذا يوجبه كونهم مفترضي الطاعة، لأنهم أولو الأمر الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.^{٧٨٢}

- عن أبي حمزة الثمالي قال: "سألت أبا جعفر عليه السلام: ما حقُّ الإمام على الناس؟ قال: حقه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا".^{٧٨٣}

٨. أخذ العلم منهم لا من غيرهم: فهم معدن العلم ومهبط الوحي وورثة الأنبياء، وعندهم علم ما كان وما يكون:

^{٧٨٠}- عيون أخبار الرضا (ع)، ج ١، ص ٢٠٨

^{٧٨١}- كمال الدين وتمام النعمة، ص ٣٢٤

^{٧٨٢}- سورة النساء، آية ٥٩

^{٧٨٣}- الكافي، ج ١، ص ٤٠٥

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا علي، أنا المدينة وأنت الباب، وهل تؤتى المدينة إلا من بابها؟".^{٧٨٤}

- الإمام الباقر (عليه السلام): "كلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل".^{٧٨٥}

- الإمام الباقر (عليه السلام) لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: "شَرِّفاً وغَرِّباً، فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت".^{٧٨٦}

- الإمام الباقر (عليه السلام) قاصداً الحسن البصري: "فليذهب الحسنُ يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلمُ إلا ها هنا".^{٧٨٧}

- الإمام الصادق (عليه السلام): "يا يونس، إذا أردت العلمَ الصحيحَ فخذ عن أهل البيت، فإننا روينا، وأوتينا شرحَ الحكمة، وفصلَ الخطاب، إن الله اصطفانا وآتانا ما لم يؤتِ أحداً من العالمين".^{٧٨٨}

٩. إحياء ذكركم: ويحصل ذلك بإقامة المجالس لذكركم، وتعريف الناس بهم، ونقل محاسن كلامهم إلى الناس:

^{٧٨٤}- القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٣٩٦

^{٧٨٥}- بصائر الدرجات، ص ٥٣١

^{٧٨٦}- الكافي، ج ١، ص ٣٩٩

^{٧٨٧}- جامع أحاديث الشيعة، ج ١، ص ١٧٠

^{٧٨٨}- بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٥٨

- الإمام الصادق (عليه السلام) للفضيل: "تجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إنَّ تلك المجالسَ أحبُّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا. يا فضيل، مَنْ ذكّرنا أو ذُكِرنا عنده فخرج من عينيه مثلُ جناحِ الذبابِ، غفر اللهُ له ذنوبه، ولو كانت أكثرَ من زبدِ البحر".^{٧٨٩}
- الإمام الصادق (عليه السلام): "رحم الله عبداً حببنا إلى الناس، ولم يبغضنا إليهم".^{٧٩٠}

٧٨٩- مستطرفات السرائر، ص ٢٢٩

٧٩٠- الكافي، ج ٨، ص ٢٢٩

الدرس الرابع والأربعون: (الشيعة، وبعضُ الافتراءات عليهم)

معنى الشيعة: الشيعة في اللغة بمعنى الأتباع والأنصار. والمشايعة بمعنى المتابعة والمطاوعة. وشيعة الرجل هم أتباعه وأنصاره.^{٧٩١} قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾^{٧٩٢} أي من أنصاره وأتباعه.

أما في الاصطلاح فتطلق لفظة الشيعة على من اتبعوا وناصروا أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة الأحد عشر من ولده بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله).

تاريخ نشأة الشيعة: من الثابت تاريخياً أن الشيعة نشأت في حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك أن هذا الاسم كان يُطلقُ بدايةً على سلمان وعمار وأبي ذر والمقداد الذين كانوا يلازمون علياً (عليه السلام) حتى صاروا يُدعون بـ "شيعة علي"، ثم توسّع فيما بعد ليشمل كلَّ من والى علياً (عليه السلام) في مقابل مَنْ والى غيره.

من سمى الشيعة بهذا الاسم؟ أوّل من أطلق اسم الشيعة على أتباع علي (عليه السلام) هو النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك وراثةً عندنا وعند العامة في أحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها كلّها، لذلك نذكرُ بعضاً منها من كتب العامة، وبعضاً منها من كتب الشيعة:

أولاً: من كتب العامة:

^{٧٩١}- أنظر: لسان العرب، فعل: شيع

^{٧٩٢}- سورة القصص، آية ٥

- في " الدر المنثور " لجلال الدين السيوطي: " عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل علي فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^{٧٩٣} فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية".^{٧٩٤}

- في " شواهد التنزيل " للحاكم الحسكاني: " عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. قال علي: يا رسول الله، ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قال: رحم الله علياً يرحمه الله".^{٧٩٥}

- في " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنت وشيعتك في الجنة".^{٧٩٦} وفي الكتاب نفسه عن أم سلمة قالت: " كانت ليبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتته فاطمةٌ ومعها عليٌّ، فقال له

٧٩٣- سورة البينة، آية ٧

٧٩٤- ج ٦، ص ٣٧٩

٧٩٥- ج ٦، ص ٣٧٩

٧٩٦- ج ١٢، ص ٢٨٤

النبى صلى الله عليه وسلم: أنت وأصحابك فى الجنة، أنت وشيعتك فى الجنة".^{٧٩٧}

ثانياً: من كتب الشيعة:

- فى "إرشاد القلوب" للدليمى: "يا على، تخرج أنت وشيعتك من قبوركم، ووجوهكم كالقمر ليلة البدر، وقد فرجت عنكم الشدائد، وذهبت عنكم الأحزان، تستظلون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون، وتوضع لكم مائدة، والناس فى المحاسبة".^{٧٩٨}

- فى "فضائل الشيعة" للشيخ الصدوق: "يا على، أنت وشيعتك على الحوض، تسقون من أحببتهم، وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفرع الأكبر فى ظل العرش، يفرع الناس ولا تفرعون، ويحزن الناس ولا تحزنون".^{٧٩٩}

- فى "كفاية الأثر" للحزاز القمى: "يا على شيعتك المنتجبون، ولولا أنت وشيعتك ما قام دين الله".^{٨٠٠}

أقوال المخالفين فى تاريخ الشيعة: حاول كثير من الكُتاب الحاقدين أن يشوهوا تاريخ الشيعة بإثباتهم أنها فرقة مستحدثة لم تكن أيام النبى (صلى الله عليه وآله)،

^{٧٩٧}- ج ١٢، ص ٣٥٣

^{٧٩٨}- ج ٢، ص ٢٩٣

^{٧٩٩}- ص ١٦

^{٨٠٠}- ص ١٨٥

فذهب بعضهم إلى أنها وُلدت بعد حرب صفين، وذهب آخرون إلى أنها ولدت بعد واقعة كربلاء، وقال بعضٌ أنها ولدت أيام الدولة الصفوية! وبعضهم قال أنها ولدت أيام الدولة البويهية! ونسب البعضُ نشأة التشيع إلى عبد الله بن سبأ اليهودي!^{٨٠١}

تسمية الشيعة بالرافضة: يُعَيَّر أهلُ الخِلافِ الشيعةَ باسم "الرافضة" لرفضهم خلافة الشيخين، وهذا اللقب من الألقاب التي يُفتخر بها، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سُمِّي الرَّافِضَةَ السَّحَرَةُ الَّذِينَ لَمَّا شَاهَدُوا آيَةَ مُوسَى فِي عَصَاهُ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ وَرَفَضُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ، وَاسْتَسَلَمُوا لِكُلِّ مَا نَزَلَ بِهِمْ، فَسَمَاهُمْ فِرْعَوْنُ الرَّافِضَةَ لَمَّا رَفَضُوا دِينَهُ".^{٨٠٢}

افتراءات على الشيعة من قبل المخالفين: تعرّضت الشيعةُ عبر تاريخها الطويل إلى الكثير من الافتراءات والتهم الباطلة من كتاب أهل الخِلافِ المعارضين الذين سَعَوْا إلى تقويض المذهب الشيعي بكلِّ ما أوتوا من قوّة، فلما عجزوا عن طريق الدليل والبيّنة، عمدوا إلى الافتراء والكذب؛ فألصقوا بالشيعةُ ثمماً عجيباً غريباً ليس بينها وبين الواقع أيُّ صلة.

وسنعرضُ نموذجاً من افتراءاتهم الوقحة، نأخذها من كتاب "كذبوا على الشيعة" للسيد محمد الرضي الرضوي، ونوردها دون الردِّ عليها لسخافتها. ومن أحب

^{٨٠١}- أنظر: السيد طالب الخرسان، نشأة التشيع، الفصل الثاني، ص ٣٥

^{٨٠٢}- تفسير الإمام العسكري، المنسوب للإمام العسكري (ع)، ص ٣١١

أن يطَّلِعَ على الردِّ عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور، فقد تكفَّل صاحبه، مأجوراً، بالردِّ عليها. وهذه بعض الافتراءات:

- قال الكاتب السعودي الحبيث إبراهيم الجبهان في كتابه "تبيد الظلام": "إن نكاح الأم عندهم (أي الشيعة) هو من البر بالوالدين، وإنه عندهم من أعظم القربات".

- وقال: "يزعمون (أي الشيعة) أن الله أمره (أي جبرئيل الأمين) بأن يبلغ رسالة الإسلام إلى علي، فخالف أمر الله وأبلغها إلى محمد صلى الله عليه وسلم. ولتغطية هذه الزندقات أنشأوا دار التقريب في القاهرة..."

- وقال: "وهي (أي المتعة) أنواع، ومنها المتعة (الدورية) وهي أن يشترك جماعة في امرأة واحدة يتفقون معها فيما بينهم على أن تكون لكل واحد منهم ليلة معينة، تماماً كما تفعل الحيوانات، ولهذا تراهم كالحوانات تسمع لكل ناعق، وتتبع كل مارق، وتفيض قلوبهم غلاً وحقداً على الإسلام والمسلمين. والمتمتع بها عندهم ليست عليها عدة ولا طلاق وليس لها إرث ولا نفقة ولا كسوة، ولا يحتاج المتمتع بها إلى عقد ولا أشهاد، ولا تستطيع المرأة إلحاق حملها بأحد من المتمتعين بها فينشأ طفلها مشرداً بلا ولي، فلا تلبث أن تتلقفه الذئاب البشرية، فأى شيء هو الزنا إذا لم يكن هذا؟"

- وقال: "كل من يولد في أيام عاشوراء فهو سيد، وكل من حملت به أمه في أيام عاشوراء فهو سيد، حتى لو كان حملاً غير شرعي، وكل من مات من إحدى الحماقات العاشورية فهو سيد، وترث ذريته هذا اللقب الكاذب من بعده..."
- وقال: ويقولون إن لدى الأئمة (الصحيفة الكاملة) وهي التي يسمونها زبور آل محمد وإنجيل أهل البيت، وهي معتبرة عندهم بمنزلة القرآن، وربما قالوا إنها أفضل من القرآن.
- وقال ابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث" أن الشيعة يفسرون قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبِحُوا بِقَرَّةٍ﴾^{٨٠٣} إنها عائشة رضي الله عنها... وقوله تعالى ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعُضِّهَا﴾^{٨٠٤} إنه طلحة والزبير، وقولهم في آية الخمر والميسر إنهما أبو بكر وعمر، وفي آية الجبت والطاغوت إنهما معاوية وعمرو بن العاص!
- وقال عبد الرحمن الشرقاوي في مقال نشره في جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١٩٧٨/٨/٤: "ومنهم (أي من الشيعة) جماعة تعتقد أن علي بن أبي طالب لم يمت ولكنه رفع إلى السماء كعيسى بن مريم!"

^{٨٠٣}- سورة البقرة، آية ٦٧

^{٨٠٤}- سورة البقرة، آية ٧٣

والباحثُ عن مثل هذه التّرهات يجد منها الكثير الكثير في طيات الكتب الحاقدة، وإليك هذه المضحكات من كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وهو يقارن بين اليهود والرافضة:

- "الرافضة يهود هذه الأمة، يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية.
- اليهودُ لا ترى على النساءِ عدَّةً وكذلك الرافضة.
- اليهودُ تستحلُّ دَمَ كلِّ مسلمٍ وكذلك الرافضة.
- اليهودُ تبغضُ جبرئيلَ وتقول: هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضةُ تقول: غلطُ جبرئيلُ في الوحي إلى محمدٍ بترك علي بن أبي طالب.
- اليهودُ لا يخلصونَ السلامَ على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم (السام: الموت) وكذلك الرافضة.
- اليهودُ لا يرون المسحَ على الخفين وكذلك الرافضة.
- اليهودُ يستحلّونَ أموالَ الناسِ كلّهم وكذلك الرافضة.
- اليهودُ تسجدُ على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة.
- اليهودُ لا تسجدُ حتى تخفقَ برؤوسها مراراً تشبيهاً بالركوع وكذلك الرافضة.
- اليهود يرون غشَّ الناسِ وكذلك الرافضة...".^{٨٠٥}

^{٨٠٥}- الغدير، ج ٣، ص ٧٨ وما بعدها، نقلاً عن العقد الفريد.

طبعاً، لا تعليق!

وكذلك الأمر بالنسبة للحاقد ابن تيمية في كتابه "منهاج السنة"، فقد ألقى بالشيعية تُهماً ما أنزل الله بها من سلطان. وهذا نموذج منها:

- "من حماقات الشيعة أنهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة، أو فعلٍ شيءٍ يكون عشرة، حتى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة، ولا بعشرة جذوع، ونحو ذلك، لبغضهم العشرة المبشرة إلا علي بن أبي طالب. ومن العجب أنهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة".

- "ومن حماقاتهم: اتخاذهم نعجةً، وقد تكون نعجةً حمراء لكون عائشة تسمى حميراً، يجعلونها عائشةً، ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك، ويرون أن ذلك عقوبة لعائشة".

- "تجد الرافضة يُعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يُصلون فيها جمعةً ولا جماعةً".^{٨٠٦}

هذا كان نموذجاً صغيراً من نُهمٍ لا تُعدُّ ولا تُحصى، تعجُّ بها كتبُ الحاقدين على الشيعة الإمامية، ويريدون بها إطفاء نورِ الفرقة الناجية بأفواههم، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^{٨٠٧}.

^{٨٠٦}- الغدير، ج ٣، ص ٣٠٧ وما بعدها، نقلاً عن منهاج السنة.

^{٨٠٧}- سورة التوبة، آية ٣٢

الدرس الخامس والأربعون: (صفات الشيعة)

صفات الشيعة: جمع الشيخ الصدوق كتاباً سماه "صفات الشيعة" حشد فيه الروايات التي تصف شيعة أهل البيت (عليهم السلام) وتبين سماتهم. والمفيد في هذه الروايات أنها تضع للشيعة صفات محددة، تُخرِّج منهم كلَّ من لا يتحلَّى بها. والذي يطلع على هذه الروايات يجد أن أهمَّ سمةٍ من سمات الشيعة هي التقوى والورع عن محارم الله، وكفى بهذه الروايات دليلاً:

- رُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَمْرَاءَ فَأَمَّ الْجَبَانَةَ وَحَقَّهُ جَمَاعَةٌ يَقْفُونَ أَثَرَهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: شِيعَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَتَفَرَّسَ فِي وُجُوهِهِمْ ثُمَّ قَالَ: فَمَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكُمْ سِيمَاءَ الشَّيْعَةِ؟ قَالُوا: وَمَا سِيمَاءُ الشَّيْعَةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: صُنْفُرُ الْوُجُوهِ مِنَ السَّهْرِ، عُمَشُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، حُدْبُ الظُّهُورِ مِنَ الْقِيَامِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبْلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدَّعَاءِ، عَلَيْهِمْ غَبْرَةٌ الْخَاشِعِينَ.

٨٠٨

- الإمام الباقر (عليه السلام): "يا جابر، ليس من انتحل التشيع وحبنا أهل البيت بلسانه كان من شيعتنا، فلا تذهبنَّ بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه. إن شيعتنا لا يطمعون طمع الغراب، ولا يهرون

هرير الكلاب، وإن شيعتنا أهل التواضع والتخشع والتعبد والورع والاجتهاد
وتعهد الأخوان ومواصلة الجيران والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام
والغارمين وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلية الأرحام وتلاوة القرآن وكثرة
الذكر لله تعالى وكفّ الألسن إلا من خير".^{٨٠٩}

— الإمام الباقر (عليه السلام): "يَا أَبَا الْمَقْدَامِ؛ إِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيِّ الشَّاحِبُونَ
النَّاحِلُونَ الذَّابِلُونَ. ذَابِلَةٌ شِفَاهُهُمْ، حَمِيصَةٌ بُطُونُهُمْ، مُتَغَيِّرَةٌ أَلْوَانُهُمْ،
مُصْفَرَّةٌ وُجُوهُهُمْ، إِذَا جَنَّتْهُمُ اللَّيْلُ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ فِرَاشًا، وَاسْتَقْبَلُوا الْأَرْضَ
بِحَبَاهِهِمْ، كَثِيرٌ سُجُودُهُمْ، كَثِيرَةٌ دُمُوعُهُمْ، كَثِيرٌ دُعَاؤُهُمْ، كَثِيرٌ بُكَاءُهُمْ،
يَفْرَحُ النَّاسُ وَهُمْ يَحْزَنُونَ".^{٨١٠}

— الإمام الصادق (عليه السلام): "شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء
والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم
واللييلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحجون البيت
ويجتنبون كلَّ محرم".^{٨١١}

^{٨٠٩}- الحسن الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ١٤٣

^{٨١٠}- الخصال، ص ٤٤٤

^{٨١١}- الشيخ الصدوق، صفات الشيعة، ص ٣

- الإمام الصادق (عليه السلام): "ليس منا - ولا كرامة - من كان في مصرٍ فيه مائة ألفٍ أو يزيدون، وكان في ذلك المصرِ أحدٌ أوعُ منه".^{٨١٢}

- الإمام الصادق (عليه السلام): "ليس من شيعتنا من لا تتحدّث المُخدّرات بورعه في خُدورهنّ...".^{٨١٣}

- الإمام الصادق (عليه السلام): "امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيفُ محافظتهمُ عليها، وعند أسرارهم كيفُ حفظهمُ لها عند عدوّنا، وإلى أموالهم كيفُ مواساتهمُ لإخوانهم فيها".^{٨١٤}

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنّ شيعتنا من شيعنا، واتبع آثارنا، واقتدى بأعمالنا".^{٨١٥}

مدعو التشيع: ليس كلُّ من قال عن نفسه أنه شيعي صار شيعياً، فالشيعي الحقيقي هو الذي اتبع آثار أئمة واقتهى بأعمالهم. وقد ادّعى التشيع كثيرٌ من الناس؛ فعن الإمام الباقر (عليه السلام): "الشيعية ثلاثة أصناف: صنفٌ يتزيّنون بنا، وصنفٌ يستأكلون بنا، وصنفٌ منا وإلينا".^{٨١٦}

^{٨١٢}- الكافي، ج ٢، ص ٧٨

^{٨١٣}- الكافي، ج ٢، ص ٧٩

^{٨١٤}- الخصال، ص ١٠٣

^{٨١٥}- تفسير الإمام العسكري (ع)، ص ٣٠٧

^{٨١٦}- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص ١٢٧

وإدعاء التشيع أمرٌ عظيم، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): "إنَّ ممَّن
ينتحل هذا الأمر لمن هو شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين
أشركوا".^{٨١٧}

الشيعة يختلفون عن الموالين والمحبين: ويؤكد ذلك رواياتٌ كثيرة، نذكر منها
روايتين:

- قال رجلٌ للإمام الحسن (عليه السلام): إني من شيعتكم. فقال (عليه السلام)
له: "يا عبدَ الله، إن كنتَ لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن
كنتَ بخلاف ذلك فلا تزُدْ في ذنوبك بدعواك مرتبةً شريفةً لستَ من
أهلها، لا تقلُ أنا من شيعتكم، ولكن قلْ أنا من مُواليكم ومحبيكم ومعادي
أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خير".^{٨١٨}

- قال رجلٌ للإمام الرضا (عليه السلام): أنا من شيعتكم الخُلص؟ فقال:
ويحك، أتدري مَنْ شيعتنا الخُلص؟ قال: لا، قال: فإنَّ شيعتنا الخُلص
حزبيلُ المؤمنِ مؤمنُ آلِ فرعون، وصاحبُ يس الذي قال الله تعالى:
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^{٨١٩}، وسلمانُ وأبو ذر والمقدادُ
وعُمارة، سوّيت نفسك بهؤلاء، أما آذيت بهذا الملائكة وآذيتنا؟ فقال

^{٨١٧}- بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٦٦

^{٨١٨}- ورام بن أبي فراس المالكي، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ج ٢، ص ٤٢٥

^{٨١٩}- سورة يس، آية ٢٠

الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه، فكيف أقول؟ قال (عليه السلام): قل: أنا من مواليك ومحبيك ومعادي أعدائك، وموالي أوليائك...^{٨٢٠}

بعض وصايا الأئمة للشيعة:

- الإمام الصادق (عليه السلام): "يا معشرَ الشيعة، إنكم قد نُسبتم إلينا، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، ما يمنعكم أن تكونوا مثل أصحابِ علي - رضوان الله عليه - في الناس، وإن كانَ الرجلُ منهم ليكونُ في القبيلة فيكونُ إمامهم ومؤدّتهم، وصاحبَ أماناتهم وودائعهم، عودوا مرضاهم واشهدوا جنازتهم، صلّوا في مساجدهم، ولا يسبقوكم إلى خير، فأنتم والله أحقُّ منهم به".^{٨٢١}

- الإمام الصادق (عليه السلام): "رحمَ اللهُ عبداً حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسنَ كلامنا لكانوا به أعزَّ، وما استطاع أحدٌ أن يتعلّقَ عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمعُ الكلمةَ فيحطّ إليها عشراً".^{٨٢٢}

- الإمام الصادق (عليه السلام): "معاشرَ الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، احفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضولِ وقبيح القول".^{٨٢٣}

^{٨٢٠}- بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٦٠

^{٨٢١}- مشكاة الأنوار، ص ١٣٤

^{٨٢٣}- الكافي، ج ٨، ص ٢٢٩

- الإمام الهادي (عليه السلام) لشيئته: "أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمدٌ صلى الله عليه وآله.

صلّوا في عشائهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعيٌّ فيسرني ذلك.

اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودة، وادفعوا عنا كلّ قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسنٍ فنحن أهلّه، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله، وقراءة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدعيه أحدٌ غيرنا إلا كذاب.

أكثرُوا ذكرَ الله وذكرَ الموتِ وتلاوةَ القرآنِ والصلاةِ على النبي صلى الله عليه وآله، فإن الصلاةَ على رسولِ الله عشرَ حسنات.

احفظوا ما وصيتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام".^{٨٢٤}

^{٨٢٣}- أمالي الصدوق، ص ٤٨٤

^{٨٢٤}- ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ص ٤٨٧

الدرس السادس والأربعون: (فقهيات بين الشيعة وأهل الخلاف)

الاختلاف بين الشيعة وأهل الخلاف غير مقتصر على العقائد والأصول فحسب، إنما يختلفون في كثير من المسائل الفقهية أيضاً. وسنعرض في هذا الدرس بعض المسائل الفقهية الخلافية بينهما:

المتعة (الزواج المنقطع): وهي جائزة، بل مستحبة عند الشيعة، حرام عند أهل الخلاف. والآية القرآنية التي أجازت المتعة هي ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^{٨٢٥} فالأغلبية الساحقة من المفسرين يعتبرون هذه الآية مرتبطة بالزواج المؤقت.^{٨٢٦}

والمتعة سنة نبوية فعلها المسلمون في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) وعهد أبي بكر وشطر من عهد عمر، ثم صدرت الفتوى العمرية الشهيرة بتحريمها! تحريم عمر للمتعة: يعترف أهل الخلاف أن عمر بن الخطاب هو الذي حرّم المتعة، وقد رَوَوْا في ذلك رواياتٍ عديدةً، نذكر منها ما يلي:

- روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: "كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث".^{٨٢٧}

^{٨٢٥}- سورة النساء، آية ٢٤

^{٨٢٦}- العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، ص ٣٤٥

^{٨٢٧}- صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١

- وروى أيضاً عن أبي نضرة قال: "كنتُ عند جابر بن عبد الله، فأتاه آتٍ فقال: ابنُ عباس وابنُ الزبير اختلفا في المتعتين. فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نهانا عنهما عمرٌ، فلم نُعدْ لهما".^{٨٢٨}
- روى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: "نزلت آيةُ المتعة في كتابِ الله، ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينزلُ قرآنٌ يحرّمُه، ولم يَنهَ عنها، حتى مات قال رجلٌ برأيه ما شاء". قال محمد (أي البخاري) يقال إنه عمر.^{٨٢٩}
- عن جابر، وأبو سعيد الخدري، قالوا: "تمتعنا إلى نصف من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، حتى نهى عمرُ الناسَ عنها في شأنِ عمرو بن حريث".^{٨٣٠}
- واستفاض عن عمر قوله: "تمتعان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحجّ ومتعة النساء".^{٨٣١}
- وقوله وهو على المنبر: "يا أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرمتنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحجّ، وحيي على خير العمل".^{٨٣٢}

^{٨٢٨}- صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١

^{٨٢٩}- صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٥٨

^{٨٣٠}- العيني، عمدة القاري، ج ١٧، ص ٢٤٦

^{٨٣١}- ابن عبد البر، التمهيد، ج ٨، ص ٣٥٥، الجصاص، أحكام القرآن، ج ١، ص ٣٥٢

الردُّ على عمر في تحريمه المتعة: إذا كانت المتعة حلالاً زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، فبأيِّ حقِّ يُجرِّمها عمر؟! نعم، ليس لعمر ولا لغيره ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وِرْسُولَهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^{٨٣٣}.

ومن جميلِ المواقف من تحريم عمر للمتعة، موقفُ ابنه عبد الله وابن عباس:

- موقف عبد الله بن عمر: قيل لعبد الله بن عمر (وكان يخالف أباه في متعة الحج): "إن أباك كان ينهى عنها. فقال: خشيتُ أن يقع عليكم حجارةٌ من السماء! قد فعلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، أفسنهُ رسولٌ تُتبع أم سنهُ عمر بن الخطاب؟!".^{٨٣٤}

- موقف ابن عباس: قال عروة لابن عباس: "ألا تتقي الله ترخصُ في المتعة؟ فقال ابنُ عباس: سلْ أُمَّكَ يا عُرَيَّة؟ فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلم يفعلوا. فقال ابنُ عباس: والله ما أراكم منتهينَ حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النبيِّ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر".^{٨٣٥}

استحباب المتعة عند الشيعة: المتعة عند الشيعة مستحبةٌ لأنها إحياءٌ لسنةِ أماتها الناس. وقد ورد في استحبابها أحاديثٌ كثيرة، منها:

^{٨٣٣}- الغدير، ج ٦، ص ٢٣٨ نقلاً عن شرح التجرید للقوشجي.

^{٨٣٤}- سورة الأحزاب، آية ٣٦

^{٨٣٤}- ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٧٨

^{٨٣٥}- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ١٩٦

- عن محمد ابن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال لي: "تمتعت؟ قلت: لا، قال: لا تخرج من الدنيا حتى تحيي السنة".^{٨٣٦}
- عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "يُستحبُّ للرجل أن يتزوج المتعة، وما أحبُّ للرجل منكم أن يخرج من الدنيا حتى يتزوج المتعة ولو مرة".^{٨٣٧}
- عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: "تمتعت منذ خرجت من أهلك؟ قلت: لكثرة من معي من الطروقة أغناني الله عنها. قال: وإن كنت مستغنياً، فإني أحبُّ أن تحيي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".^{٨٣٨}
- عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: "يا أبا محمد، تمتعت منذ خرجت من أهلك بشيء من النساء؟ قال: لا، قال: ولم؟ قلت: ما معي من النفقة يقصر عن ذلك، قال: فأمر لي بدينار وقال: أقسمت عليك إن صرت إلى منزلِك حتى تفعل، قال: ففعلت".^{٨٣٩}
- عاقبة تحريم المتعة: ورد اللعن من الإمام علي (عليه السلام) في شأن من حرّم المتعة لأنه كان فيها للناس غناء عن الزنا.

^{٨٣٦}- الشيخ المفيد، خلاصة الإيجاز، ص ٤١

^{٨٣٧}- الشيخ المفيد، رسالة المتعة، ص ٧

^{٨٣٨}- المصدر السابق، ص ٧

^{٨٣٩}- المصدر السابق، ص ٧

- الإمام علي (عليه السلام): "لعن الله ابن الخطاب فلولاه ما زنى إلا شقيّ أو شقية، لأنه كان يكون للمسلمين غناء في المتعة عن الزنا".^{٨٤٠}

- الإمام علي (عليه السلام): "لولا أنّ عمرَ نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي".^{٨٤١}

المسحُ على الرجلين في الوضوء: وهو مذهب الشيعة. أما أهلُ الخلاف فيغسلون الرجلين بدل المسح عليهما، على الرغم من أنّهم رووا في كتبهم عشرات الروايات تصرّح أن الصحيح هو المسحُ لا الغسل! ونكتفي بإيراد هذه الروايات من كتبهم المعتبرة:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنّه لا تتمُّ صلاةٌ لأحدٍ حتى يسبغَ الوضوء كما أمره الله تعالى؛ يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين".^{٨٤٢}

- عن ابن عباس، قال: "أبى الناسُ إلا الغسلَ، ولا أجد في كتاب الله إلا المسحَ".^{٨٤٣}

^{٨٤٠}- بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣١

^{٨٤١}- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٨٦، الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤٠، تفسير الرازي، ج ١٠، ص ٥٠

^{٨٤٢}- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٥٦

^{٨٤٣}- الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٦٢، ابن أبي الزمنين، تفسير ابن زمنين، ج ٢، ص ١١، الألويسي، تفسير الألويسي، ج ٦، ص ٧٧، ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف، ج ١، ص ٣٢

- عن ابن عباس أيضاً: "الوضوء غسلتان ومسحتان".^{٨٤٤}

وفي كتاب الله تصريحٌ جليٌّ بالمسح لا الغسل؛ قال تعالى: ﴿بِأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.^{٨٤٥} وقد فُرات كلمة أرجلكم في الآية بالكسر (وَأَرْجُلِكُمْ)، وعلى كلا الحالين فإنها تفيد المسح لا الغسل.^{٨٤٦}

من هنا ذهب طائفة من أهل الخلاف إلى وجوب المسح، وطائفة أخرى بالتخيير بين المسح والغسل، وطائفة ثالثة بوجوب الجمع بينهما! وفي هذا خلاف واضح لكتاب الله الذي أمر بالمسح لا غير.^{٨٤٧}

ونختم الكلام في هذا الموضوع بهذه الرواية: عن محمد بن مروان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: "إنه يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة. قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه".^{٨٤٨}

^{٨٤٤}- كنز العمال، ج ٩، ص ٤٣٣، جامع البيان، ج ٦، ص ١٧٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٩٢، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٦٢

^{٨٤٥}- سورة المائدة، آية ٦

^{٨٤٦}- راجع: السيد علي الميلاني، المسح على الرجلين في الوضوء، ص ١١ - ٢٤، والشيخ جعفر السبحاني، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، ج ١، ص ١٨

^{٨٤٧}- انظر: تفسير الرازي، ج ١١، ص ١٦١

^{٨٤٨}- الشيخ الطوسي، الخلاف، ج ١، ص ٩٢

الجمع بين الصلاتين: وهو جائز عند الشيعة، وإن كان التفريق بينهما أفضل. أما أهل الخلاف فلا يجيزون ذلك إلا في السفر أو في عرفة أو للمريض أو في المطر. والغريب أنهم يروون في صحاحهم كثيراً من الروايات أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يجمع بين الصلاتين دون موجب. وهذه بعضُها:

- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "جمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء بالمدينة، من غيرِ خوفٍ ولا مطر. قال: فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يحرَجَ أمته".^{٨٤٩}

- عن ابن عباس: "إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً، الظهر والعصر، والمغرب والعشاء".^{٨٥٠}

- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: "صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرَجَ أمته".^{٨٥١}

- عن ابن عباس: "كنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".^{٨٥٢}

^{٨٤٩}- سنن الترمذي، ج ١، ص ١٢١

^{٨٥٠}- صحيح البخاري، ج ١، ص ١٣٧

^{٨٥١}- مسند أحمد، ج ١، ص ٣٤٩

فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله كان يجمع بين الصلاتين دون موجبٍ

كي لا يخرج أُمَّتَه، فلماذا لا يجيزُ أهل الخلاف فعلَ ذلك؟! هل من مجيب؟!!

السجود على التربة: اتفق المسلمون في مسألة السجود على المسجود له وهو ربُّ

العالمين عز وجل الذي لا يجوز السجود إلا له، لكنهم اختلفوا في المسجود عليه.

وهذا رأي كلِّ من الفريقين:

أولاً: رأي الشيعة: تُجمَع الشيعة على أنه لا يجوز السجود إلا على الأرض، أو ما

أنبتته الأرض ممَّا لا يؤكَل ولا يُلبَس، من قطنٍ أو كتان، مع الاختيار. وهذه الرواية

تؤكِّد ذلك، وتبيِّن علته:

عن هشام بن الحكم أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام: "أخبرني عمَّا يجوز

السجود عليه، وعمَّا لا يجوز؟ قال: السجودُ لا يجوز إلا على الأرض، أو على

ما أنبتت الأرض، إلا ما أُكِل أو لبس. فقال له: جعلت فداك، ما العلةُ في

ذلك؟ قال: لأنَّ السجودَ خضوعٌ لله عزَّ وجلَّ، فلا ينبغي أن يكونَ على ما يؤكَل

ويُلبَس، لأنَّ أبناءَ الدنيا عبيدٌ ما يأكلون ويلبسون، والساجدُ في سجوده، في

عبادة الله عزَّ وجلَّ، فلا ينبغي أن يضعَ جبهته في سجوده على معبودٍ أبناءِ

الدنيا الذين اغتروا بغرورها".^{٨٥٣}

^{٨٥٢} - أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، ج ٣، ص ١٦٨

^{٨٥٣} - علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٤١

ثانياً: رأي أهل الخلاف: أجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك، على الرغم من أنهم رووا أحاديث كثيرة في عدم جواز السجود على ما يؤكل أو ما يلبس، كالثوب وطرف العمامة، إلا في حال الاضطرار. وهذه بعض الروايات من كتبهم:

- عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: "كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، وآخذ بيدي قبضة من حصي، فأجعلها في يدي الأخرى حتى تبرد، ثم أسجدُ عليها من شدة الحر".^{٨٥٤}

- عن بن وهب: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسجدُ إلى جنبه، وقد اعتمَّ على جبهته، فحسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبهته".^{٨٥٥}

- عن علي (عليه السلام) قال: "إذا كان أحدكم يصلي فليحسر العمامة عن جبهته".^{٨٥٦}

هل السجود على التربة بدعة؟ كثيراً ما اتهمنا الحاقدون من المخالفين بتهم نحن منها براء. ومن جملة هذه التهم أننا نعبد الحجر ونسجد له كما يسجد الوثنيون لأصنامهم! ذلك أننا نسجد على التربة، أو ما يُسمى بقرص الصلاة.

^{٨٥٤}- مسند أحمد، ج ٣، ص ٣٢٧

^{٨٥٥}- الإمام مالك، المدونة الكبرى، ج ١، ص ٧٣

^{٨٥٦}- كنز العمال، ج ٨، ص ١٣١

الرّد: إذا ثبت أن السجودَ يجب أن يكونَ على الأرض أو ما أنبتت مما لا يؤكل ولا يُلبس، فيكون التراب مما يجب السجودُ عليه. وبما أن الروايات نصّت على أن يكونَ موضعُ السجودِ طاهراً بعيداً عن القاذورات، فإنه من الأفضل للمؤمن أن يُحرزَ ذلك ويطمئنَّ إلى طهارة موضع سجوده، فلا ضيرَ عندئذٍ من الاحتفاظ بشيء من التراب الطاهر لهذه الغاية. وهذا ليس بدعاً من الفعل، فهذا التابعي الفقيه مسروق بن الأجدع (المتوفى عام ٦٢ هـ) كان يصحب في أسفاره لبنَةً من المدينة يسجد عليها.

٨٥٧

أما قولهم بأننا نعبُدُ الحجر بسجودنا عليه، فهذا مضحكٌ للشكلى، إذ لم يُفرّق الحاقدون بين المسجودِ له والمسجودِ عليه. إننا لا نعبُدُ القرص إذا صلينا عليه، بل نعبد الله الواحدَ القهار الذي لا إله غيره، وليس سجودنا على القرص إلا للسبب الذي بيّناه آنفاً.

السجود على التربة الحسينية: وهو مستحبٌّ عند الشيعة لما لهذه التربة من فضل، واقتداءً بالأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا يسجدون على هذه التربة المباركة، ويحتنون شيعتهم على السجودِ عليها. عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "من أدار سبحةً من تربة الحسين (عليه السلام) مرةً واحدةً بالاستغفار أو غيره، كتب الله له سبعين مرة، وإن السجود عليها يخرق الحجب السبع".^{٨٥٨}

^{٨٥٧}- انظر: مصنف بن أبي شيبة، ج ٢، ص ١٧٢

^{٨٥٨}- وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٤٥٦

الدرس السابع والأربعون: (الشيعة هي الفرقة الناجية)

روى المسلمون حديثاً صحيحاً متفقاً عليه عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النارِ إلا فرقةً واحدةً".^{٨٥٩} وهذا الحديث يحتم على كل فرقة إسلامية أن تسعى لمعرفة من هي هذه الفرقة الناجية حتى لا يذهب عملها هباءً منثوراً.

وقد ثبت عند الشيعة وأهل الخلاف أن غيرهم من الفرق الإسلامية ليس بناجٍ، فتعيّن أن تكون الفرقة الناجية واحدةً منهما.

وسنحاول في هذا الدرس إثبات أن الشيعة هم الفرقة الناجية دون غيرهم، مستندين في ذلك على كثيرٍ من الأدلة القاطعة، نذكر منها أربعة عشر دليلاً تبرهنه بعدد المعصومين (ع)، مأخوذةً من كتاب "مسائل خلافية حار فيها أهل السنة" للشيخ علي آل محسن، مع بعض التعديلات؛ زيادةً ونقصاناً. أما الأدلة فهي:

١. اتفق المسلمون جميعاً على حديث الثقلين، وقد ورد هذا الحديث بصيغٍ عديدة، منها: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني

^{٨٥٩}- رُوي هذا الحديث بطرقٍ عديدة، وباختلافات يسيرة، ورواه عددٌ كبيرٌ من أهل العامة كالترمذي وأبي داود وابن ماجة وأحمد والحاكم والهيثمي وابن حجر والذهبي والسيوطي... راجع: الإنصاف في مسائل حار فيها أهل الخلاف، ص ٢٣٧

فيهما".^{٨٦٠} وبموجب هذا الحديث يأمر النبي بالتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) بعد القرآن للنجاة من الضلال، ولم يتمسك بهم إلا فرقة واحدة هي الشيعة، فتعيّن أن تكون هي الفرقة الناجية.

٢. اتفق المسلمون على أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) التي تنص بالخلافة بعده لاثني عشر إماماً كلهم من قريش، وحيث أنه لم يتبع اثني عشر إماماً بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا الشيعة، فتعيّن أن تكون هي الفرقة الناجية.

٣. اتفق المسلمون على حديث النبي (صلى الله عليه وآله): "من مات وليس في عنقه بيعةٌ لإمامٍ، مات ميتةً جاهليةً"، ومنذ عهدٍ طويلةٍ لم يتفق المسلمون على إمام يبايعونه. أما الشيعة فلم تنقطع بيعتهم لإمام حقّ منذ بيعتهم للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وحتى يومنا هذا في بيعتهم لصاحب العصر والزمان (عج). ونتيجة لما تقدّم تكون الشيعة هي الفرقة الناجية.

٤. ثبت بالدليل القاطع أن أحكام الشريعة عند أهل الخلاف قد تعرّضت للتغيير والتبديل بحيث لم يبقَ منها كما كان على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا ما ندر، ذلك أن عمر بن الخطاب قد حرّم وحلل وزاد وأنقص، وكان من جملة ما غيّر في حكمه: المتعة، الأذان، الطلاق، صلاة التراويح، صلاة الجنائز، سهم المؤلفة قلوبهم... ثم تبعه في سيرته هذه من جاء بعده.

^{٨٦٠}- سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٩، مسند أحمد، ج ٣، ص ٥٩

أما الشيعة فلا زالوا في دينهم مستندين إلى روايات الأئمة المعصومين (عليهم السلام). والأئمة كلهم نور واحد، فالأخذ عن أولهم كالأخذ عن آخرهم. معنى ذلك أن دين الشيعة لم يتبدل ولم يتحرّف في زمن من الأزمنة، منذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى زماننا هذا.

ويجدر بمن يتبع شريعةً محرّفةً ألا يكون من الناجين، ولم يتبع شريعةً غير مُبدّلةٍ ولا محرّفةٍ إلا الشيعة، فتعيّن أن تكون هي الفرقة الناجية.

٥. بُني مذهب الشيعة على خلافة الإمام علي (عليه السلام) والأئمة من بعده، وبُني مذهب أهل الخلاف على خلافة أبي بكر وعمر ومن بعدهم. وحيث أنه لا يوجد دليلٌ واحدٌ على صحة خلافة أبي بكر وعمر، وكلُّ الأدلة في كفة خلافة علي (عليه السلام) فقد ثبت بطلانُ خلافتهم، وبإثبات بطلان خلافتهما يبطل مذهبهم، ويثبت بالمقابل مذهب الشيعة ونجائهم.

٦. روى أهل الخلاف عن النبي (صلى الله عليه وآله) أحاديث كثيرةً في كتبهم الصحيحة تصرّح بأن الشيعة هي الفرقة الناجية، ولم يرووا حديثاً واحداً يدلّ على نجائهم، فثبت من طرقهم أن الشيعة هي الفرقة الناجية. ومن هذه الأحاديث:

- في "الدر المنثور" لجلال الدين السيوطي: "عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل علي فقال النبي: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٨٦١﴾ فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية".^{٨٦٢}

- في "شواهد التنزيل" للحاكم الحسكاني: "عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. قال علي: يا رسول الله، ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قال: رحم الله علياً يرحمه الله".^{٨٦٣}

- في "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت وشيعتك في الجنة".^{٨٦٤} وفي الكتاب نفسه عن أم سلمة قالت: "كانت ليأتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنته فاطمةٌ ومعها عليٌّ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة".^{٨٦٥}

^{٨٦١}- سورة البينة، آية ٧

^{٨٦٢}- ج ٦، ص ٣٧٩

^{٨٦٣}- ج ٦، ص ٣٧٩

^{٨٦٤}- ج ١٢، ص ٢٨٤

^{٨٦٥}- ج ١٢، ص ٣٥٣

٧. أتبع الشيعة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) الأئمة الاثني عشر الذين أوصى الرسول (صلى الله عليه وآله) باتباعهم بنصوصٍ صحيحةٍ، والذين شهد لهم مخالفوهم بتقواهم وعلمهم وحسن سيرتهم، وأنهم يصلحون للإمامة... وإليك هذا النموذج من أقوالهم في:

- الحسن والحسين: لو استخلفا لكانا أهلاً لذلك.
- زين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة.
- أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة.
- ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون.
- علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علمٌ وبيان، ووقع في النفوس، صيره المأمونُ وليَّ عهده لجلالته.
- ابنه محمد الجواد: من سادة قومه.
- كذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.
- وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري، رحمهم الله تعالى.^{٨٦٦}

^{٨٦٦}- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ١٢١

أما أهل الخلاف فقد اتبعوا أئمةً لم يرد في جواز اتباعهم نصٌ واحد، ولم يسلم واحدٌ منهم من الطعن فيه من قبل علماء أهل الخلاف أنفسهم! وإليك هذا النموذج من طعن أئمتهم ببعض:

- الإمام مالك: "ما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة".^{٨٦٧} وقال: "فتنة أبي حنيفة أضّر على الأمة من فتنة إبليس".^{٨٦٨}

- قال الشافعي: "نظرت في كتب أصحاب أبي حنيفة، فإذا فيها مئةٌ وثلاثون ورقةً خلاف الكتاب والسنة".^{٨٦٩}

- قال الإمام الغزالي: "فأما أبو حنيفة رحمه الله فقد قلب الشريعة ظهراً لبطن، وشوّش مسلكها، وغير نظامها".^{٨٧٠}

- أحمد بن حنبل: "ما قول أبي حنيفة والبعر عندي إلا سواء!".^{٨٧١}

ومن البديهي أن الفرقة التي يشتم أئمتها بعضهم، ليست كالفرقة التي تنصهر أئمتها معاً كسبيكة الذهب، ويترحم اللاحقون فيها على السابقين، فتعيّن بذلك أن تكون الشيعة هي الفرقة الناجية.

^{٨٦٧}- تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٠١

^{٨٦٨}- تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٩٦

^{٨٦٩}- الحاج حسين الشاكري، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، ص ٢٠٣

^{٨٧٠}- الغزالي، المنحول من تعليقات الأصول، ص ٦١٣

^{٨٧١}- تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٦١٣

٨. إن أئمة الشيعة على يقين تام من نجاتهم، فهذا الإمام علي (عليه السلام) يقول ساعة ضربته: "فزت ورب الكعبة".^{٨٧٢} أما أئمة أهل الخلاف فشاكين في نجاتهم، وإليك الدليل:

- روي في احتضار أبي بكر أنه قال: "وددت أني خضرة تأكلني الدواب".^{٨٧٣}
- وروي في احتضار عمر أنه قال: "والله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي".^{٨٧٤}
- وروي عن عمر أيضاً أنه قال: "يا ليتني كنت كبش أهلي، سمّوني ما بدا لهم، حتى إذا كنتُ أسمنَ ما أكونُ، زارهم بعضُ من يحبون، فجعلوا بعضي شواءً وبعضي قديداً، ثم أكلوني، فأخرجوني عذرةً".^{٨٧٥} ولم أكن بشراً!".^{٨٧٦}
- وروي في احتضاره أنه أخذ تبنه من الأرض وقال: "ليتني كنتُ هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكُ شيعياً، ليتني كنتُ نسياً منسياً".^{٨٧٧}

^{٨٧٢}- ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٢٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٩، ص ٢٠٧

^{٨٧٣}- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١٠، ص ٨٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١١٦

^{٨٧٤}- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٥٣، شرح نهج البلاغة، ج ١٢، ص ١٩٠

^{٨٧٥}- العذرة: ج عذرات، وهي الغائط.

^{٨٧٦}- كنز العمال، ج ١٢، ص ٦١٩

^{٨٧٧}- المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج ٢، ص ٣٧٣، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص

ولا شك أن أتباع أئمة اليقين الذين يجزمون بفوزهم هم الناجون، لا أتباع أئمة الشك الذين يتمنون أن يكونوا حضرة أو عذرة!

٩. إن عقيدة الشيعة لا غبارَ عليها، فهم أهلُ التوحيد الحقيقي وأهلُ العدل، وهم المنزهونَ للأنبياءِ جميعاً عن كل نقيصة.

أما العامة، ففي عقيدتهم العجبُ العجيبُ؛ فمعظمهم يعتقد بالتحسيم، وينسبون لنبئهم نقائصَ يترقّع عنها المؤمنُ العادي، ولا يؤمنون بخلفاء النبيِّ الحقيقيين... ومن تكون هذه عقيدته تُستبعد نجاته.

١٠. يعتمد الشيعة في حجّتهم وتفنيد حجّة الخصوم على كتب العامة وخاصة الصحاح عندهم، وفي هذا الكتاب المتواضع دليلٌ كاف.

أما أهل الخلاف، فينصحون أبناءهم بعدم قراءة كتبنا خوفاً من أن تسخرهم، وإذا احتجّوا علينا، فأحاديثٌ رويت من طرفهم، أو بالسباب والتكفير. وهذا يدلُّ على صحة مذهبنا ونجاتنا، وبطلان مذهبهم وهلاكهم.

١١. المذهب الشيعي الإمامي الجعفري الاثني عشري واحدٌ، وأئمته واحدة، وعقائده واحدة. أما مذهب أهل الخلاف فمتشعبٌ إلى أربعة مذاهب، وهي: المذهب الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي. والمعروف أن الناجية واحدة، فأأي مذهب من هذه المذاهب الأربعة هو الناجي!؟

١٢. كل مذاهبهم نشأت بعد انتهاء القرن الأول للهجرة. والفترة الواقعة بين وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وبين نشوء مذاهبهم كانت فيها فرقةٌ ناجية وكانت

من غيرهم، ولا يوجد غير الشيعة فرقة مستمرة منذ النبي (صلى الله عليه وآله) حتى الآن، فتعيّن أن تكون هي الفرقة الناجية.

١٣. لم يُثبت التاريخُ أن رجلاً من أهل العلم والفكر الحر، ترك تشيُّعه وانتحلَ مذهب العامة، بينما ثبت أن المئات من أهل العلم والاطلاع تركوا مذاهبهم وانتحلوا التشيع^{٨٧٨}، وهذه مؤلفاتهم تملأ المكتبات. وكفى بذلك دليلاً على أن الحقَّ في جانب الشيعة، ومن كان الحقُّ في جانبه تعيّن أن يكون الناجي.

١٤. قامت مناظرات عديدة بين علماء الفريقين وكانت تنتهي بغلبة الشيعة واستبصار العامة^{٨٧٩}، أو بإصدار فتوى منهم بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية^{٨٨٠}، بينما لم يُفتَ أحدٌ من علمائنا بجواز التعبد على واحد من مذاهب أهل العامة، وفي ذلك دليل قاطع على أحقية مذهبنا، وأنا الفرقة الناجية.

النتيجة: بعد كلِّ ما قدّمناه من أدلّة على أن الشيعة هي الفرقة الناجية، لا يجب أن يبقى عند ذي عقلٍ شكٌّ في ذلك، إلا أن يتكبّر ولا يرضخ للدليل، فساعتئذٍ نقول: لك دينك ولنا دين!

^{٨٧٨}- انظر: موسوعة "من حياة المستبصرين"، مركز الأبحاث العقائدية، وفيها لائحة طويلة بأسماء المستبصرين.

^{٨٧٩}- راجع: كتاب: المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، وكتاب الاحتجاج للطبرسي.

^{٨٨٠}- من علماء الأزهر الذين أفتوا بجواز التعبد على المذهب الشيعي: الشيخ سليم البشري، والشيخ محمود شلتوت.

الفصل الخامس:

المَعَاد

الدرس الثامن والأربعون: (المعاد)

تعريف المعاد: المعاد في اللغة من فعل عاد، فتقول: عاد الشيءُ يَعودُ عَوْدًا وَمَعَادًا

أي رَجَعَ، والمعاد بمعنى المصير والمرجع، أي ما يُرجع إليه، فالآخرةُ مَعَادٌ للناس.^{٨٨١}

أما في الاصطلاح فهو عودُ الأجسام ثانيةً إلى الحياة بعد الموت، في يومٍ يجمعُ اللهُ تعالى فيه الخلائقَ جميعاً للحساب.

عقيدتنا في المعاد: نعتقد، كما سائر المسلمين وأتباع الديانات السماوية الأخرى،

أن الله تعالى يبعث الناسَ بعدَ الموت في اليوم الموعود ليحاسبَهُم على أعمالهم؛ فيثيب المطيعين ويعذب العاصين.

والمعاد هو الأصل الثالث من أصول الدين الإسلامي، وعدم الاعتقاد به يُخرج عن دائرة الدين.

أهمية الاعتقاد بالمعاد: للاعتقاد بالمعاد أهمية عظيمة على حياة الفرد النفسية والسلوكية:

أولاً: أثره على النفس: لا شك أن الإنسانَ الذي يؤمنُ بالمعاد يسعى باستمرارٍ إلى تهذيب نفسه الأتارة بالسوء، وإلى تحليتها بالفضائل ومكارم الأخلاق، كالصبر والصدق والإيثار والكرم والقناعة... ذلك أنه يعتقدُ بأنه مُجازى على صفاته يومَ

^{٨٨١} - انظر: لسان العرب، مقاييس اللغة، القاموس المحيط، في فعل: عود

القيامة، ويُدرك أنّ من كانت نفسه خاليةً من الفضائل، كان في أدنى دركات الجحيم، ومن كانت نفسه متحليةً بالفضائل، كان في أعلى عليين.

من هنا نلاحظُ أن الإنسان المؤمن أفضل أخلاقاً وأكرم شمائلٍ من الإنسان غير المؤمن.

ثانياً: أثره على السلوك: الإنسان بفطرته ينفّر مما يؤذيه ويتعدّد عمّا يضُرّه. فالمواطن في الدول المتقدمة مثلاً، يرتدع عن المخالفات خوفاً من غضب القانون عليه، ولو أيقن أنه بعيدٌ عن أنظار الشرطة، كما ارتدّع عن أدنى مخالفة. إذن لولا وجودُ المحاسبة، لعمَّ الهرجُ وسادتِ الفوضى في كلِّ مكان. من هنا نلاحظُ أن المجتمعات المحكومة بالقوانين، أقلُّ جريمةً من المجتمعات التي لا قوانينَ فيها.

كذلك الأمرُ بالنسبة للناس واعتقادهم بالحياة الآخرة، فمن يعتقدُ بيوم المعاد الذي يجمعُ الله تعالى فيه العباد للمحاسبة؛ فيثيبُ المطيعين، ويُعاقبُ العاصين، من يعتقدُ بذلك يقيناً، يتحسّن سلوكه، وتنتظم أمورُه، ولا يُقدِّمُ على أفعالٍ تؤدي به إلى النار. ومن هنا نلاحظُ أن المجتمعات المؤمنة بالله واليوم الآخر، أقلُّ جريمةً بكثيرٍ من المجتمعات الملحدة.

إذن فالاعتقادُ بالمعاد رادعٌ كبيرٌ للمرء عن الرذائل والمساوي والجرائم.

ما الغاية من المعاد؟ لعلَّ الغاية الأوضح والأكبر من المعاد هي جزاءُ الأعمال، إذ لا يمكن الاعتقاد بالعدل الإلهي دون الاعتقاد بيوم يعودُ فيه المخلوقات إلى الحياة من

جديدٍ يُجَازِي كلُّ واحدٍ على فعله؛ فيُثَابِ المطيعُ أوامرَ ربِّه بالجنة، ويُعَاقَبُ الظالمُ نفسه والظالمُ غيره بالنار. فالمعاد أكبرُ مظهرٍ من مظاهر العدل الإلهي.

أدلة إثبات المعاد: المعاد ثابتٌ يقيناً بحكم العقل والقرآن والسنة، وتفصيل ذلك بما يلي:

أولاً: الدليل العقلي: هناك عدة أدلة عقلية تُثبتُ حتمية المعاد، مفصلة في كتب العقائد المختصة. أما هنا، ولضيق المقام، نذكر هذين الدليلين:

١. **برهان الحكمة:** الله حكيمٌ، وهذا ثابتٌ من خلال ما نراه من تدييرٍ وتنظيمٍ عاليي الدقة للكون، إذ لو لم يكن حكيماً لكان الخللُ ظهر بوضوحٍ في النظام الكوني. والحكيم لا يصدر منه العبثُ، فالنتيجةُ الحاصلةُ من المقدمتين هي أن الله لا يصدرُ منه العبثُ.

وخلقُ الناس في هذه الحياة الدنيا، ثم إمائتهم دون أن يكونَ من وراء خلقهم غايةٌ هو عينُ العبث. ولأن الله لا يصدرُ منه العبثُ، فلا بدَّ من يومٍ يُجَازِي فيه الناسُ على أعمالهم حتى تنتفي العبيثة. وهذا اليوم هو يوم القيامة.

٢. **برهان العدالة:** الله كلّف الناسَ في هذه الدنيا بتكاليفٍ كثيرةٍ، فبعضهم استجاب وعمل، وبعضهم أنكر وأهمل. ومن الواضح أنه لم يُجَازِ أيّاً منهما جزاءه في هذه الدنيا، وبما أن التكليفَ دون مكافأةٍ قبيحٌ، والله لا يصدرُ منه القبيحُ، إذن لا بدَّ من يومٍ يُجَازِي فيه الناسَ هو يوم القيامة.

ثم إنّ الله عادلٌ، والتسوية بين المطيع والعاصي خلاف العدل، وموضع استهجان ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^{٨٨٢}، فلا بد لتحقيق العدالة من يوم يُعطى فيه كلُّ ذي حقِّ حَقَّهُ، وهذا هو يوم القيامة.

ثانياً: الدليل القرآني: استأثرت قضية المعاد بأكثر من ألف آية قرآنية أشارت تصريحاً أو تلميحاً إلى المعاد،^{٨٨٣} تنوّعت بين آياتٍ تدلّ على إمكانيته وضرورته ووجوب الاعتقاد به، وآياتٍ تردّ على شبهات المنكرين له، وآياتٍ تتحدث عن علامات القيامة، وأخرى عن البعث بعد الموت والمحشر والحساب والصراف والجنة والنار... ومن هذه الآيات:

- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^{٨٨٤}
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^{٨٨٥}
- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^{٨٨٦}

^{٨٨٢}- سورة القلم

^{٨٨٣}- علي موسى الكعبي، المعاد يوم القيامة، مركز الرسالة، ص ٢٥

^{٨٨٤}- سورة آل عمران، آية ٩

^{٨٨٥}- سورة النساء، آية ٨٧

^{٨٨٦}- سورة النساء، آية ٣٩

- ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^{٨٨٧}

- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^{٨٨٨}

ثالثاً: الدليل الروائي: كثرت الروايات التي ذكرت اليوم الآخر وفصلت الكلام في منازلها، نذكر منها هاتين الروايتين:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا بني عبد المطلب، إن الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دارٌ إلا جنة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عز وجل كخلق نفس واحدة وبعثها، قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^{٨٨٩}.^{٨٩٠}

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسولُ الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر".^{٨٩١}

سبب إنكار المعاد: معظم الذين أنكروا المعاد يعود سبب إنكارهم إلى أمرين:

^{٨٨٧}- سورة الروم، آية ١١

^{٨٨٨}- سورة المؤمنون، آية ١١٥

^{٨٨٩}- سورة لقمان، آية ٢٨

^{٨٩٠}- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٦٤

^{٨٩١}- الخصال، ص ١٩٨

- الأول: عدم إيمانهم بغير المرئي المحسوس، لذلك ينكرون كلَّ الغيبات، كالجنِّ والملائكة والعالم الآخر...

- الثاني: الرغبة في التحلل من المسؤولية، إذ إن الاعتقاد بالمعاد يترتب عليه الكثير من الواجبات الدينية.

هل المعاد جسماني أم روحاني؟ يعتقد جميع المسلمين أن المعاد جسماني، أي أن الإنسان سيُبعث بجسمه الذي كان له في الدنيا لا بروحه فقط. وهذه العقيدة من ضروريات الإسلام، ومنكرها كافرٌ بالإجماع لأن القرآن أخبر بذلك في آياتٍ كثيرة منها: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ (٣) **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّي بَنَانَهُ** ﴿٨٩٢﴾.

الإمام الصادق (عليه السلام) يردُّ على منكر المعاد الجسماني: سأل زنديقُ الإمامَ الصادق (عليه السلام) مستنكراً البعث: وأبى له بالبعثِ والبدنُ قد بلي، والأعضاءُ قد تفرقت، فعضوٌ ببلدةٍ يأكلها سباعُها، وعضوٌ بأخرى تمزقه هوائُها، وعضوٌ صار تراباً بُني به مع الطين حائطٌ؟

أجاب الإمام: إن الذي أنشأه من غير شيء، وصوّره على غير مثالٍ كان سبق إليه، قادرٌ أن يعيده كما بدأه.

قال الزنديق: أوضح لي ذلك!

٨٩٢- سورة القيامة، آية ٣

قال الإمام (عليه السلام): إنَّ الروحَ مقيمةٌ في مكانها، روحُ المحسنِ في ضياءٍ وفُسحةٍ، وروحُ المسيءِ في ضيقٍ وظلمةٍ، والبدنُ يصيرُ تراباً كما منه خُلِقَ، وما تقذفُ به السباعُ والهوامُ من أجوافِها مما أكلته ومزقته، كلُّ ذلك في الترابِ محفوظٌ عند من لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في ظلماتِ الأرضِ، ويعلمُ عددَ الأشياءِ ووزنَها... فإذا كان حينَ البعثِ مُطرتِ الأرضُ مطرَ النشورِ، فتربو الأرضُ، ثمَّ تُمخَضُ مخضَ السقاء... فيجتمعُ ترابُ كلِّ قالبٍ إلى قالبِهِ، فينتقلُ بإذنِ الله القادرِ إلى حيثِ الروحِ، فتعودُ الصورُ بإذنِ المصورِ كهيئتها وتلجُ الروحُ فيها، فإذا قد استوى لا يُنكرُ من نفسه شيئاً.^{٨٩٣}

٨٩٣- الاحتجاج، ج ٢، ص ٩٧

الدرس التاسع والأربعون: (الموت)

بين الدنيا والآخرة منازلٌ عديدةٌ وعقباتٌ شديدةٌ، يقطعها الإنسان في مسيرته الطويلة من الدنيا إلى يوم القيامة، سنتوقف عند كلٍ منها بدرس مستقل. وأول منزل وأيسرُ عقبة في هذه الطريق هو الموت. فما هو الموت؟

حقيقة الموت: الموت هو قبضُ الروح ومفارقَتُها للبدن، وبه ينتقل الميثُ من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة. وهو فعل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^{٨٩٤}، ولا ينجو منه أحد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^{٨٩٥}.

من يقبضُ الأرواح؟ بالرجوع إلى القرآن نجد أن مهمة قبضِ الأرواح أُسندت إلى:

- ملك الموت: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^{٨٩٦}،
- الملائكة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^{٨٩٧}،
- الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^{٨٩٨}.

^{٨٩٤}- سورة المؤمنون، آية ٨٠

^{٨٩٥}- سورة العنكبوت، آية ٥٧

^{٨٩٦}- سورة السجدة، آية ١١

^{٨٩٧}- سورة الأنعام، آية ٦١

^{٨٩٨}- سورة الزمر، آية ٤٢

قال الإمام الصادق (ع) في بيان هذه الآيات: "إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس، يبعثهم في حوائجهم فتتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاها الله عز وجل من ملك الموت".^{٨٩٩}

مراحل الموت: يمرُّ الميِّتُ بمراحل قبل أن تنتقلَ روحُه إلى بارئها. وهذه المراحل هي:

أولاً: الاحتضار: ويُقصدُ به حضور الملائكة عنده لقبض روحه. وقد يكون الحاضرُ عنده عزرائيل بنفسه، أو أحد أعوانه من ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب. والاحتضار أمرٌ عسيرٌ جداً، وحسبُ المحتضرِ هولاً رؤيةُ ملكِ الموت التي يقول فيها النبي (صلى الله عليه وآله): "والذي نفسي بيده! لمُعابنةُ ملكِ الموت أشدُّ من ألف ضربةٍ بالسيف. والذي نفسي بيده! لا تخرجُ نفسُ عبدٍ من الدنيا حتى يتألَمَ كلُّ عرقٍ منه على حياله".^{٩٠٠}

ورؤيةُ ملكِ الموت تختلف هولاً من إنسانٍ إلى آخر باختلاف إيمانه وتقواه؛ فالْمؤمن يراه بصورةٍ مغايرةٍ تماماً للصورة التي يراه عليها الكافر.

ثم إن المحتضرَ تُكشفُ عن بصره الحُجُبُ كما تُكشفُ للنائم حال نومه، فيرى أموراً عديدة، كمنزلته في الجنة أو في النار، وتجسُّدِ ماله وولده وعمله، ويرى النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، وهذا أجمع عليه أهل

^{٨٩٩}- الاحتجاج، ج ٢، ص ٩٧

^{٩٠٠}- كنز العمال، ج ١٥، ص ٥٥٦، رقم الحديث ٤٢١٥٨

الإمامة وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة (عليهم السلام) كما قال الشيخ المفيد. ٩٠١

ثانياً: نزع الروح: وهو أمرٌ فظيعٌ أعظم من أن يوصف، يقول فيه النبي (صلى الله عليه وآله): "أدنى جذبات الموت بمنزلة مائة ضربةٍ بالسيف". ٩٠٢ ويقول: "لو علمتِ البهائمُ من الموتِ ما تعلمون، ما أكلتم منها سميناً أبداً". ٩٠٣

ويختلف وقعُ النزعِ على المؤمن من وقعِهِ على الكافر. وهذه الرواية توضح ذلك:

"قيل للصادق (عليه السلام) صف لنا الموت. قال: للمؤمن كَأطيبِ رِيحٍ يشمُّه فينعسُ لطيبه وينقطعُ التعبُ والألمُ كُلُّه عنه، وللكافر كلسعِ الأفاعي ولدغِ العقاربِ أو أشد. قيل: فإنَّ قوماً يقولون إنه أصعبُ من نشرٍ بالمناشير، وقرصٍ بالمقاريض، ورضخٍ بالأحجار، وتدويرِ قطبِ الأرحيةِ في الأحداق، قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين بالله عز وجل". ٩٠٤

وقد يُشدِّدُ على المؤمن عند النزع تمحيصاً لذنوبه، ويُهَوِّنُ على الكافر توفيةً لحسناته في الدُّنيا.

٩٠١- الشيخ المفيد، تفسير القرآن المجيد، ص ٥٦٢

٩٠٢- كنز العمال، ج ١٥، ص ٥٦٩، رقم الحديث ٤٢٢٠٨

٩٠٣- المقرئزي، إمتاع الأسماع، ج ٥، ص ٢٤١

٩٠٤- علل الشرائع، ج ١، ص ٢٩٨

ولعل أدقَّ وصفٍ للحظاتِ نزع الروح ما ورد في نهج البلاغة عن لسان الإمام علي (عليه السلام): "فغيرُ موصوفٍ ما نزلَ بهم، اجتمعتْ عليهم سكرةُ الموت وحسرةُ الفوت، ففترتْ لها أطرافُهم، وتغيّرتْ لها ألوانُهم، ثم ازداد الموتُ فيهم ولوجاً، فحيلَ بين أحدهم وبينَ منطِقِهِ، وإنه لبينَ أهله، ينظرُ ببصرِهِ، ويسمعُ بأذنه، على صحّةٍ من عقلِهِ، وبقاءٍ من لُبِّهِ، يفكرُ فيمَ أفنى عمرَهُ، وفيمَ أذهبَ دهرَهُ... فهو يعضُّ يده ندامَةً على ما أصحَرَ له عندَ الموت من أمرِهِ... فلم يزلِ الموتُ يباليغُ في جسده، حتى خالطَ لسانَهُ وسمعَهُ، فصارَ بين أهله لا ينطقُ بلسانِهِ، ولا يسمعُ بسمعِهِ، يردّدُ طرفَهُ بالنظرِ في وجوههم، يرى حركاتِ ألسنتِهِم، ولا يسمعُ رجعَ كلامِهِم، ثم ازدادَ الموتُ التياطاً به، فقُبِضَ بصرُهُ كما قُبِضَ سمعُهُ، وخرجتِ الروحُ من جسده، فصارَ جيفةً بين أهله، قد أوحشوا من جانبِهِ، وتباعدوا من قُربِهِ، لا يُسعدُ باكياً، ولا يُجيبُ داعياً، ثم حملوه إلى مخطّ في الأرضِ، فأسلموه إلى عملِهِ، وانقطعوا عن زورته".^{٩٠٥}

ثالثاً: الانتقال من الدنيا الى الآخرة: وهي المرحلة الأخيرة من مراحل الموت، ومعها ينتقلُ الإنسان من عالم الدنيا إلى عالمٍ آخرٍ مختلفٍ كلياً، هو عالم البرزخ.

ما يهون سكرات الموت: نستفيد من الروايات أن هناك عدّة أمورٍ تخففُ سكراتِ الموت، نذكر منها:

٩٠٥- نهج البلاغة، ج ١، ص ٢١٣، الخطبة رقم ١٠٩

- صلة الرحم وبر الوالدين: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من أحبَّ أن يخفَّفَ اللهُ عز وجلَّ عنه سكراتِ الموت، فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك هَوَّنَ اللهُ عز وجلَّ عليه سكراتِ الموت ولم يصبْه في حياته فقرٌ أبداً".^{٩٠٦}

- قلة الذنوب: عن النبي (صلى الله عليه وآله) لرجل يعظه: "أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدّم مالك أمانك يسرّك اللحاق به".^{٩٠٧}

- كسُو المؤمن: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من كسا أخاه كسوة شتاءٍ أو صيفٍ، كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة، وأن يهونَ عليه سكراتِ الموت، وأن يوسّع عليه في قبره، وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى".^{٩٠٨}

- إطعام المؤمن حلاوة: عن النبي (صلى الله عليه وآله): "من أطعم أخاه حلاوةً أذهب اللهُ عنه مرارة الموت".^{٩٠٩}

٩٠٦- الاحتجاج، ج ٢، ص ٩٧

٩٠٧- أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ٣٤٤

٩٠٨- الكافي، ج ٢، ص ٢٠٤

٩٠٩- بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٢٨٨

- قراءة القرآن والأدعية عنده: "من الأمور الأخرى التي تنفع في تعجيل راحة المحتضر قراءة سورة يس، والصفات، وكلمات الفرج عنده".^{٩١٠}

- صوم أيام في رجب: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من صام يوماً من آخر هذا الشهر، كان ذلك أماناً له من شدة سكرات الموت، وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر هذا الشهر، كان له بذلك جوازاً على الصراط، ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر، أمِنَ يومَ الفزع الأكبر من أهواله وشدائده، وأعطِيَ براءةً من النار".^{٩١١}

علة كراهة الموت: سأل رجل الإمام الحسن (عليه السلام): ما بألنا نكره الموت ولا نحبه؟ فقال الحسن (عليه السلام): "لأنكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، وأنتم تكروهون النقلة من العمران إلى الخراب".^{٩١٢}

ما الحكمة من إخفاء الأجل؟ لو أعلم الله الإنسانَ بيومَ أجله، وبابِ التوبة مفتوحاً، لامتلأت الأرضُ ظلماً وفساداً؛ فأكثرُ الناس، ساعتئذٍ، سيتهالكون على المعاصي والذنوب، ويُسوّفون التوبة إلى قبيل الموت. وهذا خلاف الحكمة.

٩١٠- الشيخ عباس القمي، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ص ١١١ - ١١٢

٩١١- أمالي الصدوق، ص ٦٦

٩١٢- معاني الأخبار، ص ٣٩٠

الدرس الخمسون: (البرزخ)

معنى البرزخ: البرزخ في اللغة هو الحائل أو الحاجز بين شيئين أو مرحلتين والمانع من اختلاطهما وامتزاجهما. أما في الاصطلاح، فهو الفترة الواقعة بين الدنيا والآخرة، وتبدأ من موت الإنسان وتنتهي بيوم البعث. ٩١٣

البرزخ في القرآن: الحياة البرزخية ثابتة عند المسلمين جميعاً. وقد أشار إليها القرآن الكريم في عدة آيات، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^{٩١٤}
- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾^{٩١٥}
- وقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^{٩١٦}
- وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾^{٩١٧}

٩١٣- انظر لسان العرب، فعل: برزخ.

٩١٤- سورة المؤمنون، آية ١٠٠

٩١٥- سورة آل عمران، آية ١٦٩

٩١٦- سورة غافر، آية ٤٦

٩١٧- سورة الزمر، آية ٤٢

البرزخ في الأحاديث الشريفة: وردت الكثير من الأحاديث الشريفة التي تشير إلى

الحياة ما بعد الموت، وهي ما تعرف بالحياة البرزخية، نذكر منها ما يلي للاختصار:

- عن عمرو بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): "إني سمعتك وأنت تقول: كلُّ شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم؟ قال: صدقتك، كلُّهم والله في الجنة، قال: قلت: جعلتُ فداك، إن الذنوبَ كثيرةٌ كبارٌ؟ فقال: أما في القيامة فكلُّكم في الجنة بشفاعَةِ النبيِّ المطاعِ، أو وصيِّ النبيِّ، ولكني والله أتخوِّفُ عليكم في البرزخ. قلت: وما البرزخ؟ قال: القبرُ منذُ حينِ موتهِ إلى يومِ القيامة".^{٩١٨}

- عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): "إن القبرَ إما روضةٌ من رياض الجنة أو حفرةٌ من حفرِ النار".^{٩١٩}

- "وقف رسولُ الله صلى الله عليه وآله على القتلى يبدر وقد جمعهم في قليب، فقال: يا أهلَ القليب، إنا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربُّكم حقاً؟ فقال المنافقون: إنَّ رسولَ الله يكلمُ الموتى، فنظر إليهم فقال: لو أُذِنَ لهم في الكلام لقالوا: نعم، وإن خيرَ الزادِ التقوى".^{٩٢٠}

٩١٨- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٢

٩١٩- الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٥٣

٩٢٠- من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٨٠

ما طبيعة الأجسام البرزخية؟ الجسم البرزخي جسمٌ مثالي، يشبه الجسم المادي ولكنه أكثر لطافةً منه، وشبهه البعض بالجسم الذي يكون في المنام، فهو غير مادي مع أنه يُسرُّ ويتألم. ويؤكد ذلك رواية الإمام الصادق (عليه السلام): "فَإِذَا قَبَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَيَّرَ تِلْكَ الرُّوحَ فِي قَالِبٍ كَقَالِبِهِ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؛ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْقَادِمُ، عَرَفُوهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا".^{٩٢١}

أرواح المؤمنين في وادي السلام: أكدت رواياتٌ عديدةٌ أن أرواح المؤمنين تجتمع في وادي السلام في ظهر الكوفة، وهذه واحدة: قال أحدُهم للإمام الصادق (ع): "إِنَّ أَخِي بِيَعْدَادَ، وَأَخَافُ أَنْ يَمُوتَ بِهَا. فَقَالَ: مَا تَبَالِي حَيْثُمَا مَاتَ؛ أَمَا إِنَّهُ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَعَرْبِهَا إِلَّا حَشَرَ اللَّهُ رُوحَهُ إِلَى وَادِي السَّلَامِ".^{٩٢٢}

حياة المؤمنين في البرزخ: بالاستناد إلى الروايات نستنتج أن المؤمنين في البرزخ يقومون بالأعمال التالية:

- يأكلون ويشربون: سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن أرواح المؤمنين فأجاب: "أرواحُ المؤمنين في حِجْرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ، يَأْكُلُونَ مِنْ طَعَامِهَا وَيَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابِهَا، وَيَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَقِمْ لَنَا السَّاعَةَ وَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدْتَنَا".^{٩٢٣}

٩٢١- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٥

٩٢٢- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٤

٩٢٣- المحاسن، ج ١، ص ١٧٨

- يتزاورون ويتحدّثون ويتعارفون: من حديث لأمير المؤمنين (عليه السلام) مع الأصبغ: ... يا ابن نباته، لو كُشف لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذا الظَّهر حلقاً يتزاورون ويتحدّثون، إنّ في هذا الظَّهر روح كلِّ مؤمنٍ وبوادي برهوت نسمة كلِّ كافرٍ. ٩٢٤

وعن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "ذكر الأرواح أرواح المؤمنين فقال: يلتقون، قلت: يلتقون؟ فقال: يتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت: فلان". ٩٢٥

- يسألون عن الأحياء: عن الإمام الصادق (ع) في كلامه عن أرواح المؤمنين في البرزخ: "... فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها فإنها قد أقبلت من هولٍ عظيم، ثم يسألونها ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حياً ارتجوه، وإن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى قد هوى". ٩٢٦

- يزورون أهلهم الأحياء: عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إنّ المؤمنَ ليزور أهلَهُ فيرى ما يحبُّ ويُسْتَرُّ عَنْهُ ما يكره، وإنَّ الكافرَ ليزور أهلَهُ فيرى

٩٢٤- حسن بن سليمان الطلي، المحتضر، ص ١٩

٩٢٥- المحاسن، ج ١، ص ١٧٨

٩٢٦- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٤

مَا يَكْرَهُ وَيُسْتَرُّ عَنْهُ مَا يُحِبُّ. قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزُورُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ. ٩٢٧

وروى إسحاق بن عمار عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، قال:
"سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَيِّتِ يَزُورُ أَهْلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: فِي كَمْ يَزُورُ؟ قَالَ: فِي
الْجُمُعَةِ وَفِي الشَّهْرِ وَفِي السَّنَةِ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ". ٩٢٨

حياة الكافرين في البرزخ: وهي على نقيض حياة المؤمنين، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سئل عن أرواح الكفار في البرزخ: "في حجرات في النار، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا لا نقيم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا". ٩٢٩

هل يتعذب الشيعة في البرزخ؟ تفيد الروايات الشريفة بأن الشيعة وإن نجوا يوم القيامة من النار، فإن معظمهم لا ينجو من عذاب البرزخ. وكفى بهذه دليلاً:

– قال الإمام الصادق (عليه السلام) مخاطباً أحد شيعته: "... أما في القيامة فكلُّكم في الجنة بشفاعَةِ النبيِّ المطاعِ، أو وصيِّ النبيِّ، ولكني والله أتخوِّفُ عليكم في البرزخ". ٩٣٠

٩٢٧- الكافي، ج ٣، ص ٢٣٠

٩٢٨- الكافي، ج ٣، ص ٢٣٠

٩٢٩- المحاسن، ج ١، ص ١٧٨

٩٣٠- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٢

- وقال (عليه السلام) في رواية أخرى: "وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْبَرْزَخَ، فَأَمَّا إِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا فَتَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ".^{٩٣١}

- وسأله أبو بصير: "أيفلتُ من ضغطةِ القبرِ أحدٌ؟ قال: نعوذُ باللهِ منها، ما أقلُّ من يفلتُ من ضغطةِ القبرِ".^{٩٣٢}

عذاب البرزخ للتطهير: يُستفاد من الروايات الشريفة أن الغاية من ضغطة القبر وعذاب البرزخ هو تطهير المؤمن حتى يأتي القيامة ولا ذنب عليه. وهاتان الروايتان توضحان ذلك:

- قال الإمام الرضا (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾^{٩٣٣}: "من اعتقد الحقَّ ثم أذنبَ ولم يُتَبَّ في الدنيا، عُذِّبَ عليه في البرزخ، ويخرجُ يومَ القيامةِ وليس له ذنبٌ يُسألُ عنه".^{٩٣٤}

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "ضغطةُ القبرِ للمؤمنِ كفارةٌ لما كان منه من تضييعِ النِّعمِ".^{٩٣٥}

٩٣١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٩٤

٩٣٢- الكافي، ج ٣، ص ٢٤٥

٩٣٣- سورة الرحمن، آية ٣٩

٩٣٤- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٤٤

٩٣٥- الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص ١٩٧

الدرس الواحد والخمسون: (من منازل القيامة: النفخ والنشر والحشر وإعطاء

الكتب)

النفخ في الصُّور (نفخة الصعق): تنتهي الحياة الدنيا والحياة البرزخية بنفخ إسرافيل في الصُّور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^{٩٣٦} وتسمى هذه النفخة نفخة الصعق. وفيها يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): "فينفخ فيه [في الصُّور] نفخة، فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات، فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات، إلا إسرافيل. فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيلُ مُت، فيموتُ إسرافيلُ، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمرُ السماواتِ فتمورُ، ويأمرُ الجبالَ فتسيرُ، وهو قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾^{٩٣٧، ٩٣٨}.

إنهدام النظام الكوني: ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتكلم عن انهدام النظام الكوني قبل القيامة، كزلزلة الأرض، ونسف الجبال، وتسجير البحار، وتكوير الشمس، وخسف القمر، وانشقاق السماء وتصدعها وطوبها، وثافت النجوم

٩٣٦- سورة الزمر، آية ٦٨

٩٣٧- سورة الطور

٩٣٨- تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٢

وانكدارها... ويحصل هذا بعد نفخة الصَّعق، كما يُستفاد من الرواية السابقة للإمام زين العابدين (عليه السلام)، والله العالم.

بقاء الله الواحد القَهَّار: بعد أن يصعق جميع من في السماوات والأرض، ينادي الجبار بصوتٍ جهوريٍّ: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^{٩٣٩}؟ فلا يجيبه مجيبٌ، فعند ذلك يقول الجبارُ مجيباً لنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^{٩٤٠} وأنا قهرتُ الخلائقَ كلَّهم وأمتَّهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لا شريكَ لي ولا وزير، وأنا خلقتُ خلقي بيدي وأنا أمتُّهم بمشيئتي، وأنا أحييهم بقدرتي".^{٩٤١}

النفخة الثانية في الصُّور (النشر): وتأتي من قِبَلِ الله تعالى، وتسمى نفخةَ البعث لأنها تبعثُ كلَّ الأموات، وهو ما يُعرفُ أيضاً بالنشر، أي الإحياء بعد الموت ﴿ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^{٩٤٢}.

ومن الرواية السابقة للإمام زين العابدين (عليه السلام) واصفاً ذلك: "فينفخُ الجبارُ نفخةً في الصور، فيخرج الصوتُ من أحدِ الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماواتِ أحدٌ إلا حيي وقام كما كان، ويعودُ حملةً

٩٣٩- سورة غافر، آية ١٦

٩٤٠- سورة غافر، آية ١٦

٩٤١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٢

٩٤٢- سورة الزمر، آية ٦٨

العرش، وتحضر الجنة والنار، وتُحشر الخلائق للحساب. قال [الراوي]: فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاءً شديداً.^{٩٤٣}

الخروج من القبور (الحشر): ويحصل بعد نفخة البعث، وهو من أوحش الساعات التي تمرُّ على ابن آدم، فعن الإمام زين العابدين (عليه السلام): "أشدُّ ساعاتِ ابنِ آدم ثلاثُ ساعاتٍ: الساعةُ التي يعاين فيها ملكَ الموت، والساعةُ التي يقومُ فيها من قبره، والساعةُ التي يقفُ فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإمَّا إلى الجنةِ وإمَّا إلى النار".^{٩٤٤}

كيف يخرجُ الناسُ من قبورهم؟ صوّر القرآن الكريم كيفية خروج الناس من قبورهم، فإذا بهم يخرجون:

- حائرين مضطربين: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^{٩٤٥} ﴿٩٤٦﴾
 - لا يلوون على أحد: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^{٩٤٧}.
 - مسرعين: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^{٩٤٨}
- ٩٤٩ ﴿مُهْطِعِينَ﴾^{٩٥٠} إِلَىٰ الدَّاعِ ﴿٩٥١﴾

^{٩٤٣}- تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٣

^{٩٤٤}- الخصال، ص ١١٩

^{٩٤٥}- إذا أثير الفراش تطاير من كلِّ جانب، وكذلك حال الناس عند خروجهم من القبور.

^{٩٤٦}- سورة الفارعة، آية ٤

^{٩٤٧}- سورة عبس، آية ٣٧

- خاشعاً أبصارهم: ﴿خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ

مُنْتَشِرٌ ٩٥٢ ﴿ ٩٥٣

تَجَسُّمُ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْحَشْرِ: أفادت رواياتٌ عديدةٌ أن عدداً كبيراً من الناسِ يُحْشَرُ بصورةٍ غيرِ صورتهِ الحقيقيةِ، وذلك تبعاً لأعماله في هذه الدنيا، وهذا ما يُصطلحُ عليه بتجسُّمِ الأعمالِ، أي أن كلَّ عملٍ في الدنيا يتجسَّمُ بشكلٍ يُناسبه في الآخرة. وهذه صورةٌ طائفةٍ من الناسِ يومَ الحشر:

- الشَّاكُّ فِي فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): عن ابن عباس قال: قال

رسول الله (صلى الله عليه وآله): "الشَّاكُّ فِي فَضْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ

السَّلَامُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَبْرِهِ وَفِي عُنُقِهِ طَوْقٌ مِنْ نَارٍ فِيهِ ثَلَاثُمِائَةٌ

شَعْبَةٍ، عَلَى كُلِّ شَعْبَةٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَكَلِّحُ^{٩٥٤} فِي وَجْهِهِ وَيَتَفَلُّ فِيهِ"^{٩٥٥}.

٩٤٨- نَسَلٌ فِي الْعَدُوِّ: أَسْرَعُ

٩٤٩- سُورَةُ يَسٍ، آيَةٌ ٥١

٩٥٠- مَهْطَعِينَ: يَمْشُونَ بِسُرْعَةٍ

٩٥١- سُورَةُ الْقَمَرِ، آيَةٌ ٨

٩٥٢- وَجْهَ الشُّبْهِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْجَرَادِ هُنَا هُوَ دَخُولُهُمْ فِي بَعْضِ وَاحْتِلَاطِهِمْ.

٩٥٣- سُورَةُ الْقَمَرِ، آيَةٌ ٧

٩٥٤- يَكَلِّحُ فِي وَجْهِهِ: يُفْزِعُهُ

٩٥٥- الشَّيْخُ الْمَفِيدُ، الْأَمَالِيُّ، ص ١٤٥

- التَّمام: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَنْ مَشَى فِي نَمِيمَةٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ نَاراً تَحْرِقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَنْيناً أَسْوَدَ يَنْهَشُ لَحْمَهُ حَتَّى يَدْخَلَ النَّارَ...".^{٩٥٦}
- شاربُ الخمر: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إِنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْوُوداً وَجْهُهُ، مَزْرَقَةً عَيْنَاهُ، مَائِلاً شِدْقُهُ، سَائِلاً لُعَابُهُ، دَالِعاً لِسَانَهُ مِنْ قَفَاهُ".^{٩٥٧}
- مصافحُ النساء: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَنْ صَافَحَ امْرَأَةً حَرَاماً، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ".^{٩٥٨}
- لاطمُ خدِّ المسلم: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَنْ لَطَمَ خَدَّ مُسْلِمٍ بَدَّدَ اللَّهُ عِظَامَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، وَحُشِرَ مَغْلُولاً حَتَّى يَدْخَلَ النَّارَ".^{٩٥٩}
- مستحققُ الفقراء: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَنْ بَغَى عَلَى فَقِيرٍ، أَوْ تَطَاوَلَ عَلَيْهِ وَاسْتَحْقَرَهُ، حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَتَّى يَدْخَلَ النَّارَ".^{٩٦٠}

^{٩٥٦} - الشيخ الأنصاري، كتاب المكاسب، ج ٢، ص ٦٤ نقلاً عن "عقاب الأعمال".

^{٩٥٧} - أمالي الصدوق، ص ٥٠٢

^{٩٥٨} - ثواب الأعمال، ص ٢٨٣

^{٩٥٩} - ثواب الأعمال، ص ٢٨٤

- ذُو الْوَجْهِينِ وَاللِّسَانِينَ: عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "مَنْ لَقِيَ

الْمُسْلِمِينَ بِوَجْهِينِ وَلِسَانِينَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ مِنْ نَارٍ". ٩٦١

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذُو الْوَجْهِينِ، دَالِعًا لِسَانُهُ فِي قَفَاهُ، وَآخِرُ مَنْ قَدِمَهُ يَتْلَاهَا نَارًا حَتَّى يُلْهَبَهَا جَسَدَهُ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: هَذَا الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا ذَا وَجْهِينِ وَلِسَانِينَ يُعْرَفُ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". ٩٦٢

وَمِنَ الْمُسْتَحْسَنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ نَحْتَمِ بِهَذِهِ الرَّوَايَةِ الْعَظِيمَةِ. عَنِ مَعَاذِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ قَالَ: "يُحْشَرُ عَشْرَةُ أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي أَشْتَاتًا، قَدْ مَيَّزَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَدَّلَ صُورَهُمْ: فَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقِرْدَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْكَسُونَ: أَرْجُلُهُمْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ يُسْحَبُونَ عَلَيْهَا، وَبَعْضُهُمْ عُمِّيٌّ، وَبَعْضُهُمْ صُمٌّ بُكْمٌ، وَبَعْضُهُمْ يَمْضُغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فَهِيَ مُدَلَّاةٌ عَلَى صُدُورِهِمْ، يَسِيلُ الْقَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَتَقَدَّرُهُمْ أَهْلُ الْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ مَقْطَعَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَبَعْضُهُمْ مُصَلَّبُونَ عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَارٍ، وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ نَتْنًا مِنَ الْجَيْفِ، وَبَعْضُهُمْ مُلْبَسُونَ جَبَابًا سَابِعَةً مِنْ قَطْرَانٍ لِازِقَةً بِجُلُودِهِمْ .

٩٦٠- بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢١٥

٩٦١- ثواب الأعمال، ص ٢٦٩

٩٦٢- ثواب الأعمال، ص ٢٦٩

فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقِرَدَةِ فَالْقَتَاتُ^{٩٦٣} مِنَ النَّاسِ،

وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ فَأَهْلُ السُّحْتِ،

وَأَمَّا الْمَنَكْسُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَأَكَلَةُ الرَّبَا،

وَأَمَّا الْعُمِّيُّ فَالَّذِينَ يَجُورُونَ فِي الْحُكْمِ،

وَأَمَّا الصُّمُّ وَالْبُكْمُ فَالْمُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ،

وَأَمَّا الَّذِينَ يَمْضَعُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فَالْعُلَمَاءُ وَالْقُصَّاصُ الَّذِينَ خَالَفَ أَقْوَالُهُمْ

أَعْمَالُهُمْ،

وَأَمَّا الَّذِينَ قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْجِيرَانَ،

وَأَمَّا الْمُصَلَّبُونَ عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَارٍ فَالسُّعَاةُ بِالنَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ،

وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ نَتْنًا مِنَ الْحَيْفِ فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ

وَيَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِهِمْ،

وَأَمَّا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْجَبَابَ فَأَهْلُ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ".^{٩٦٤}

ما يهتون هول المحشر: في الروايات أن أعمالاً عديدة تهون على صاحبها هول

المحشر، من هذا الأعمال:

^{٩٦٣} - القتات هو النمام الذي ينشر الحديث ويشيعه على سبيل الإفساد.

^{٩٦٤} - ثواب الأعمال، ص ٢٦٩

- تشيع الجنائز: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من شيع جنازة مؤمن حتى يُدفن في قبره وكلَّ اللهُ تعالى به سبعين ملكاً من المشيعين يشيعونه ويستغفرون له إذا خرج من قبره إلى الموقف".^{٩٦٥}

- إدخال السرور على المؤمن: في الرواية أن هذا السرور يتجسد بصورة تؤنسه وتبشّره بعد خروجه من القبر.^{٩٦٦}

- تنفيس كربة المؤمن: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كُرب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد".^{٩٦٧}

تطايير الكتب (صحائف الأعمال): بعد خروج الناس من القبور، يقفون على صعيد الحساب، ثم تتطايير الكتب وتُنشر صحف الأعمال ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾^{٩٦٨}، فيأخذ كلُّ إنسان كتاب أعماله وقد دَوَّنت فيه الحفظة من الملائكة كلَّ شيء فعله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾.^{٩٦٩}

بأي يد يأخذ المرء كتابه؟ الناس في هذه الحال قسمان:

^{٩٦٥}- الكافي، ج ٣، ص ١٧٣

^{٩٦٦}- أنظر: الكافي، ج ٢، ص ١٩٠

^{٩٦٧}- الكافي، ج ٢، ص ٢٠٠

^{٩٦٨}- سورة التكوير، آية ١٠

^{٩٦٩}- سورة القمر

- قسم يأخذ كتابه بيمينه، فيحاسب حساباً يسيراً، أي يُنظر في سيئاته ويُجاوز عنها. وهؤلاء هم الفائزون يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. ٩٧٠

- قسم يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره لأن يمينه تكون مغلولَةً إلى عنقه، وتكون يساره خلف ظهره. وهؤلاء هم الهالكون يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾. ٩٧١

قراءة الكتب: كل إنسان يوم القيامة قادرٌ على قراءة كتابه، وكأن ما في الكتاب هو تسجيلٌ بالصورة والصوت لكل حركة قام بها ولفظة نطقها في الدنيا. ويُساعد على فهم ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له اقرأه. قيل: فيعرف ما فيه؟ فقال: إنه يذكره، فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلا ذكره، كأنه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ٩٧٢". ٩٧٣

٩٧٠- سورة الانشقاق

٩٧١- سورة الانشقاق

٩٧٢- سورة الكهف، آية ٤٩

٩٧٣- محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٣٢٨

الدرس الثاني والخمسون: (الحساب)

ما هو الحساب؟ الحساب هو النظر في أعمال العباد، والكشف عما لهم من الحسنات وما عليهم من السيئات، حتى يُعطوا ما يستحقونه من الثواب أو العقاب. وهو من عقائدنا الحقة كما أفاد الشيخ الصدوق.^{٩٧٤}

لماذا الحساب؟ الله تعالى عالمٌ بكل شيءٍ، ولا يحتاج إلى الحساب ليعرف مصير الإنسان يوم القيامة. وليس الحساب إلا لإثبات عدله تعالى، وإقامة الحجة على العباد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.^{٩٧٥}

من المُحاسب يوم القيامة؟ الله تعالى هو المحاسب يوم القيامة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾.^{٩٧٦} وقد صرّحت العديد من الروايات أن الله تعالى يوكل الأئمة (عليهم السلام) بحساب شيعتهم يوم القيامة. قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا؛ فما كان الله سألنا الله أن يهبه لنا فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ أبو عبد الله (عليه السلام): ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾"^{٩٧٧}.^{٩٧٨}

^{٩٧٤} - الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٧٣

^{٩٧٥} - سورة الأنفال، آية ٤٢

^{٩٧٦} - سورة الرعد، آية ٤٠

^{٩٧٧} - سورة الغاشية

^{٩٧٨} - أمالي الطوسي، ص ٤٠٦

وفي الزيارة الجامعة الواردة عن الإمام الهادي (عليه السلام): "وَأَيُّبُ الْخَلْقِ
إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُ عَلَيْكُمْ".^{٩٧٩}

قال الشيخ الصدوق في "الاعتقادات": "منه ما يتولاه الله تعالى، ومنه ما
يتولاه حججه. فحسابُ الأنبياءِ والرسلِ والأئمةِ - عليهم السلام - يتولاه الله عزّ
وجل، ويتولى كلُّ نبيٍّ حسابُ أوصيائه، ويتولى الأوصياءُ حسابَ الأمم. والله تعالى
هو الشهيدُ على الأنبياءِ والرسلِ، وهم الشهداءُ على الأوصياءِ، والأئمةُ شهداءُ على
الناس، وذلك قوله عز وجل: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا﴾^{٩٨٠} وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ
عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^{٩٨١}.^{٩٨٢}

أصناف المحاسبين: يُستفادُ من الروايات الشريفة أن الناس في يوم الحساب
أصنافٌ أربعةٌ، على حسب أعمالهم في الدنيا:

- صنفٌ يدخل الجنة بلا حساب: وهم أهل الفضل وأهل الصبر، والمتحابون
المتبازلون المتزاورون في الله. عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قال: "إذا

٩٧٩- عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٣٠٦

٩٨٠- سورة البقرة، آية ١٤٣

٩٨١- سورة النساء، آية ٤١

٩٨٢- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٧٣

جمع الله الأولين والآخرين، ينادي منادٍ: أين الصابرون، ليدخلوا الجنة بغير حساب".^{٩٨٣}

- وصنفٌ يدخل النار بلا حساب: وهم أهل الشرك، وأئمة الكفر والضلال، والتاجر الكذوب، والشيخ الزاني... عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "ثلاثة يُدخلهم الله الجنة بغير حساب، وثلاثة يُدخلهم الله النار بغير حساب: فأما الذين يدخلهم الله الجنة بغير حساب، فإمامٌ عادلٌ، وتاجرٌ صدوقٌ، وشيخٌ أفنى عمره في طاعة الله عز وجل، وأما الثلاثة الذين يُدخلهم النار بغير حساب، فإمامٌ جائرٌ، وتاجرٌ كذوبٌ، وشيخٌ زانٍ".^{٩٨٤}

- وصنفٌ يحاسبون حساباً يسيراً: أي يُنظر في سيئاتهم ويُتجاوز عنها، ومن هؤلاء: ذوو الخلق الحسن، وأصحاب العفو والبذل والوصل. عن النبي (صلى الله عليه وآله): "ثلاث من كُنَّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تعطي من حرَمَك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك".^{٩٨٥}

- وصنفٌ يحاسبون حساباً عسيراً: أي يُدأق الله تعالى في حسابهم، فيحاسبهم على كلِّ صغيرة وكبيرة، ويطالبهم بالجليل والحقير، ولا يسامحهم بشيءٍ ولو صغُر.

^{٩٨٣} - مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٤٢٦

^{٩٨٤} - بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٣٧

^{٩٨٥} - تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٣٠٥

وهؤلاء هم الذين يحاسبون إخوانهم بدقة، ويستقصون كامل حَقِّهم، ولا يسمحون ولو بمقدارٍ قليل.^{٩٨٦}

وهذه الرواية تتكلم عن أصناف المحاسبين: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):
"والناس يومئذٍ على طبقاتٍ ومنازل، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لأنَّهم لم يتلبَّسوا من أمر الدنيا بشيء، وإنَّما الحسابُ هناك على من تلبَّسَ ها هنا، ومنهم من يُحاسبُ على النقييرِ والقطميرِ"^{٩٨٧}، ويصير إلى عذاب السعير، ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلال، فأولئك لا يقيمُ لهم وزناً، ولا يعابُ بهم، لأنَّهم لم يعابوا بأمره ونهيه، فهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النَّارُ، وهم فيها كالحنون".^{٩٨٨}

ما هو معيار الحساب؟ يحاسب الله تعالى عبده يومَ القيامةِ على قدر ما أعطاه في الدنيا:

فالعالمُ لا يُحاسبُ محاسبةَ الجاهل. عن الإمام الباقر (عليه السلام): "إنَّما يُدأقُ اللهُ العبادَ في الحسابِ يومَ القيامةِ على قدرِ ما آتاهم من العقول في الدنيا".^{٩٨٩}

^{٩٨٦}- راجع: مركز نون للتأليف والترجمة، رحلة الأخرى، الدرس العاشر، ص ١٢١ - ١٢٤

^{٩٨٧}- النقيير: هو النكتة في ظهر النواة. القطمير: القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة. (المقصود من ذلك هو الحساب الدقيق).

^{٩٨٨}- الاحتجاج، ج ١، ص ٣٦٤

^{٩٨٩}- الكافي، ج ١، ص ١٢

والغني لا يُحاسبُ محاسبةَ الفقير. عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إذا كان يومُ القيامة قامَ عنقُ من الناس حتى يأتوا بابَ الجنة، فيضربوا بابَ الجنة، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون نحنُ الفقراء، فيقال لهم: أقبَلِ الحساب؟ فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً تحاسبونا عليه، فيقول الله عز وجل: صدقوا، ادخلوا الجنة".^{٩٩٠}

عمَّ يُسأل العبدُ يومَ الحساب؟ إنَّ أهمَّ ما يسأل الله العبدَ عنه يومَ القيامة هو: التوحيد، والنبوة، والولاية، ومحبة أئمة أهل البيت، والصلاة، والعمرة، والمال، والجوراح... وهذه الروايات تُثبتُ بعضَ ذلك:

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة حتى يُسألَ عن أربعة: عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبِّ أهل البيت. فقيل يا رسول الله، فما علامةُ حبِّكم؟ فضرب بيده على منكب علي رضي الله عنه".^{٩٩١}

- عن الإمام الباقر (عليه السلام): "إنَّ أوَّلَ ما يُحاسبُ به العبدُ الصلاة، فإن قُبِلت قُبِلَ ما سواها".^{٩٩٢}

- عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي، إنَّ أوَّلَ ما يُسأل عنه العبدُ بعد موته شهادةُ أن لا إله إلاَّ

٩٩٠- الكافي، ج ٢، ص ٢٦٤

٩٩١- الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٢، ص ٣٤٨

٩٩٢- تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٣٩

اللَّهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَّكَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ وَجَعَلْتَهُ لَكَ، فَمَنْ أَقْرَبَ بِذَلِكَ وَكَانَ يَعْتَقِدُهُ صَارَ إِلَى النِّعَمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ".^{٩٩٣}

- عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): أَتَدْرُونَ مَا الْمَفْلَسُ؟ فَقِيلَ: الْمَفْلَسُ فِينَا مِنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ لَهُ، فَقَالَ: الْمَفْلَسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".^{٩٩٤}

مدة الحساب: روي أن الله تعالى يُحَاسِبُ جَمِيعَ عِبَادِهِ عَلَى مَقْدَارِ حَلْبِ شَاةٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَشْغَلُهُ مَحَاسِبَةُ أَحَدٍ عَنِ مَحَاسِبَةِ غَيْرِهِ.^{٩٩٥} وَلَيْسَ هَذَا عَجِيبًا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ عَنِ نَفْسِهِ: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.^{٩٩٦}

وَعَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "لَوْ وَلِيَ الْحِسَابَ غَيْرُ اللَّهِ لَمَكَّثُوا فِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْرَغُوا، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ فِي سَاعَةٍ".^{٩٩٧}

٩٩٣- عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ١٣٧

٩٩٤- بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٦

٩٩٥- تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٥

٩٩٦- سورة البقرة، آية ٢٠٢

وعنه (عليه السلام): "لا يَنْتَصِفُ ذلكَ اليومُ حتَّى يُقْبَلَ أهلُ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ، وأهلُ النَّارِ في النَّارِ".^{٩٩٨}

طريقة الحساب: قال الشيخ الصدوق: "والله تعالى يخاطبُ عباده من الأولين والآخرين بمحملِ حسابٍ عملهم مخاطبةً واحدةً، يسمع منها كلُّ واحدٍ قضيتَه دون غيرها، ويظنُّ أنه المخاطبُ دون غيره، لا تشغله تعالى مخاطبةٌ عن مخاطبةٍ، ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا".^{٩٩٩}

وسئل أمير المؤمنين (عليه السلام): "كيف يحاسبُ اللهُ الخلقَ على كثرتهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرتهم. قيل: فكيف يحاسبهم ولا يروونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يروونه".^{١٠٠٠}

ما يهونُ الحساب: ورد في الروايات أن عدداً من الأعمال تهونُ على صاحبها الحساب. من هذه الأعمال:

- صلةُ الرحم: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن صلة الرحم تهونُ الحسابَ يومَ القيامة، وهي منسأةٌ في العمر، وتقي مصارعَ السوء".^{١٠٠١}

^{٩٩٧}- الشيخ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ٣، ص ٦٣٣

^{٩٩٨}- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٣٣

^{٩٩٩}- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٧٥

^{١٠٠٠}- نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٢

^{١٠٠١}- الكافي، ج ٢، ص ١٥٧

- قلّة المال: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): " شيطان يكرههما ابنُ آدم: يكره الموتَ، والموتُ راحةٌ للمؤمن من الفتنة، ويكرهُ قلّةَ المال، وقلّةُ المال أقلُّ للحساب".^{١٠٠٢}
- حُسْنُ الخُلُقِ: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "حَسَنُ خُلُقِكَ يُخَفِّفِ اللهُ حِسَابَكَ".^{١٠٠٣}
- محاسبة النفس: وهي أن ينظر المرءُ في عمله كلَّ يوم، فيُخَفِّفَ من ذنوبه، ويزيدُ من حسناته. ومحاسبة النفس مفيدةٌ جداً لتخفيف الحساب في الآخرة. عن النبي صلى الله عليه وآله: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر".^{١٠٠٤}

^{١٠٠٢}- الخصال، ص ٧٤

^{١٠٠٣}- أمالي الصدوق، ص ٢٧٨

^{١٠٠٤}- بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٧٣

الدرس الثالث والخمسون: (المحكمة الإلهية والصراف)

المحكمة الإلهية: وهي محكمة عظيمة، يجتمع فيها كل الخلائق عند جبار السماوات والأرض، فيحكم بينهم بالعدل، ويأخذ كل ذي حق حقه ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. ١٠٠٥

عناصر المحكمة الإلهية: على غرار محاكم الدنيا، فإن المحكمة الإلهية تضم العناصر التالية:

أولاً: الحاكم أو القاضي: وهو الله سبحانه وتعالى الذي ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ١٠٠٦ و﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ١٠٠٧ ، و﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾. ١٠٠٨

ثانياً: المتهم: وهو الإنسان الضعيف الذي يقف بين يدي ربه منتظراً الحكم؛ إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ثالثاً: الشهود: وهم كثيرون، ولا مجال لردّ شهادة واحدٍ منهم. وأبرز هؤلاء الشهود هم:

١٠٠٥- سورة الزمر، آية ٦٩

١٠٠٦- سورة طه، آية ٧

١٠٠٧- سورة غافر، آية ١٩

١٠٠٨- سورة سبأ، آية ٣

— الله سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

١٠٠٩

— أنبياء الله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾. ١٠١٠

— الملائكة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ١٠١١ ، "... وَجَعَلْتَهُمْ شُهوداً عَلَىٰ مَعَ جَوَارِحِي". ١٠١٢

— الأعضاء والجوارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ١٠١٣

— صحيفة الأعمال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ١٠١٤

— النهار والليل: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إِنَّ النَّهَارَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، اْعْمَلْ فِي يَوْمِكَ هَذَا خَيْرًا أَشْهَدُ لَكَ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

١٠٠٩- سورة آل عمران، آية ٩٨

١٠١٠- سورة النحل، آية ٨٩

١٠١١- سورة ق، آية ١٨

١٠١٢- مصباح المتهجد، ص ٨٤٩ من دعاء كميل

١٠١٣- سورة النور، آية ٢٤

١٠١٤- سورة الجاثية، آية ٢٩

فإني لم آتِكَ فيما مضى ولا آتِيكَ فيما بقي، وإذا جاء الليلُ قال مثلُ ذلك".^{١٠١٥}

- الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.^{١٠١٦} عن رسول الله (صلى الله عليه
"أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أخبارها أن تشهدَ على
كلِّ عبدٍ بما عملَ على ظهرها، تقول عملَ كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه
أخبارها".^{١٠١٧}

رابعاً: الميزان: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.^{١٠١٨}
اختلف المفسرون في معنى الميزان، فبعض قال بأنه ميزان حقيقيٌّ له لسانٌ وكفتان،
وبعضٌ قال أن الميزان كنايةٌ عن العدل، وقال آخرون أن الميزان هو الحساب، وذهبت
طائفة رابعة إلى أن الميزان هو الأنبياء والأوصياء. وكلُّ فريقٍ أيَّد قوله برواية أو أكثر.
والظاهر أنها كلها تفسيراتٌ بالمصداق. وأياً كان الميزان فواجبنا أن نعتقدَ به على
الجملة دون التفصيل، أي أنه ما يُعلمُ به صالحُ الأعمالِ من طالحها.^{١٠١٩}

١٠١٥- الكافي، ج ٢، ص ٤٥٥

١٠١٦- سورة الزلزلة، آية ٤

١٠١٧- النوري، رياض الصالحين، ص ٢٣٧

١٠١٨- سورة الأنبياء، آية ٤٧

١٠١٩- انظر: تفسير الميزان، ج ٨، ص ١٣

الصِّراطُ ومعناه: الصِّراطُ لغةً هو الطريق. أما اصطلاحاً فهو جسرٌ ممدودٌ فوق جهنّم، أدقُّ من الشعرة، وأحدُّ من السيف، وأشدُّ حرارةً من النار، يمرُّ عليه جميعُ الخلق، فمن عبره أفضى به إلى الجنة، ومن تعثر هوى به في النار.

الصراطُ المستقيمُ في الدنيا: وهو المشيُّ إلى الله تعالى باستقامةٍ، والعملُ بمقتضى أوامره، والابتعاد عن نواهيه. ولا شكَّ عندنا أن طريقَ أهل البيت (عليهم السلام) هو طريقُ الله تعالى، وأنَّ كلَّ امرئٍ ينحرفُ عن نهجهم ينحرف عن الصراطِ المستقيم. ويؤكدُ هذا رواياتٌ عدَّة، منها:

- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أثبتكم قدماً على الصراطِ أشدكم حباً لأهل بيتي". ١٠٢٠

- عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٠٢١ قال: "هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفةً". ١٠٢٢

- عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): "... نحن أبوابُ الله، ونحن الصراطُ المستقيم، ونحن عيبةُ علمه، ونحن تراجمهُ وحيه، ونحن أركانُ توحيدهِ، ونحن موضعُ سرِّهِ". ١٠٢٣

١٠٢٠- الشيخ الصدوق، فضائل الشيعة، ص ٥

١٠٢١- سورة الفاتحة، آية ٦

١٠٢٢- معاني الأخبار، ص ٣٢

١٠٢٣- معاني الأخبار، ص ٣٥

- عن المفضل بن عمر، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط، فقال: "هو الطريقُ إلى معرفةِ الله عز وجل، وهما صراطان: صراطٌ في الدنيا، وصراطٌ في الآخرة. وأما الصراطُ الذي في الدنيا فهو الإمامُ المفترضُ الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراطِ الذي هو جسرُ جهنمَ في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّتْ قدمه عن الصراطِ في الآخرة، فتردَّى في نارِ جهنم. ١٠٢٤

العلاقة بين صراط الدنيا وصراط الآخرة: بين الصراطين علاقةٌ وطيدة؛ فمن استقام على الصراطِ المستقيم في الدنيا، خفَّ في العبور عليه في الآخرة ونجَّ، ومن انحرف عنه هنا، سقط عنه هناك. ويؤكد هذا المعنى قولُ الإمام الصادق عليه السلام: "النَّاسُ يَمْرُونَ عَلَى الصَّرَاطِ طَبَقَاتٍ، وَالصَّرَاطُ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ وَمِنْ حَدِّ السِّيفِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مِثْلَ عَذْوِ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ حَبْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مَشِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ مَتَعَلِّقًا، قَدْ تَأْخُذُ النَّارُ مِنْهُ شَيْئًا وَتَتْرِكُ شَيْئًا". ١٠٢٥

عقبات الصراط: وهي أشبه بالحواجز، يُسأل العبد عند كلِّ منها عن شيءٍ محددٍ. قال الشيخ الصدوق: "وعلى الصراط عقباتٌ تسمَّى بأسماء الأوامر والنواهي كالصلاة والزكاة والرحم والأمانة والولاية، فمن قصَّر في شيءٍ منها حُبِسَ عند تلك العقبة

١٠٢٤- معاني الأخبار، ص ٣٢

١٠٢٥- أمالي الصدوق، ص ٢٤٢

وطُوبِ بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا، فَإِنْ خَرَجَ مِنْهَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمَهُ أَوْ رَحْمَةٍ تَدَارَكْتُهُ، نَجَا مِنْهَا إِلَى عَقِبَةِ أُخْرَى، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا سَلِمَ مِنْهَا جَمِيعاً انْتَهَى إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، فَيَحْيَا حَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَداً، وَيَسْعُدُ سَعَادَةً لَا شِقَاوَةَ مَعَهَا أَبَداً، وَإِنْ لَمْ يَسَلِّمْ زَلَّتْ قَدَمُهُ عَنِ الْعَقِبَةِ فَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ". ١٠٢٦

بعض ما يُسهّل عبور الصراط: ورد في الروايات الشريفة بعض الأمور التي تُسهّل المرور على الصراط، منها:

- صلة الرحم وأداء الأمانة: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "حافنا الصراط يوم القيامة الأمانة والرحم، فإذا مرّ الوصول للرحم والمؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مرّ الخائن للأمانة والقطع للرحم لم ينفعه مهما عمل، ويكفأ به الصراط في النار". ١٠٢٧

- صوم في رجب: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من صام من رجب ستة أيام خرج من قبره ولوجه نور يتلألأ، أشدُّ بياضاً من نور الشمس، وأعطى سوى ذلك نوراً يستضيء به أهل الجمع يوم القيامة، وتُبعث من الآمنين يوم القيامة حتى يمرّ على الصراط بغير حساب". ١٠٢٨

١٠٢٦- المعاد يوم القيامة، ص ١٣٥ نقلاً عن الاعتقادات للصدوق، ص ٧١ - ٧٢، وقد وجدت النص في الأصل مع اختلافات يسيرة.

١٠٢٧- مستدرك الوسائل، ج ١٥، ص ٢٤٨

١٠٢٨- ثواب الأعمال، ص ٥٥

- صلاة في شعبان: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من صلى في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان عشر ركعات... أعطاه الله تعالى ثواب المجتهدين، وثقل ميزانه، ويخفف عنه الحساب، ويمرُّ على الصراطِ كالبرق الخاطف". ١٠٢٩

- زيارة الإمام الرضا (عليه السلام): قال الإمام الرضا (عليه السلام): "من زارني على بعد داري، وشطّ مزاري، أتته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتبُ يميناً وشمالاً، وعند الصراطِ، وعند الميزان". ١٠٣٠

الولاية رخصة لعبور الصراط: فلا عبور على الصراط بدون الولاية، وهذا ما نصّ عليه ليس الشيعة فحسب، بل أهل الخلاف أيضاً، فقد رووا عن النبي (صلى الله عليه وآله): "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنم، لم يجر أحدٌ إلا من كانت معه براءة بولاية عليّ بن أبي طالب". ١٠٣١

١٠٢٩- إقبال الأعمال، ج ٣، ص ٣٦٥

١٠٢٠- المزار، ص ١٩٥

١٠٢١- الغدير، ج ١، ص ٣٨٨ نقلاً عن الحاكم النيسابوري.

الدرس الرابع والخمسون: (أصحاب الأعراف، اللواء، الحوض)

معنى الأعراف: الأعراف في اللغة: جمع عُرف وهو كلُّ عالٍ مرتفع، فيقال عُرفُ الجبل أي أعلاه، وعُرفُ الديك، ويُطلق العُرف على السور أيضاً.^{١٠٣٢}

أما في الاصطلاح فهو سورٌ أو جبلٌ واقعٌ بين الجنة والنار ومشرفٌ عليهما، يقف عليه رجال معلومون.

آية الأعراف في القرآن: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ [بين الجنة والنار] وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.^{١٠٣٣}

صفات رجال الأعراف: هم رجالٌ أعلى مقاماً من أهل الجنة، يُشرفون على الجنة والنار، ويعرفون أهليهما كلاً بسيماهم، ولهم أن يتكلّموا بالحق ويشهدوا ويشفّعوا ويأمروا ويقضوا، كلُّ ذلك بإذن الله وتعالى.

من هم أصحاب الأعراف؟ اختلف المفسّرون في تحديد هؤلاء الرجال، لكنّ الروايات المتضاربة أثبتت أنّهم الأئمة من آل بيت محمد (صلى الله عليه وآله). قال الشيخ الصدوق: "إعتقادنا في الأعراف أنه سورٌ بين الجنة والنار عليه رجالٌ يعرفون كلاً بسيماهم، والرجال هم النبي وأوصياؤه".^{١٠٣٤}

^{١٠٣٢}- انظر: لسان العرب، فعل: عرف

^{١٠٣٣}- سورة الأعراف، آية ٤٦

^{١٠٣٤}- الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٧٠

وفي الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير آية الأعراف: "هم آل محمد عليهم السلام؛ لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وأعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم".^{١٠٣٥}

وفي رواية ثانية عن بريد العجلي، قال: "سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ. قال: أنزلت في هذه الأمة، والرجال هم الأئمة من آل محمد، قلت: فالأعراف؟ قال: صراط بين الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منا في المؤمنين المذنبين نجا، ومن لم يشفعوا له هوى".^{١٠٣٦}

لواء الحمد: وهو لواءٌ عظيمٌ جداً، وصفه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رواية بأنه سبعون شقّةً (قطعةً)، وكلُّ شقّةٍ منه أوسع من الشمس والقمر! ومكتوبٌ على هذا اللواء: "المفلحون هم الفائزون بالجنة"^{١٠٣٧}، وفي رواية "لا إله إلا الله، المفلحون هم الفائزون بالله"^{١٠٣٨}.

ويُعطى هذا اللواء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن يتميّزَ الفريقان؛ أهل الجنة وأهل النار، فيدفعه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يمشي

١٠٣٥- بصائر الدرجات، ص ٥١٦

١٠٣٦- بصائر الدرجات، ص ٥١٦

١٠٣٧- بصائر الدرجات، ص ٤٣٧

١٠٣٨- معاني الأخبار، ص ١١٦

به إلى الجنة، ويسير وراءه أهل الجنة جميعاً من آدم (عليه السلام) إلى آخر مؤمن. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَأْتِنِي جِبْرَائِيلُ وَمَعَهُ لَوَاءُ الْحَمْدِ، وَهُوَ سَبْعُونَ شِقَّةً، الشَّقَّةُ مِنْهُ أَوْسَعُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَنَا عَلَى كُرْسِيِّ مِنْ كُرَاسِي الرِّضْوَانِ، فَوْقَ مَنْبَرٍ مِنْ مَنْابِرِ الْقُدْسِ، فَأَخْذُهُ وَأَدْفَعُهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَوَثَبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يُطِيقُ عَلِيٌّ حَمَلَ اللَّوَاءِ، وَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّهُ سَبْعُونَ شِقَّةً، الشَّقَّةُ مِنْهُ أَوْسَعُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُعْطِي اللَّهُ عَلِيًّا مِنَ الْقُوَّةِ مِثْلَ قُوَّةِ جِبْرَائِيلَ...".^{١٠٣٩}

حامل لواء الحمد هو أمير المؤمنين (عليه السلام): تضافرت الروايات عندنا وعند كثيرٍ من أهل الخلاف على أن حاملَ لواءِ الحمد يومَ القيامة، وقائدَ الغرِّ المحجلِّين إلى جناتِ النعيم هو أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب (عليه السلام)، ونؤكد ذلك بهذه الروايات من كتب أهل الخلاف:

- في "كنز العمال" عن ابن عباس قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: أنت أمامي يومَ القيامة، فيُدفع إليّ لواءُ الحمدِ فأدفعُهُ إليك، وأنت تذودُ الناسَ عن حوضي".^{١٠٤٠}

^{١٠٣٩}- الخصال، ص ٥٨٢

^{١٠٤٠}- ج ١٣، ص ١٤٥، رقم الحديث ٣٦٤٥٥

- في "تاريخ دمشق" روى ابن عساكر عن أنس بن مالك: سألتُ رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: بأبي وأمي مَنْ صاحبُ لوائك يوم القيامة؟ قال: صاحب لوائي في دار الدنيا، وأوماً إلى علي بن أبي طالب".^{١٠٤١}

- في "كنز العمال" أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): "سألتُ الله، يا علي، فيك خمساً، فمنعني واحدةً وأعطاني أربعاً: سألتُ الله أن يجمع عليك أمّتي، فأبى عليّ وأعطاني فيك: أن أوّل من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة أنا وأنت معي، معك لواء الحمد وأنت تحمله بين يديّ، تسبق به الأوّلين والآخريين، وأعطاني فيك أنّك وليّ المؤمنين بعدي".^{١٠٤٢}

هذه بعض روايات المنصفين من أهل الخلاف، أما صاحبنا الصحيحين "البخاري ومسلم" الحاقدان فلم يذكر أحاديث اللواء حتى لا يضطرا إلى ذكر هذه الفضيلة لعلي (عليه السلام)، فبقي المحشر عندهما بلا رئيس ولا لواء!

أما رواياتنا التي تُثبت هذه الفضيلة لأمير المؤمنين (عليه السلام) فهي كثيرة جداً، ولا مجال لذكرها هنا، بل نكتفي بهذه: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "يا علي أنت أخي ووزير، وصاحب لوائي

١٠٤١- ج ٤٢، ص ٧٥

١٠٤٢- ج ١١، ص ٦٢٥، رقم الحديث ٣٣٠٤٧

في الدنيا والآخرة، وأنت صاحبُ حوضي، من أحببك أحبني، ومن أبغضك أبغضني".^{١٠٤٣}

الحوض: وهو حوضُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يرد عليه الصالحون من أمته يومَ القيامة، وينهلون من مَعِينِهِ شربةً لا يظْمَأُون بعدها أبداً. ولا يُمكن لأحدٍ الدخول إلى الجنة إلا أن يشربَ من هذا الحوض. وهو من الأمور الثابتة المذكورة في القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^{١٠٤٤} وفي الكثير من الأحاديث الشريفة.

عقيدتنا في الحوض والساقى عليه: قال الشيخ الصدوق في "الاعتقادات": "اعتقدنا في الحوض أنه حق، وأنَّ عرضه ما بين أيلة وصنعاء، وهو حوض النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنَّ فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وأنَّ الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يسقي منه أوليائه، ويدود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً".^{١٠٤٥}

وعن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله): "من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي".^{١٠٤٦}

١٠٤٣- أمالي الصدوق، ص ١١٦

١٠٤٤- سورة الكوثر، آية ١

١٠٤٥- ص ٦٥

١٠٤٦- أمالي الصدوق، ص ٥٦

من أبغضَ علياً لا يُسقى من الحوض: وهذا ثابتٌ قطعاً عندنا، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "من أحبَّ علياً وأطاعه في دار الدنيا وردَّ على حوضي غداً، وكان معي في درجتي في الجنة، ومن أبغض علياً في دار الدنيا وعصاه، لم أره ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني وأخذ به ذات الشمال إلى النار".^{١٠٤٧}

ثم إن كتب أهل الخلاف تعترف أن عدداً كبيراً من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) سيأتون الحوض يوم القيامة، فيطردون عنه، وفي ذلك عشرات الروايات، منها:

- روى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: "يردُّ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي فيحلُّون عنه! فأقول: يارب أصحابي؟! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقري".^{١٠٤٨}

- في "سنن أبي داود" عن النبي (صلى الله عليه وآله): "ما أنتم بجزءٍ من مائة ألفٍ جزءٍ ممن يرُدُّ عليَّ الحوض".^{١٠٤٩}

وليس هؤلاء الذين يُجرمون وروَدَ حوضِ النبي (صلى الله عليه وآله) إلا مبغضي عليٍّ (عليه السلام).

^{١٠٤٧}- أمالي الصدوق، ص ٣٧٤

^{١٠٤٨}- صحيح البخاري، ج ٧، ص ٢٠٨

^{١٠٤٩}- ج ٢، ص ٤٢٣

الدرس الخامس والخمسون: (جنة النعيم)

معنى الجنة: الجنة لغةً هي مصدر مرةٍ من جنَّ أي سترَ. ويُسمَّى البستان أو الحديقة ذات النخيل والأشجار الكثيفة جنةً لأنه يستترُّ من يسيرُ فيه.^{١٠٠٠} أما اصطلاحاً فهي الدار التي أعدّها الله لثواب المؤمنين في الآخرة.

إعتقادنا في الجنة: قال الشيخ الصدوق في "الاعتقادات": "اعتقادنا في الجنة أنها دارُ البقاء ودارُ السلامة، لا موتٌ فيها ولا هرمٌ ولا سقمٌ ولا مرضٌ ولا آفةٌ ولا زوالٌ ولا زمانةٌ ولا همٌّ ولا غمٌّ ولا حاجةٌ ولا فقرٌ. وأنها دارُ الغنى ودارُ السعادة، ودارُ المقامة ودارُ الكرامة، لا يمسُّ أهلها نصبٌ ولا يمسُّهم فيها لغوبٌ، لهم فيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعيُنُ وهم فيها خالدون. وأنها دارُ أهلها جيرانُ الله تعالى وأولياؤه وأحباؤه وأهلُ كرامته... واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان... واعتقادنا أنه لا يخرجُ أحدٌ من الدنيا حتّى يرى مكانه من الجنة أو من النار".^{١٠٠١}

أبواب الجنة: للجنة ثمانية أبوابٍ، مكتوب على كل واحدٍ: "لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله عليٌّ وليُّ الله".^{١٠٠٢}

- عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): "إنَّ للجنة ثمانية أبوابٍ: بابٌ يدخل منه النبيون والصدّيقون، وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسةٌ أبواب

١٠٠٠- انظر لسان العرب، فعل: جنن

١٠٠١- ص ٧٦ - ٧٩

١٠٠٢- انظر: ابن شاذان، الروضة في فضائل أمير المؤمنين (ع)، ص ١٧٥

يدخل منها شيعتنا ومحَبّونا... وبابٌ يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدارُ ذرّةٍ من بغضنا أهل البيت".^{١٠٥٣}

- عن الإمام الباقر (عليه السلام): "أحسنوا الظنّ بالله، واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عرضُ كلّ بابٍ منها مسيرة أربعين سنة".^{١٠٥٤}

سعة الجنة: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): "جُعِلت فداك يا بن رسول الله شوّقني، فقال: يا أبا محمد إنّ الجنّة توجد ريحها من مسيرة ألفِ عام، وإن أدنى أهلِ الجنّة منزلاً لو نزل به الثقلانِ الجنُّ والإنسُ لوسّعهم طعاماً وشراباً ولا ينقصُ ممّا عنده شيء".^{١٠٥٥}

درجات الجنة: ليست الجنةُ درجةً واحدةً، بل درجاتٌ متفاوتةٌ بعضها فوق بعض، يتفاضلُ أهلها بسكناها كما كانوا يتفاضلون بأعمالهم في الدنيا. قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.^{١٠٥٦}

قال أبو عبد الله عليه السلام: "لا تقولنّ الجنةُ واحدةً، إنّ الله يقول: ﴿وَمَنْ دُونَهُمَا جَنَّتَانٍ﴾"^{١٠٥٧}، ولا تقولنّ درجةً واحدةً، إنّ الله يقول: (درجات بعضها فوق بعض)^{١٠٥٨} إنّما تفاضل القوم بالأعمال".^{١٠٥٩}

١٠٥٣- الخصال، ص ٤٠٨

١٠٥٤- الخصال، ص ٤٠٨

١٠٥٥- بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٢٠

١٠٥٦- سورة الإسراء، آية ٢١

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): "الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نورٌ يكادُ يخطفُ بصره، فيفرحُ فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نورُ أخيك المؤمن، فيقول: هذا أخي فلان، كنا نعملُ جميعاً في الدنيا، وقد فُضِّلَ عليَّ هكذا؟! فيقال: إنه كان أفضلَ منك عملاً، ثم يُجعلُ في قلبه الرضا حتى يرضى".^{١٠٦٠}

درجةُ النبيِّ وأهلِ بيته في الجنة: روت أحاديثُ أهل البيت (عليهم السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لهم درجة الوسيلة، وهي أعلى مساكن الفردوس، إلى جانب مساكن إبراهيم وآله (عليه السلام).^{١٠٦١}

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): "إذا سألتُم الله لي فسלוه الوسيلةً. فسألنا النبي (ص) عن الوسيلة فقال: هي درجتي في الجنة... فيؤتى بها يوم القيامة حتى تُنصبَ مع درجة النبيين، فهي في درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذٍ نبي ولا صديق ولا شهيدٌ إلا قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته. فيأتي النداء من عند الله عز وجل، يُسمع النبيين وجميع الخلق: هذه درجة محمد.

١٠٥٧- سورة الرحمن، آية ٦٢

١٠٥٨- لم أعر عليها في القرآن الكريم، لكن يوجد آيات شبيهة.

١٠٥٩- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٥١

١٠٦٠- أمالي الطوسي، ص ٥٢٩

١٠٦١- انظر: مركز المصطفى (ص)، العقائد الإسلامية، ج ٤، ص ٢٩٦

فأقبلُ أنا يومئذٍ متزراً بريطةٍ من نور، عليّ تاجُ الملكِ وإكليلُ الكرامة،
وعليّ بن أبي طالبٍ أمامي، ويده لوائي وهو لواءُ الحمد، مكتوب عليه: لا إله
إلا الله، المفلحون هم الفائزون بالله. فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكانِ
مقربانِ لم نعرفهما ولم نرهما، وإذا مررنا بالملائكة قالوا: نبيين مرسلين، حتى
أعلو الدرجة وعليّ يتبعني، حتى إذا صرتُ في أعلى درجة منها وعليّ أسفل
مني بدرجة، فلا يبقى يومئذٍ نبيٌّ ولا صديقٌ ولا شهيدٌ إلا قال: طوبى لهذين
العبدين ما أكرمهما على الله تعالى!

فيأتي النداء من قبل الله عز وجل يُسمعُ النبيين والصدّيقين والشهداء
والمؤمنين: هذا حبيبي محمد، وهذا وليي علي، طوبى لمن أحبه وويل لمن
أبغضه وكذب عليه. فلا يبقى يومئذٍ أحدٌ أحبَّك يا علي، إلا استروح إلى هذا
الكلام، وابيضَّ وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحد ممن عاداك، أو نصب لك
حرباً، أو جحد لك حقاً، إلا اسودَّ وجهه واضطربت قدماه".^{١٠٦٢}

هل يتزاوَرُ أصحاب الدرجات المتفاوتة في الجنة؟ سئل الإمام الصادق (عليه
السلام): "إنَّ المؤمنيّن يدخلان الجنة فيكون أحدهما أرفع مكاناً من الآخر
فيشتهي أن يلقي صاحبه؟ قال: من كان فوقه فله أن يهبط، ومن كان تحته لم

١٠٦٢- معاني الأخبار، ص ١١٦

يكن له أن يصعدَ لأنّه لا يبلغُ ذلك المكان، ولكنهم إذا أحبّوا ذلك واشتهوه
التقوا على الأسرة".^{١٠٦٣}

أهم ما تميّز به الجنة: للجنة صفاتٌ خاصةٌ غير موجودةٍ بجنان الدنيا. وأبرز
صفتين تميّز بهما عن جنان الدنيا هما:

النعيم المحض: ليس في الجنة شيءٌ يكدر صفو العيش فيها إطلاقاً، فلا مرض ولا
هم ولا هرم ولا موت...

الخلود الدائم: فهي لا تفتى ولا تبعد أبداً لبقاء لبقوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^{١٠٦٤} وقوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾^{١٠٦٥}
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.^{١٠٦٦}

من هم أهل الجنة؟ حدّثت رواياتٌ عديدةٌ أهل الجنة. وهذه واحدةٌ منها:

- رسول الله (صلى الله عليه وآله): حملة القرآن عرفاء أهل الجنة،
والمجاهدون في سبيل الله تعالى قواد أهل الجنة، والرسل سادات أهل
الجنة.^{١٠٦٧}

^{١٠٦٣}- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٥١

^{١٠٦٤}- سورة المائدة، آية ١١٩

^{١٠٦٥}- سورة هود، آية ١٠٨

^{١٠٦٦}- سورة ص، آية ٥٤

^{١٠٦٧}- بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٩٩

أول من يدخل الجنة: ورد عندنا أن الإمام علياً (عليه السلام) هو أول من يدخل الجنة، ففي الرواية عن الإمام علي (عليه السلام) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أنت أول من يدخل الجنة، فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك؟ قال: نعم، إنك صاحب لوائي في الآخرة، كما أنك صاحب لوائي في الدنيا، وحامل اللواء هو المتقدم. ثم قال صلى الله عليه وآله: يا علي، كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي، وهو لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه".^{١٠٦٨}

التنافس على درجات الجنة: كلُّ الشيعة المتبعون لأهل البيت حقاً، ناجون من النار يوم القيامة، لكنهم يتفاوتون في درجاتهم. من هنا حثَّ الإمام الصادق (عليه السلام) شيعته على التنافس على درجات الجنة بقوله: "والله لا يدخل النار منكم أحدٌ، فتنافسوا في الدرجات، وأكمدوا عدوكم بالورع".^{١٠٦٩}

كنوز الجنة: ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): "أربعٌ من كنوز الجنة: كتمانُ الفاقة، وكتمانُ الصدقة، وكتمانُ المصيبة، وكتمانُ الوجع".^{١٠٧٠}

وورد عن الإمام علي (عليه السلام): من كنوز الجنة البرُّ، وإخفاءُ العمل، والصبرُ على الرزايا، وكتمانُ المصائب".^{١٠٧١}

١٠٦٨- عطل الشرائع، ج ١، ص ١٧٣

١٠٦٩- أمالي الطوسي، ص ٢٩٦

١٠٧٠- قطب الدين الراوندي، الدعوات، ص ١٦٤

١٠٧١- ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ص ٢٠٠

الدرس السادس والخمسون: (لذات الجنة)

نعيم الجنة ولذاتها: لعلَّ أخصَرَ وأبلغَ عبارةً قيلت في وصف نعيم الجنة ولذاتها هي الحديث القدسي: "أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر".^{١٠٧٢} وهذه بعض الروايات تصف أهل الجنة والنعيم الذي أعدّه الله عز وجل لهم فيها:

- صفة أهل الجنة: عن النبيّ (ص): "يا ابن سلام، يدخلونها أبناء ثلاثين وبنات ثلاثين سنةً، في حُسن يوسف وطول آدم وخُلُق محمد... لو أنّ رجلاً من أهل الجنة يبصق في البحار المالحة لعذبت، ولو نزل من ذؤابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوءها كضوء الشمس ونور القمر".^{١٠٧٣}

وعنه (صلى الله عليه وآله): "يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً مكحّلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة".^{١٠٧٤}

- لباس أهل الجنة: عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): "إذا أدخل المؤمن إلى منازل في الجنة، ووُضع على رأسه تاج الملك والكرامة، ألبس حُلل الذهب والفضة والياقوت والدر المنظوم في الإكليل تحت التاج، قال: وألبس سبعين حلةً حرير، بألوان مختلفة، وضروب مختلفة، منسوجةً بالذهب

^{١٠٧٢}- تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ١٠٨

^{١٠٧٣}- بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢٥٧

^{١٠٧٤}- سنن الترمذي، ج ٤، ص ٨٨

والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^{١٠٧٥}. "١٠٧٦"

- قوتهم في الطعام والشراب والنكاح: عن النبي (ص): "والذي نفسي بيده، إنَّ الرجلَ ليؤتي قوَّةَ مائةِ رجلٍ على الأكل والشرب والجماع".^{١٠٧٧}

- فضلاتهم: عن النبي (ص): "ليس يخرج من أجوافهم شيء، بل عرقاً صَبَّأً أَطْيَبَ من المسك وأزكى من العنبر، ولو أنَّ عرقَ رجلٍ من أهلِ الجنةِ مزج به البحار لأسكر ما بين السماء والأرض من طيب رائحته".^{١٠٧٨}

وقال (ص): " تكون حاجةُ أحدهم رشحاً يفيضُ من جلودهم كرشح المسك، فيضمُرُ بطئه".^{١٠٧٩}

- نساء الجنة: وهنّ، كما وصفهنّ القرآن الكريم، من الحور العين، مطهّرات، مقصورات في الخيام، عُربٌ، قاصرات الطرف، كواعبُ أترابٍ، أبكارٌ لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جان، كأنهنّ الياقوت والمرجان...

١٠٧٥- سورة الحج، آية ٢٣

١٠٧٦- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٩٧

١٠٧٧- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٧٥

١٠٧٨- بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢٥٦

١٠٧٩- عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج ٤، ص ٥٢٤

وفي حديث طويل عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) يصفُ
 نعيم الجنة، قال: "المؤمن يُزوجُ ثمانمائةَ عذراء، وأربعةَ آلافِ ثيب، وزوجتين
 من الحور العين. قلت: جعلت فداك، ثمانمائةَ عذراء؟! قال: نعم، ما
 يفرش فيهنّ شيئاً إلاّ وجدها كذلك. قلت: جعلت فداك! من أيّ شيء
 خلقنَ الحورُ العين؟ قال: من تربةِ الجنةِ النورانيّة، ويرى مُخّ ساقبها من وراء
 سبعين حلة...".^{١٠٨٠}

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ... يعتنقان مقدار خمسمائة عام
 من أعوام الدنيا لا يملّها ولا تملّه".^{١٠٨١}

- شجرة طوبى: عن علي أمير المؤمنين (ع): "طوبى شجرةً في الجنة، أصلها
 في دار النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وليس من مؤمن إلاّ وفي
 داره غصنٌ منها، لا تخطرُ على قلبه شهوة شيء إلاّ أتاه به ذلك الغصنُ،
 ولو أنّ ركباً مجدداً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها
 غرابٌ ما بلغ أعلاها حتّى يسقطَ هريماً، ألا ففي هذا فارغبوا".^{١٠٨٢}

١٠٨٠- تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٢

١٠٨١- الكافي، ج ٨، ص ٩٧

١٠٨٢- بحار الأنوار، ج ٨، ص ١١٨

- السماع في الجنة: عن أبي الحسن (ع) قال: "من نَزَّه نفسه عن الغناء، فإنَّ في الجنة شجرةً يأمر الله عزَّ وجلَّ الرياحَ أن تُحرِّكها، فيسمع لها صوتاً لم يسمع بمثله، ومن لم يتنزَّه عنه لم يسمعه".^{١٠٨٣}
- أرض الجنة: عن الإمام الباقر (ع): "أرضُ الجنة رخاؤها فضةٌ، وترايبها الورد والزعفران، وكنسها المسك، ورضاضها"^{١٠٨٤} الدرُّ والياقوت".^{١٠٨٥}
- أنهار الجنة: عن الإمام الباقر (ع) قال: قال رسولُ الله (صلى الله عليه وآله): "إن أنهارَ الجنة تجري في غير أخدود، أشدُّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، وألينُ من الزبد، طينُ النهرِ مسكٌ أذقر، وحصاه الدرُّ والياقوت، تجري في عيونِه وأنهارِه حيث يشتهي ويريد في جناته وليُّ الله، فلو أضافَ من في الدنيا من الجنِّ والإنسِ لأوسعهم طعاماً وشراباً وحللاً وحلياً، لا ينقصُه من ذلك شيء".^{١٠٨٦}
- طيور الجنة: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): "إنَّ في الجنة طيوراً... فإذا تمنى مؤمناً محبُّ للنبيِّ وآله عليهم السلام الأكلَ من شيءٍ منها، وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشُه وانشوى وانطبخ، فأكلَ من جانبٍ منه

١٠٨٣- الكافي، ج ٦، ص ٤٣٤

١٠٨٤- الرضاض: صغار الحصى

١٠٨٥- الاختصاص، ص ٣٥٧

١٠٨٦- الاختصاص، ص ٣٥٧

قديداً ومن جانبٍ منه مشوباً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهيمته قال: الحمدُ لله ربَّ العالمين، عادتُ كما كانت فطارتُ في الهواء، وفخرتُ على سائرِ طيورِ الجنةِ تقول: من مثلي وقد أكلَ مني وليُّ الله عن أمرِ الله؟" ١٠٨٧

- بيوت الجنة: ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ ١٠٨٨ أنه قال: "قصرٌ من لؤلؤ في الجنة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كلِّ دار سبعون بيتاً من زمردة حمراء في كلِّ بيت سبعون سريراً، على كلِّ سرير سبعون فراشاً من كلِّ لون، على كلِّ فراش امرأة من الحور العين، في كلِّ بيت سبعون مائدة، على كلِّ مائدة سبعون لونا من الطعام، في كلِّ بيت سبعون وصيفاً ووصيفة، وقال: فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة أن يأتي على ذلك كله" ١٠٨٩

- غُرْفُ الجنة: سأل عليٌّ (عليه السلام) رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) عن قولِ الله عزَّ وجل: ﴿غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَةٌ﴾ ١٠٩٠: "بماذا بنيت يا رسولَ الله؟ فقال: يا علي، تلك غُرْفٌ بناها اللهُ عزَّ وجل لأوليائه بالدرِّ والياقوت

١٠٨٧- بحار الأنوار، ج ٨، ص ١٤١

١٠٨٨- سورة الصف، آية ١٢

١٠٨٩- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦٦

١٠٩٠- سورة الزمر، آية ٢٠، وقد وردت هذه الآية في الرواية هكذا: غرف مبنية من فوقها غرف، وهي خطأ، لذا قمت بتصحيحها، واقتضت الإشارة.

والزبرجد، سقوفها الذهبُ محبوبكة بالفضة، لكلِّ غرفةٍ منها ألفُ بابٍ من ذهب، على كلِّ بابٍ منها ملكٌ موكلٌ به". ١٠٩١

- فرش الجنة: عن النبي (صلى الله عليه وآله): "فيها فرشٌ مرفوعةٌ بعضها فوق بعض من الحريرِ والديباجِ بألوانٍ مختلفة، وحشوها المسكُ والكافورُ والعنبرُ، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾" ١٠٩٢. ١٠٩٣

- حلقة باب الجنة: عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "إنَّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفحة طنت وقالت: يا علي". ١٠٩٤

اللدائد المعنوية: وهي أرفعُ مراتبٍ من اللدائد الحسية التي ذكرناها، وتمثل اللذة المعنوية برضوانِ الله، وتقديسه، وتسبيحه، ومجالسة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام)... وهي ليست عامةً للجميع، بل خاصة بفقئة من المؤمنين، من الذين لا تملأ أعينهم اللدائد الحسية.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "إنَّ أطيب شيء في الجنة وألذّه: حبّ الله، والحب لله، والحمد لله". ١٠٩٥

١٠٩١- الكافي، ج ٨، ص ٩٧

١٠٩٣- سورة الواقعة، آية ٣٤

١٠٩٣- الكافي، ج ٨، ص ٩٧

١٠٩٤- أمالي الصدوق، ص ٦٨٥

الدرس السابع والخمسون: (نار جهنم)

ما هي جهنم؟ جهنم في اللغة صفة للبر، فيقال بئر جهنم وجهنم أي بعيدة القعر.^{١٠٩٦} أما في الاصطلاح فهي دار الهوان والعذاب التي أعدها الله لعقاب الكافرين والعاصين في الآخرة.

صفة جهنم: وهي أعظم من أن توصف لشدة هولها. إنها مكانٌ سحيقٌ ذو طبقات يتأخج ناراً، يهوي فيها من أخزاهم الله، فتشوي جلودهم ولا يموتون فيها إلى الأبد. وصفها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: "فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد، دارٌ ليس فيها رحمة، ولا تُسمع فيها دعوة، ولا تُفرج فيها كربة".^{١٠٩٧}

أبواب جهنم ودركاتها: قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.^{١٠٩٨}

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في إحدى خطبه: "إن جهنم لها سبعة أبواب، أطباق بعضها فوق بعض، ووضع إحدى يديه على الأخرى، فقال: هكذا. وإن الله وضع الجنان على العرض، ووضع التيران بعضها فوق بعض،

١٠٩٥- بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٢٥١

١٠٩٦- انظر: لسان العرب، جهنم.

١٠٩٧- نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٨، من عهده (ع) إلى محمد بن أبي بكر.

١٠٩٨- سورة الحجر

فأسفلها جهنم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية. وفي رواية الكلبي: أسفلها الهاوية، وأعلىها جهنم".^{١٠٩٩}

عذاب جهنم: يُعذَّب اللهُ تعالى أهل النار بعذابين؛ واحدٍ جسمي وآخر روحي:

أولاً: العذاب الجسمي: وهو عذابٌ مهينٌ شديدٌ يصعبُ وصفه، حيث يُساقُ فيه الكافرون زُمراً إلى مشواهم في النار، فتزفر جهنم غيظاً لمرآهم، ثم يُدعُونَ دعاً فيها، وتصبح أجسامهم وقوداً لها، فيتقلقلون بين أطباقها، وهم مكبلون بالأغلال، ويسحبون على وجوههم، ويُصبَّ من فوق رؤوسهم الحميم، وتُضربُ جباههم بمقامع الحديد، وتغشاهم النيران من كل جانب، حتى إذا نضجت جلودهم بُدلت بأخرى ليتجدد عذابهم، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أعيدوا فيها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

- لباس أهل النار: وهو ثيابٌ من نارٍ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾^{١١٠٠} أو سراويلٌ من قطران، وهو النحاس المذاب ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^{١١٠١}. وفي رواية الإمام الصادق (عليه السلام): "لو

^{١٠٩٩}- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٤٥

^{١١٠٠}- سورة الحج، آية ١٩

^{١١٠١}- سورة إبراهيم، آية ٥٠

أَنَّ سَرَبَالًا مِنْ سَرَابِيلِ أَهْلِ النَّارِ غُلِّقَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِمَاتِ أَهْلِ الدُّنْيَا
مِنْ رِيحِهِ".^{١١٠٢}

– طعام أهل النار: إذا جاع أهل النار يأكلون من:

● الضَّرِيع: وهو نباتٌ أخضرٌ منتمٍ له شوْكٌ كبير،^{١١٠٣} وصفه القرآن الكريم بأنه:
﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾^{١١٠٤}. عن الإمام الصادق (عليه السلام):
أَنَّ قَطْرَةَ مِنَ الضَّرِيعِ قَطَّرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لِمَاتِ أَهْلِهَا مِنْ
تَنْتِهَا".^{١١٠٥}

● شجرة الزقوم: وهي شجرة تنبت في قعر جهنم، لها ثمرةٌ كريه المنظر ﴿طَلَعَهَا
كَأَنَّهُ زُرُّوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^{١١٠٦} ومرةٌ وحارةٌ ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾^{١١٠٧}

● الغساق: وهو ما يسيل من جلود أهل النار وصديدهم من قيح ونحوه.^{١١٠٨} قال
الله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا
وَّغَسَاقًا﴾^{١١٠٩}.

^{١١٠٢}- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٠

^{١١٠٣}- انظر: لسان العرب، فعل: ضرع

^{١١٠٤}- سورة الغاشية، آية ٧

^{١١٠٥}- لسان العرب، فعل: غسق

^{١١٠٦}- سورة الصافات، آية ٦٥

^{١١٠٧}- سورة الدخان، آية ٤٥

- شراب أهل النار: إذا عطش أهل النار يشربون من:

● الحميم: وهو الماء المغلي. قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^{١١١٠}.

● الغسلين: وهو ما يسيل من جلود أهل النار، كالدم والقيح، شديد الحر. ^{١١١١} قال الله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾^{١١١٢}. قد يكون طعاماً، وقد يكون شراباً.

● الصديد: وهو الدم والقيح الذي يسيل من الجسد.^{١١١٣} قال الله تعالى: ﴿مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾^{١١١٤}.

ثانياً: العذاب الروحي: وهو عذابٌ عظيمٌ، قد يساوي العذاب الجسدي. ويتمثل بأمور عديدة، منها:

^{١١٠٨}- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٠

^{١١٠٩}- سورة النبأ

^{١١١٠}- سورة الأنعام، آية ٧٠

^{١١١١}- لسان العرب، فعل: غسل

^{١١١٢}- سورة الحاقة، آية ٣٦

^{١١١٣}- لسان العرب، فعل: صدد

^{١١١٤}- سورة إبراهيم، آية ١٦

- الحسرة والندامة على التفريط في جنب الله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾^{١١١٥}

- الشعور بالخسران الكبير: بعد أن يروا منازلهم في الجنة التي كانوا سينالونها لو أطاعوا، فيعضُّ واحدُهم على يديه ، متمنياً أن لو كان آمن بالرسول ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^{١١١٦}.

- توبيخ الله لهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾^{١١١٧}.

- الاستهزاء بهم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^{١١١٨}.

- الشعور بالخذلان والذل والخيبة والاستسلام: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْثُكَ﴾^{١١١٩}.

أكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ النارَ، فقال: "الأجوفان؛ الفم والفرج".^{١١٢٠}

^{١١١٥}- سورة الزمر، آية ٥٦

^{١١١٦}- سورة الفرقان، آية ٢٧

^{١١١٧}- سورة المؤمنون، آية ١٠٨

^{١١١٨}- سورة الدخان، آية ٤٩

^{١١١٩}- سورة الزخرف، آية ٧٧

^{١١٢٠}- ابن أبي الدنيا، التواضع والخمول، ص ٢١٨

أشدُّ الناس عذاباً: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن في النار لئاراً يتعوذُ منها أهلُ النار، ما خلقتُ إلا لكلِّ متكبرٍ جبارٍ عنيدٍ، ولكلِّ شيطانٍ مريدٍ، ولكلِّ متكبرٍ لا يؤمنُ بيومِ الحساب، ولكلِّ ناصبِ العداوةِ لآلِ محمدٍ".^{١١٢١}

وعن الإمام علي (عليه السلام): "أشدُّ الناس عقوبةً رجلٌ كافأ الإحسانَ بالإساءة".^{١١٢٢}

أهونُ الناس عذاباً في النار: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إن أهونَ الناس عذاباً يومَ القيامةِ لرجلٌ في ضحضاحٍ من نارٍ عليه نعلانٍ من نارٍ، وشِراكينِ من نارٍ يغلي منها دماغُه، كما يغلي المرجل! ما يرى أن في النار أحداً أشدَّ عذاباً منه. وما في النار أحدٌ أهونَ عذاباً منه".^{١١٢٣}

علةُ الخلود: عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إنَّما خُلدَ أهلُ النارِ في النارِ لأنَّ نياتِهِم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنَّما خُلدَ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ لأنَّ نياتِهِم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنياتِ خُلدَ هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^{١١٢٤} قال: علي نيته".^{١١٢٥}

١١٢١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٨

١١٢٢- ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٧٣ نقلاً عن غرر الحكم.

١١٢٣- تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٧

١١٢٤- سورة الإسراء، آية ٨٤

هل يخلد الموحّدون في النار؟ الموحّد المذنب لا يتخلّد في النار إنّ لم يكن من مبغضي أهل البيت (عليهم السلام)، بل يخرج منها برحمةٍ تتدركه أو بالشفاعة، ثم يُعالج جسّمه بعينٍ عند باب الجنة تسمى "عين الحيوان" ويدخل الجنة، ويُسمى هؤلاء "الجهنّمين". عن محمد بن مسلم قال: "سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الجهنّمين، فقال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: يخرجون منها فينتهي بهم إلى عين عند باب الجنة تسمى "عين الحيوان"، فينضحُ عليهم من مائها، فينبتون كما تنبت الزرع، تنبتُ لحومهم وجلودهم وشعورهم".^{١١٢٦}

ويؤكّد هذا روايةُ الإمام الكاظم (عليه السلام): "لا يخلّد في النار إلاّ أهل الكفر والجحود، وأهل الضلال والشرك".^{١١٢٧} ورواية النبي (صلى الله عليه وآله): "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان".^{١١٢٨}

بعض الكافرين لا يتعدّبون بالنار: كلُّ الكافرين لا محالةً في النار، لكنّ الروايات أكّدت أنّ عدداً منهم لا يتعدّب فيها، بل يكون في جنةٍ تقيه حرّ النار المعروفِ كان يعمله في الدنيا. ومن هؤلاء رجل كافر في بني إسرائيل كان يعامل جاره المؤمن بالمعروف، وحاتم الطائي المشهور بجوده وكرمه، وأمثالهم.

١١٢٥- الكافي، ج ٢، ص ٨٥

١١٢٦- بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٦٠

١١٢٧- الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٤٠٧

١١٢٨- كنز العمال، ج ١، ص ٧٢، رقم الحديث ٢٨٤

ففي الرواية: "إنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا عَرَجَ بِهِ أَطْلَعَ عَلَى
النَّارِ، فَرَأَى حَظِيرَةً فِيهَا رَجُلٌ لَا تَمْسُهُ النَّارُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:
مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ لَا تَمْسُهُ النَّارُ؟ فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: هَذَا حَاتِمُ
طَبِئٍ صَرَفَ اللهُ عَنْهُ جَهَنَّمَ بِسَخَائِهِ وَجُودِهِ".^{١١٢٩}

^{١١٢٩}- سيد علي الحائري الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج ١١، ص ١٧٧

خاتمة:

هذه كانت دروساً واضحة جلية في عقائد الشيعة الإمامية، حاولنا أن نقدمها مبسّطة حتى يسهل تناولها على كلّ من لا جلد له على قراءة الكتب العقائدية المعقّدة. ولا أدعي في هذا الكتاب فضل إضافة أي جديد في هذا المجال، إلا فضل التبويب والتبسيط.

آمل أن أكون قد وقّعت إلى ما صبوتُ إليه، وهو تقديم مادة سهلة واضحة لكل راغبٍ في الاطلاع على العقيدة الشيعية. وآمل أن يستفيد من هذه الدروس مستفيداً، حتى يعود ذلك على ميزان حسناتي بالثقل. وأن ينظر إليّ الله بعين الرحمة والعفو لما صرفته من وقتٍ وجهدٍ في تسطير هذه الكلمات خدمةً لدينه الخفيف. والحمد لله رب العالمين.

أحمد صعب

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

الألف

٢. ابن أبي جمهور الإحسائي، عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ط ١، قم، مطبعة سيد الشهداء (ع)، ١٩٨٣ م
٣. ابن أبي الدنيا، التواضع والخمول، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩ م
٤. أبو حامد المرزوق، التوسل بالنبي وجهلة الوهابيين، لا ط، إستانبول - تركيه، مكتبة اشيق، ١٩٧٦ م
٥. ابن فارس، مقاييس اللغة، لا ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩ م
٦. ابن إدريس الحلبي، مستطرفات السرائر، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١ م
٧. أسعد وحيد قاسم، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، ط ١، بيروت، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م
٨. الشيخ أكرم جزيني، من شواهد المبلغين، ط ١، لا م، لا ن، ١٩٩٨ م
٩. أبو حاتم السجستاني البصري، المعمرون والوصايا، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٠. ابن أبي زينب النعماني، الغيبة، ط ١، قم، أنوار الهدى، ١٤٢٢ هـ
١١. ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م
١٢. ابن حجر، فتح الباري، ط ٢، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، لا ت.
١٣. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ
١٤. ابن حبان، صحيح ابن حبان، ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م
١٥. ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب (ع)، ط ١، قم، انتشارات سبب النبي (ص)، ١٤٢٦ هـ
١٦. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، لا ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ
١٧. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط ١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م
١٨. ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، لا ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ
١٩. أحمد حسين يعقوب، نظرية عدالة الصحابة، لا ط، لندن، مؤسسة الفجر، لا ت.

٢٠. العلامة الأميني، الغدير، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٧ م
٢١. المحافظ ابن الصديق الغماري الحسيني، إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي، ط ٢، عمان، دار الإمام النووي، ١٩٩٢ م
٢٢. الشيخ الأنصاري، كتاب المكاسب، ط ١، لا م، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤١٥ هـ
٢٣. ابن كثير، السيرة النبوية، لا ط، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٦ م
٢٤. ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، لا ط، مصر، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٣ م
٢٥. الآبي الأزهرى، الثمر الداني، لا ط، بيروت، المكتبة الثقافية، لا ت.
٢٦. ابن الأثير، أسد الغابة، لا ط، بيروت، دار الكتاب العربي، لا ت.
٢٧. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، لا ط، بيروت، دار صادر، لا ت.
٢٨. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، لا ط، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٩٥٦ م
٢٩. ابن طيفور، بلاغات النساء، لا ط، قم، مكتبة بصيرتي، لا ت.
٣٠. الألوسي، تفسير الألوسي، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٣١. ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف، ط ١، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٩٨٩ م

٣٢. ابن أبي الزمين، تفسير ابن زمين، ط ١، القاهرة، الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢
م

٣٣. ابن عبد البر، التمهيد، لا ط، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية، ١٣٨٧ هـ

٣٤. ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ط ٢، قم، مؤسسة
النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ

٣٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٣٦. ابن تيمية، منهاج السنة، ط ١، لا م، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ هـ

٣٧. أبو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد، ط ٢، قم، مكتبة المصطفوي، ١٣٦٩
ش

٣٨. أحمد البرقي، المحاسن، لا ط، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠ هـ

٣٩. ابن طاووس، إقبال الأعمال، ط ١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي،
١٤١٤ هـ

٤٠. ابن سعد، الطبقات الكبرى، لا ط، بيروت، دار صادر، لا ت.

٤١ . ابن شاذان، الروضة في فضائل أمير المؤمنين (ع)، ط ١، لا م، لا ن،

١٤٢٣ هـ

٤٢ . ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، لا ط، النجف الأشرف، المكتبة

الحيدرية، ١٩٥٦ م

٤٣ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢ م

٤٤ . ابن منظور، لسان العرب، لا ط، لا م، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ

٤٥ . ابن فهد الحلبي، عدة الداعي ونجاح الساعي، لا ط، قم، مكتبة وجداني، لا

ت.

٤٦ . أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، لا ط، لا م، دار الفكر، لا ت.

٤٧ . الإيجي، المواقف، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٧ م

الباء

٤٨ . البخاري، صحيح البخاري، لا ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٨١ م

٤٩ . السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، لا ط، قم، المطبعة العلمية،

١٣٩٩ هـ

٥٠ . باقر شريف القرشي، حياة الإمام محمد الباقر عليه السلام دراسة وتحليل، ط

١، بيروت، دار البلاغة، ١٤١٣ هـ

٥١ . السيد بهاء الدين النجفي، منتخب الأنوار المضيئة، ط ١، قم، مؤسسة

الإمام الهادي (ع)، ١٤٢٠ هـ

٥٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، لا ط، مصر، معهد المخطوطات بجامعة الدول

العربية بالاشتراك مع دار المعارف، ١٩٥٩ م

الثاء

٥٣ . تقرير بحث الشيخ السبحاني للمكي، الإلهيات، ط ١، بيروت، الدار

الإسلامية، ١٩٨٩ م

٥٤ . الترمذي، سنن الترمذي، ط ٢، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٨٣ م

الثاء

٥٥ . الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط ١، بيروت، دار إحياء

التراث العربي، ٢٠٠٢ م

٥٦ . الشهيد الثاني، منية المرید، ط ١، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩

٥٧. الشهيد الثاني، حقائق الإيمان، ط ١، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي،

١٤٠٩ هـ

الجيم

٥٨. السيد جعفر مرتضى، خلفيات كتاب مأساة الزهراء (ع)، ط ٥، بيروت،

دار السيرة، ١٤٢٢ هـ

٥٩. السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع)، ط ١، لا م،

ولاء المنتظر (عج)، ١٤٣٠ هـ

٦٠. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لا ط، بيروت، دار

المعرفة، لا ت.

٦١. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٦٢. جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، ط ١، بيروت، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٩٨١ م

٦٣. الجصاص، أحكام القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م

٦٤. الشيخ جعفر السبحاني، رسائل ومقالات، ط ١، قم، مؤسسة الإمام

الصادق (ع)، ١٤١٩ هـ

٦٥. الشيخ جعفر السبحاني، في ظلال التوحيد، لا ط، لا م، معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج، ١٤١٢ هـ
٦٦. الشيخ جعفر السبحاني، الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف، ط ١، لا م، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ١٤٢٣ هـ
٦٧. الشيخ جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (ع)، ط ١، قم، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ١٩٩٨ م
٦٨. الشيخ جعفر السبحاني، محاضرات في الإلهيات، لا ط، قم، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، لا ت.
٦٩. الشيخ جعفر السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ط ١، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤١٨ هـ
٧٠. الدكتور جواد جعفر الخليلي، من حياة الخليفة عثمان بن عفان، ط ١، بيروت، الارشاد للطباعة والنشر، ٢٠٠٠ م
٧١. الجاحظ، البيان والتبيين، ط ١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٦ م
٧٢. الجوهرى، الصحاح، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧ م
٧٣. الشيخ جواد بن عباس الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧ م

الحاء

٧٤. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ط ٢، قم، مؤسسة آل البيت (ع)،

١٤١٤ هـ

٧٥. الحر العاملي، الإيقاظ من المراجعة بالبرهان على الرجعة، ط ١، قم، دليل

ما، ١٤٢٢ هـ

٧٦. الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، ط ١، مشهد، مجمع البحوث

الإسلامية، ١٤١٢ هـ

٧٧. ميرزا حسين النوري الطبرسي، النجم الثاقب، ط ١، قم، أنوار الهدى،

١٤١٥ هـ

٧٨. ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ط ١، بيروت، مؤسسة

آل البيت (ع) لإحياء التراث، ١٩٨٧ م

٧٩. العلامة الحلي، منتهى المطلب، ط ١، مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في

الآستانة الرضوية المقدسة، ١٤١٢ هـ

٨٠. العلامة الحلي، الرسالة السعدية، ط ١، قم، مكتبة آية الله المرعشي

النجفي، ١٤١٠ هـ

٨١. العلامة الحلي، نهج الحق وكشف الصدق، لا ط، قم، مؤسسة الطباعة

والنشر دار الهجرة، ١٤٢١ هـ

٨٢. الحسن بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب، ط ٢، قم، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٥ هـ
٨٣. الحاكم النيسابوري، المستدرک، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.
٨٤. حسن الأمين، مستدرکات أعيان الشيعة، لا ط، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٧ م
٨٥. حسن بن علي السقاف، صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ط ١، عمان، دار الإمام النووي، ١٩٩٥ م
٨٦. الحاج حسين الشاكري، ثم عقر الحمل، ط ١، لا م، المؤلف، ١٩٩٧ م
٨٧. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ط ١، طهران، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٠ هـ
٨٨. المحافظ رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩ م
٨٩. الحسين بن حمدان الخصبي، الهداية الكبرى، ط ٤، بيروت، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١ م
٩٠. الشيخ حسين كوراني، آداب عصر الغيبة، لا ط، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، لا ت.

٩١. الشيخ حسين النوري الطبرسي، خاتمة المستدرک، ط ١، قم، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ١٤١٥ هـ
٩٢. حسن بن سليمان الحلبي، مختصر بصائر الدرجات، ط ١، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠ م
٩٣. حسن بن سليمان الحلبي، المختصر، لا ط، لا م، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٤٢٤ هـ
٩٤. الحسن بن محمد الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، لا ط، قم، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، لا ت.
٩٥. الحاج حسين الشاكري، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، ط ١، لا م، المؤلف، ١٤١٨ هـ
٩٦. الشيخ الحوزي، تفسير نور الثقلين، ط ٤، قم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢ هـ

الخاء

٩٧. الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، ط ٣، لا م، لا ن، لا ت.
٩٨. السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ط ٤، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٥ م

٩٩. الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥ م

١٠٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م

١٠١. الخزاز القمي، كفاية الأثر، لا ط، قم، انتشارات بيدار، ١٤٠١ هـ

الذال

١٠٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣ م

الراء

١٠٣. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ط ٢، النجف الأشرف، طليعة النور، ١٤٢٧ هـ

الزاي

١٠٤. الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجادية، ط ١، قم، دفتر نشر الهادي، ١٤١٨ هـ

السين

١٠٥ . الإمام السبكي، شفاء السقام، ط ٤، لام، لان، ١٤١٩ هـ

الشين

١٠٦ . الشوكاني، فتح القدير، لا ط، السعودية، عالم الكتب، لا ت.

١٠٧ . الشهرستاني، الملل والنحل، لا ط، بيروت، دار المعرفة، لا ت.

١٠٨ . السيد شرف الدين، أجوبة مسائل جار الله، ط ٢، صيدا، مطبعة العرفان،

١٣٧٣ هـ

١٠٩ . شاذان بن جبرئيل القمي (ابن شاذان)، الفضائل، لا ط، النجف الأشرف،

منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها، ١٩٦٢ م

١١٠ . السيد شرف الدين الأسترآبادي، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة

الطاهرة، ط ١، قم، مدرسة الإمام المهدي (عج)، ١٤٠٧ هـ

الصاد

١١١. الإمام الصادق (ع)، مصباح الشريعة، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي،
١٩٨٠ م
١١٢. الشيخ الصدوق، التوحيد، لا ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، لا ت.
١١٣. الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، لا ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي،
١٣٧٩ هـ
١١٤. الشيخ الصدوق، الهداية، ط ١، قم، مؤسسة الإمام الهادي (ع)، ١٤١٨ هـ
١١٥. الشيخ الصدوق، الخصال، لا ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٣ هـ
١١٦. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ط ٢، قم، مؤسسة النشر
الإسلامي، لا ت.
١١٧. الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ط ٢، بيروت، دار المفيد
للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م
١١٨. الشيخ الصدوق، علل الشرائع، لا ط، النجف الأشرف، منشورات المكتبة
الحيدرية، ١٩٦٦ م
١١٩. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (ع)، لا ط، بيروت، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، ١٤٠٤ هـ
١٢٠. الشيخ الصدوق، الأمالي، ط ١، قم، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة
البعثة، ١٤١٧ هـ

١٢١. الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، لا ط، قم، مؤسسة النشر

الإسلامي، ١٤٠٥ هـ

١٢٢. الشيخ الصدوق، صفات الشيعة، لا ط، طهران، كانون انتشارات عابدي،

لا ت.

١٢٣. الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ط ٢، قم، منشورات الرضي، ١٣٦٨ ش

١٢٤. الشيخ الصدوق، فضائل الشيعة، لا ط، طهران، كانون انتشارات عابدي،

لا ت.

الطاء

١٢٥. الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ط ١، بيروت، مؤسسة الأعلمي،

١٩٩٥ م

١٢٦. الشيخ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ط ١، قم، مؤسسة النشر

الإسلامي، ١٤١٨ هـ

١٢٧. الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، لا ط، النجف الأشرف، دار النعمان للطباعة

والنشر، ١٩٦٦ م

١٢٨. الطبرسي، مكارم الأخلاق، ط ٦، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢

م

١٢٩. الشيخ الطوسي، مصباح المتعبد، ط ١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة،

١٩٩١ م

١٣٠. الشيخ الطوسي، الأمالي، ط ١، قم، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع،

١٤١٤ هـ

١٣١. الشيخ الطوسي، الغيبة، ط ١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١ هـ

١٣٢. الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، لا ط، قم، مؤسسة

آل البيت (ع) لإحياء التراث، لا ت.

١٣٣. الشيخ الطوسي، الخلاف، لا ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ هـ

١٣٤. الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ط ٣، طهران، دار الكتب الإسلامية،

١٣٦٤ ش

١٣٥. السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، لا ط، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، لا

ت.

١٣٦. الطبراني، كتاب الأوائل، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة - دار الفرقان،

١٤٠٣ هـ

١٣٧. الطبراني، المعجم الأوسط، لا ط، لا م، دار الحرمين للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٩٥ م

١٣٨. الطبري، تاريخ الطبري، ط ٤، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

١٩٨٣ م

العين

١٣٩. الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، ط ١، قم، النهضة، ١٤١٢ هـ

١٤٠. الشيخ علي آل محسن، مسائل خلافية حار فيها أهل السنة، ط ١،

بيروت، دار الميزان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩ م

١٤١. سيد علي الحائري الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، لا ط، لا م، الشيخ

محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، ١٣٣٧ ش

١٤٢. عبد الجواد الإبراهيمي، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، ط ١، قم،

مؤسسة أنصاريان، ١٤١٧ هـ

١٤٣. عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لا ط،

بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨ م

١٤٤. الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ط ٣، قم، مكتبة العزيزي، ٢٠٠٦ م

١٤٥. الشيخ عباس القمي، الأنوار البهية، ط ١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي،

١٤١٧ هـ

١٤٦. الشيخ عباس القمي، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ط ١، قم مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩ هـ
١٤٧. علي موسى الكعبي، المعاد يوم القيامة، لا ط، بيروت، مركز الرسالة، لا ت.
١٤٨. العيني، عمدة القاري، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا ت.
١٤٩. الشيخ علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)، ط ١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١ هـ
١٥٠. الشيخ علي كوراني، ألف سؤال وإشكال، ط ١، بيروت، دار السيرة، ٢٠٠٣ م
١٥١. الشيخ علي الكوراني، المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ط ١، لا م، لا ن، ٢٠٠٦ م
١٥٢. علي الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ط ١، لا م، دار الحديث، ١٤١٨ هـ
١٥٣. علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ط ٣، قم، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ
١٥٤. الشيخ علي اليزدي الحائري، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٥٥. السيد علي الميلاني، المسح على الرجلين في الوضوء، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١ هـ
١٥٦. السيد علي الميلاني، دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، ط ١، لا م، المؤلف، ١٤١٩ هـ
١٥٧. السيد علي الميلاني، نفحات الأزهار، ط ١، لا م، المؤلف، ١٤١٤ هـ
١٥٨. السيد علي الميلاني، آية المباهلة، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١ هـ
١٥٩. السيد علي الميلاني، آية التطهير، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١ هـ
١٦٠. السيد علي الميلاني، آية الولاية، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١ هـ
١٦١. السيد علي الميلاني، الإمامة في أهم الكتب الكلامية، ط ١، قم، منشورات شريف الرضي، ١٤١٣ هـ
١٦٢. السيد علي الميلاني، التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، ط ٢، قم، الشريف الرضي، ١٤١٧ هـ
١٦٣. السيد علي الميلاني، محاضرات في الاعتقادات، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٢١ هـ

- ١٦٤ . السيد علي الميلاني، شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ط ١، قم، مركز الحقائق الإسلامية، ١٤٢٨ هـ
- ١٦٥ . السيد علي الميلاني، صلاة أبي بكر في مرض النبي (ص)، ط ١، قم، مركز الحقائق الإسلامية، ١٤٢٧ هـ
- ١٦٦ . السيد علي البهبهاني، مصباح الهداية في إثبات الولاية، ط ٤، أهواز، مدرسة دار العلم، ١٤١٨ هـ
- ١٦٧ . الإمام العسكري (ع)، تفسير الإمام العسكري (ع)، ط ١، قم، مدرسة الإمام المهدي (عج)، ١٤٠٩ هـ
- ١٦٨ . عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ط ٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧ م
- ١٦٩ . علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط ٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥ م
- ١٧٠ . السيد عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، ط ٢، لا م، لا ن، ١٩٨٢ م
- ١٧١ . العجلوني، كشف الخفاء، ط ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨ م
- ١٧٢ . عبد الجواد الإبراهيمي، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، ط ١، قم، مؤسسة أنصاريان، ١٤١٧ هـ

١٧٣. الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، لا ط، قم،

مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٨ هـ

١٧٤. العاملي، الانتصار، ط ١، بيروت، دار السيرة، ٢٠٠٠ م

الغين

١٧٥. الغزالي، إحياء علوم الدين، لا ط، بيروت، دار الكتاب العربي، لا ت.

١٧٦. الغزالي، المنحول من تعليقات الأصول، ط ٣، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨ م

م

الفاء

١٧٧. الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، لا ط، قم، منشورات الشريف الرضي، لا ت.

١٧٨. فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ط ٣، لا م، لا ن، لا ت.

١٧٩. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٨٠. فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، ط ١، طهران، مؤسسة

الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٠ م

القاف

١٨١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا ت.

١٨٢. القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ط ١، قم، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ

١٨٣. القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ هـ

١٨٤. قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، ط ١، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ١٤٠٩ هـ

الكاف

١٨٥. الكليني، الكافي، ط ٥، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ ش

١٨٦. الكفعمي، مصباح الكفعمي، ط ٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٣ م

الميم

١٨٧. المازندراني، شرح أصول الكافي، ط ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

٢٠٠٠ م

١٨٨. المتقي الهندي، كنز العمال، لا ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩ م

١٨٩. الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، لا ط، قم، دار القرآن الكريم،

١٤٠٥ هـ

١٩٠. السيد المرتضى، الأمالي، ط ١، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشي

النحفي، ١٩٠٧ م

١٩١. محمد تقي المصباح اليزدي، دروس في العقيدة الإسلامية، لا ط، بيروت،

مؤسسة التاريخ العربي، لا ت.

١٩٢. مركز نون للتأليف والترجمة، رحلة الآخرة، ط ١، بيروت، جمعية المعارف

الإسلامية الثقافية، ٢٠٠٨ م

١٩٣. الشيخ المفيد، الأمالي، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع،

١٩٩٣ م

١٩٤. الشيخ المفيد، رسالة المتعة، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٩٣ م

١٩٥. الشيخ المفيد، خلاصة الإيجاز، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٩٩٣ م

١٩٦. الشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م
١٩٧. الشيخ المفيد، الاختصاص، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م
١٩٨. الشيخ المفيد، الإفصاح، ط ٢، بيروت، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م
١٩٩. الشيخ المفيد، الإرشاد، ط ٢، بيروت، دار المفيد، ١٩٩٣ م
٢٠٠. الشيخ المفيد، المقنعة، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٠ هـ
٢٠١. الشيخ المفيد، تفسير القرآن المجيد، ط ١، قم، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢١ هـ
٢٠٢. المقرئزي، إمتاع الأسماع، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩ م
٢٠٣. مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة "من حياة المستبصرين"، ط ١، قم، مركز الأبحاث العقائدية، ١٤٣٠ هـ
٢٠٤. المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، لا ط، بيروت، دار الكتب العلمية، لا ت.
٢٠٥. محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، لا ط، لا م، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا ت.

٢٠٦. السيد محمد الرضي، كذبوا على الشيعة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.
٢٠٧. مركز نون للتأليف والترجمة، معرفة أهل البيت عليهم السلام، ط ١، بيروت،
جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٠٨ م
٢٠٨. مركز المصطفى (ص)، العقائد الإسلامية، ط ١، قم، مركز المصطفى
للدراسات الإسلامية، ١٤١٩ هـ
٢٠٩. مركز الرسالة، التقيية في الفكر الاسلامي، ط ١، قم، مركز الرسالة، ١٤١٩ هـ
٢١٠. ميرزا محمد تقي الأصفهاني، مكيال المكارم، ط ١، بيروت، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢١ هـ
٢١١. الشيخ محمد السنند، فقه علائم الظهور، ط ١، قم، دليلنا، ١٤٢٥ هـ
٢١٢. محمد بن جعفر المشهدي، المزار، ط ١، قم، نشر القيوم، ١٤١٩ هـ
٢١٣. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، لا ط، بيروت، دار التعارف
للمطبوعات، لا ت.
٢١٤. السيد محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي (عج)، ط ١، بيروت، مركز
الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٦ م
٢١٥. محمد بن جرير الطبري، دلائل الإمامة، ط ١، قم، مركز الطباعة والنشر في
مؤسسة البعثة، ١٤١٣ هـ

٢١٦. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لا ط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م
٢١٧. الموفق الخوارزمي، المناقب، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ هـ
٢١٨. محمد بن فروخ (الصفار)، بصائر الدرجات، لا ط، طهران، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ
٢١٩. الشيخ مهدي فقيه إيماني، الإمام علي (ع) في آراء الخلفاء، ط ١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤٢٠ هـ
٢٢٠. محمد الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، ط ١، قم، مؤسسة دار الحديث الثقافية، لا ت.
٢٢١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ط ١، قم، دار الحديث، لا ت.
٢٢٢. محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ، ط ٢، قم، دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ
٢٢٣. الدكتور محمد بيومي مهران، الإمامة وأهل البيت، ط ٢، بيروت، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥ م
٢٢٤. مركز نون للتأليف والترجمة، عقائد قرآنية، ط ١، بيروت، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ٢٠٠٦ م

٢٢٥. مركز الرسالة، الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ، ط ١، قم، مركز الرسالة،

١٤١٩ هـ

٢٢٦. الشيخ محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، لا ط، قم، انتشارات أنصاريان،

لا ت.

٢٢٧. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، لا ط، بيروت، دار الفكر،

لا ت.

٢٢٨. محمد الخولي، التحريف في التوراة، ط ١، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي،

١٤١٠ هـ

٢٢٩. الشيخ محمد رضا المظفر، دلائل الصدق لنهج الحق، ط ١، دمشق،

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٢٢ هـ

٢٣٠. محمد بن همام الإسكافي، التمحيص، لا ط، قم، مدرسة الإمام المهدي

(ع)، لا ت.

٢٣١. الإمام مالك، المدونة الكبرى، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، لا

ت.

٢٣٢. محمد الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ط ١، قم، دار الحديث،

١٤٢٥ هـ

٢٣٣. سيد محمد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٢٣٤. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ط ٢، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣ م

النون

٢٣٥. السيد نعمة الله الجزائري، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، لا ط، قم، نشرات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ

٢٣٦. الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٢٣٧. النووي، المجموع، لا ط، لا م، دار الفكر، لا ت.

٢٣٨. النووي، رياض الصالحين، ط ٢، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩١ م

الهاء

٢٣٩. الملا هادي السبزواري، شرح الأسماء الحسنى، لا ط، قم، منشورات مكتبة بصيرتي، لا ت.

٢٤٠. هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، ط ٢، بيروت، دار

التعارف للمطبوعات، ١٩٧٨ م

٢٤١. السيد هاشم البحراني، مدينة المعاجر، ط ١، قم، مؤسسة المعارف
الإسلامية، ١٤١٣ هـ

الواو

٢٤٢. ورام بن أبي فراس المالكي، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ط ٢، طهران، دار
الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ ش

الياء

٢٤٣. يوسف بن يحيى المقدسي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، ط ١، القاهرة،
مكتبة عالم الفكر، ١٩٧٩ م

فهرس الموضوعات

3	الشكر والإهداء
4	مقدمة
6	الفصل الأول: التوحيد
7	الدرس الأول: علم العقيدة
11	الدرس الثاني: معرفة الله
15	الدرس الثالث: طرق إثبات وجود الله
18	الدرس الرابع: الدليل التأملي والدليل العقلي
23	الدرس الخامس: التوحيد
27	الدرس السادس: التوحيد الذاتي
31	الدرس السابع: التوحيد الصفاتي والتوحيد العبادي
35	الدرس الثامن: التوحيد الأفعالي
41	الدرس التاسع: صفات الله تعالى
47	الدرس العاشر: بعض حقائق التوحيد
54	الفصل الثاني: العدل الإلهي
55	الدرس الحادي عشر: العدل الإلهي
59	الدرس الثاني عشر: أقسام العدل الإلهي وأدلته
64	الدرس الثالث عشر: مسألة الحسن والقبح، ومسألة الخير والتفويض
68	الدرس الرابع عشر: شبهة التفاوت بين البشر في عطاء الله
73	الدرس الخامس عشر: شبهة خلق الشرور في العالم
78	الدرس السادس عشر: البلاء، وعلاقته بالعدل الإلهي

84	الدرس السابع عشر: عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة
88	الفصل الثالث: النبوة
89	الدرس الثامن عشر: النبوة
95	الدرس التاسع عشر: العصمة
101	الدرس العشرون: عقيدتنا في النبي محمد (ص) وفي الإسلام
107	الدرس الواحد والعشرون: بعض ما ورد في كتب العامة عن النبي (ص)
126	الدرس الثاني والعشرون: القرآن الكريم، معجزة النبي الخالدة
133	الدرس الثالث والعشرون: موقفنا من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله)
142	الفصل الرابع: الإمامة
143	الدرس الرابع والعشرون: الإمامة
149	الدرس الخامس والعشرون: تعيين الإمام
154	الدرس السادس والعشرون: كيف تتعقد الإمامة عند الشيعة؟
164	الدرس السابع والعشرون: كيف تتعقد الإمامة عند أهل الخلاف؟
170	الدرس الثامن والعشرون: لأدلة العقلية على إمامة علي (عليه السلام)
173	الدرس التاسع والعشرون: الأدلة القرآنية على إمامة علي (عليه السلام)
179	الدرس الثلاثون: الأدلة النبوية على إمامة علي (عليه السلام)
185	الدرس الواحد والثلاثون: خلفاء النبي الاثنا عشر (عليهم السلام)
195	الدرس الثاني والثلاثون: الإمام المهدي (عج) في القرآن والأحاديث
202	الدرس الثالث والثلاثون: شبهات وردود حول الإمام المهدي (عج)
209	الدرس الرابع والثلاثون: علامات الظهور
215	الدرس الخامس والثلاثون: واجباتنا اتجاه إمام زماننا (عج)
220	الدرس السادس والثلاثون: علم الأئمة (عليهم السلام)

227	الدرس السابع والثلاثون: لَعْلُو في الأئمة (عليهم السلام)
233	الدرس الثامن والثلاثون: التقيّة
239	الدرس التاسع والثلاثون: التوسّل
245	الدرس الأربعون: الرجعة
252	الدرس الواحد والأربعون: الشفاعة
252	الدرس الثاني والأربعون: الولاية التكوينية
264	الدرس الثالث والأربعون: وظائفنا تجاه الأئمة (عليهم السلام)
272	الدرس الرابع والأربعون: الشيعة، وبعضُ الافتراءات عليهم
280	الدرس الخامس والأربعون: صفات الشيعة
286	الدرس السادس والأربعون: فقهياتُ بين الشيعة وأهل الخلاف
296	الدرس السابع والأربعون: الشيعة هي الفرقة الناجية
305	الفصل الخامس: المَعَاد
306	الدرس الثامن والأربعون: المعاد
313	الدرس التاسع والأربعون: الموت
319	الدرس الخمسون: البرزخ
325	الدرس الواحد والخمسون: من منازل القيامة: النفخُ والنشرُ والحشرُ وإعطاءُ الكتب
334	الدرس الثاني والخمسون: الحسابُ
342	الدرس الثالث والخمسون: المحكمةُ الإلهية والصراط
349	الدرس الرابع والخمسون: أصحاب الأعراف، اللواء، الحوض
355	الدرس الخامس والخمسون: جنة النعيم
361	الدرس السادس والخمسون: لذات الجنة
367	الدرس السابع والخمسون: نار جهنّم

375	خاتمة
376	فهرس المصادر والمراجع
405	فهرس الموضوعات